ذ.عزيز بنحدوش

الطفولة و المراهقة في الوسط القروي

الواقع و الرهانات

دراسة ميدانية

تازناخت الكبرى

تأليف: ذ:عزيز بنحدوش

2014

ذ.عزيز بنحدوش
باحث و مستشار في علم الإجتماع و علوم التربية, كاتب, و أستاذ فلسفة
www.azizbenhaddouch.com

الإهداء

إلى كل أولائك الذين يكتبون و يُفكرون و يُبدعون و لا يجدون من يستمع إليهم، إلى كل المتعلمين و المتعلمات ،المدرسين و المدرسات، الآباء و الأمهات.

إلى كل من يبدع و يبادر و هو يحلم أن يجد محاورا في الضفة الأخرى، محاورا مسؤولا، يستمع لكل الإقتراحات الجادة و المساهمات الفعالة في إصلاح المنظومة التربوية، إلى كل هؤلاء نقول:

قفوا على ناصية أحلامكم و قاتلوا، لأنهم سيستمعون.

كلمة شكر

نشكر كل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود، خاصة المتعلمون و المتعلمات في ثانوية الرازي و إعدادية ابن العربي الحاتمي، كما نشكر كل الأسر التي كانت شريكا فعليا و عبرت عن إرادتها الفعلية في تطوير ذاتها.

نشكر كل الفاعلين في ميدان التنمية البشرية بصدق و مسؤولية.

نشكر كذلك كل رؤساء الجماعات القروية الأربع و رئيس الجماعة الحضرية في تازناخت على التشجيع الذي تلقيناه منهم و الدعم المعنوي الذي يُقدمونه لكل الهادفين إلى إصلاح المنظومة التربوية في المنطقة و بالتالي إنجاح المشروع التنموي الوطني.

المقدمة

عرفنا ونحن نحاول تدريس الفلسفة لأقسام الجدوع المشتركة أننا ملزمون بمعرفتهم أولا.لقد كانوا مراهقين و مراهقات مختلفين عن الفئات العمرية التي كنا نمارس معها فعل التفلسف من قبل.

كانت معرفتنا بهم غير مُؤسسة، فهم مراهقون غير مسؤولين و أحيانا قد يكونون خطيرين بتمردهم و عصيانهم.لم نستغرق وقتا طويلا لندرك أن حكمنا كان خاطئا و أنه علينا تصحيح تمثلاتنا السلبية حول هذه المرحلة العمرية،لهذا أعدنا رفع شعار الفيلسوف "جون جاك روسو"و الذي يمكن اعتباره نصيحة لكل المشتغلين بالتربية:" ابدأوا بالتعرف على أطفالكم أولا".يحمل الشعار في ذاته معادلة مفادها أن أساس تربية و تعليم المتعلمين و المتعلمات هو معرفتهم. من هنا و من هذا المنطلق ظهرت مؤخرا مجموعة من الدراسات النفسية و الاجتماعية و التربوية التي تبحث في الطفولة من أجل فهم هذه المراحل العمرية و بالتالي معرفة إمكانياتها و حاجياتها، إذ لا يمكن أن نُعلم و نُربي و نحن لا نعرف جماعة البيت أو جماعة القسم معرفة علمية.

لم يعد بإمكاننا الصمت أكثر،فقط،لأن اللحظة تتطلب ثورة حقيقية ضد عدم الإستماع و التهميش و الاقصاء من دائرة الفعل.لنقف على ناصية الحلم جميعا و نجتهد من أجل تعليم أفضل و تطبيب أكرم و وطن نرضاه لأنفسنا نشرفه و يشرفنا.لنعلم جميعا أن ثورتنا ليست ضد حزب أو نظام أو جماعة، إنها ثورة ضد الجهل و الفقر.

منذ البدايات الأولى للإنسانية وهي تعمل على تجاوز هذين العائقين.إنها حرب مستمرة باستمرار الانسان، يخوض كل منا معركته في زمنه و مكانه،و نفعل ما فعل سقراط و أفلاطون و أرسطو و الفارابي و غيرهم، لقد حاربوا الجهل لأنهم أدركوا أنه قاتل لإنسانية الإنسان،هذا ما تفعله المجتمعات إلى حدود اللحظة، كل يخوض معركته ضد الجهل الذي يعيق عملية بناء الانسان، والكل يجدد و يبتكر أسلحة جديدة وفعالة تقضي على الجهل أوعلى الأقل تُقزم من حيز تواجده.

لا يمكننا إلا أن نحارب كباقي الشعوب و أن ننخرط في معركتنا في بلدنا و زمننا من أجل الخروج بأنفسنا و وطننا من التخلف و الجهل، إلى حياة تقوم على المعرفة و العلم و الإعتراف بالانسان.

علينا محاربة التخلف، شيء أكيد، لكن من أين نبدأ و كيف نفعل؟ منذ الاستقلال وإلى الآن و نحن نعاني من عدم فاعلية المنظومة التربوية و عدم تحقيقها للأهداف المنتظرة منها،لأن محاربة التخلف تعني إصلاح المنظومة التروبية و التي حددتها كل الحركات الاصلاحية في العناصر الثلاثة التالية : المعلم/المتعلم/المعرفة. لقد حان الوقت لندرك أن مسألة الإصلاح تقتضي الخروج عن هذا المثلث، لأن المشكل الفعلي و الخطير يوجد داخل الاسرالتي لا تمتلك ما يكفي من المعارف و لا من المال لتقدم تربية حداثية لأبنائها.تُؤثر التربية التي يتلقاها الانسان في الطفولة المبكرة بشكل كبير في عملية تشخصنه ،لأنه يتلقى تربية تقليدية غير مُؤسسة علميا و هي لا تستهدف الخصائص المهمة في نمو الطفل :الجرأة – الإستقلالية – المبادرة – المسؤولية – الحرية –القدرة على الإختيار-الإنتماء إلى هوية هي الوطن.لا تعرف الأسر،على الأقل في منطقة البحث، كيفية بلوغ تربية حديثة، ليس لأنها لا تريد و لكنها فقط لا تمتلك الأدوات العصرية لفعل ذلك، و في نفس الوقت لا تمتلك من المعارف ما يكفي لفهم الظواهر و معرفة وظيفتها تجاه أبنائها. ما تُفسده الأسرة ،و الإختلالات التي تبنى عليها الطفولة تجعل هيكل هذه

الأخيرة غير متوازان، فيحمل المتعلم هذا اللاتوازن إلى المدرسة ليبني المدرس على قاعدة مختلة فينهار كل الهيكل.

تظهر مشاكل التعلم في المؤسسات التعليمية، فنعتقد أن المدرسة لاتؤدي وظيفتها كما يجب، و علينا تصحيح مسارها لنُعيد لها فاعليتها.تظهر المشاكل في المدرسة لكنها صُنعت في الأسرة.يأتي الطفل إلى المدرسة و قد أحدث ألفة بينه و بين العديد من الاساءات و أخطرها قبوله فكرة معاقبته و من طرف الجميع. يخاف الطفل و لا تكون له الجرأة على الكلام و لا يعرف كيف يفكر، حتى سلوكاته الحسية الحركية تكون مختلة في بعض مظاهرها،لا يستطيع التعبير و لا يمتلك القدرة على قول (لا) و قد يكون متمردا بشكل غير مقبول وعنيف.

يحضرالطفل للمدرسة وهو يحمل مشاكل جسدية و نفسية و اجتماعية، لا يمكن للمدرس أن يتعامل معها، لأنه ليس أخصائيا نفسيا أو اجتماعيا .عدم معرفتنا للحل راجع لعدم انفتاحنا على كل المؤسسات المهتمة بالتربية و أولها الأسرة.إن حراكنا بين المثلث (معلم –متعلم –معرفة)، و لمدة زمنية طويلة،لم يُثمر غير تراجع في أداء المنظومة التعليمية و هذا أكبر هدر للزمن و المال و الرأسمال البشري.

تتطلب منا اللحظة التاريخية أن نستيقظ و أن ننظرخارج المدرسة. إن الأسرة أول خلية لإنتاج الانسان و علينا أن نحرص على ألا يخرج معاقا من وحدات الإنتاج هذه، و إلا ستستمر الأسر في إنتاج نفس النوع ،و سيستمر المدرس في نفس العلاج،لنصبح شعبا يعيد إنتاج نفسه باستمرار و لكن دون تقدم.

لا تحتاج الأسر إلى محاربة الأمية و الحصول على شواهد إتباث قيام الجهات المسؤولة بعملها. تعرف الأغلبية من المواطنين الكتابة و القراءة و الحساب، لكن هل يكفي هذا؟.ما قيمة هذه المعرفة عندما نستطيع أن نقرأ دون فهم، و أن نكتب ما لا نعرف، و نقوم بحسابات قد لا نعرف قيمتها.إن هذا جهل مُقنع و غش في بناء المواطنين و المواطنات و الإنسان بشكل عام.

تحتاج الأسر إلى تعلم التفكير والتمكن من مهارة التحليل و النقد و الفهم. كما يجب أن تدرك أن كل فعل يكون، دائما، مسبوقا بتفكير، لأن بالتفكير و التعبير و الجرأة و المسؤولية والإبداع و القدرة على المبادرة و النقد يتحقق الإنسان. نظن أنه من السهل محاربة الأمية و لكن من الصعب محاربة الجهل، ربما هذه الصعوبة والخوف من متطلباتها العقلية والمادية، هو الذي أبقانا و لمدة طويلة داخل مثلث المعلم و المتعلم و المعرفة.

كما تكون الأسرة تكون الدولة، و البعض الكثير من الأسر مازال تقليديا غير منفتحا على متغيرات العصر و متطلباته و إمكانياته، وكذلك هو البعض الكثير من الدولة، غير أن الإصلاح لا يمكن أن يكون ناجحا إلا إذا إنطلق من الوحدة التي تُعتبر أساس الدولة و هي الأسرة، لنخرج من المثلث إلى حين،لا نقول إهماله لأنه يبتغي كذلك نوعا من الإصلاح، و لكن بعد أن نعالج الإختلالات التربوية التي تعرفها الأسر. يمكن أن تعطى الأولوية في الإصلاح للأسر، لأن صلاح الأسرة هو صلاح باقي المؤسسات الاخرى بكل تنوعها وتعددها. نحتاج لبرنامج وطني لإصلاح الأسرة المغربية خاصة في المناطق القروية، و نظن أن الأمر مستعجل.

دفعتنا كل هذه الأسباب إلى المساهمة بأفكارنا وآرائنا المتواضعة، والتي تحتاج للكثير من الدراسة و الإستماع، لعلها تستطيع أن تُخفف أوجاع الوطن.

كان خطاب الملك "محمد السادس" في20 غشت 2013، خطابا تحفيزيا لمن أراد العمل و مستفزا لمن يُعيق تقدم هذا البلد.

هو خطاب غضب و حرقة و ألم على ما آل إليه التعليم في المغرب، خطاب غيرة على وطن نريده أن يكون أفضل الأوطان ونعلم أن ذلك لن يتحقق إلا عبر إصلاح فعل التربية والتعليم الذي تقوم به جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة-الشارع – المسجد – المدرسة – الثانوية – الجامعة .....).

إنه خطاب ثورة، إذن، ثورة فعلية ليست ضد جهة أوحزب أو نظام أوجماعة، و لكنها ثورة ضد الجهل و الفقر والتخلف و هدرالرأسمال البشري الذي يعتبر قيمة القيم، إنها ثورة ضد هدر الزمن الذي لا يُعوض.

تقتضي المساهمة في هذه الثورة تشخيصا علميا نابعا من إرادة وطنية فعلية للإصلاح، لأننا لا نريد أن نحتل آخر المراتب عالميا في التنمية و التعليم والتطبيب، لا نريد أن نُحس بالمهانة أمام شعوب أخرى.

نحن شعب بطل، يمكنه أن يبدع، يبادر، يقترح و يشارك في تحقيق و إنزال إقتراحاته إلى واقع الممارسة و التطبيق، ربما نحتاج لمن يستمع للأسر و الأطفال، القروين والحضريين، لأن الحلول توجد دائما في الظواهرو ليس خارجها.

كان خطاب 20 غشت مُشجعا على التفكير و الإقتراح و الإبداع، لهذا حاولنا أن نحدد مكامن الخلل في عمليات الإصلاح التي تخضع لها المنظومة التربوية من داخل مجال إشتغالنا و هو التعليم، و من داخل الوسط الذي نمارس فيه و هوالمجال القروي.

عملت كل الخطابات الرسمية على وضع خريطة طريق للإصلاح، بدأت مع الملك الحسن الثاني رحمه الله عندما صرح بضرورة إنتقال المؤسسات التعليمية من تعليم الأفكار إلى تعليم التفكير، و هاهو خطاب الملك محمد السادس يُعاود رفع نفس التحدي لإدراكه أنه لاخير في أمة ينتصر فيها الجهل على العلم و المعرفة و تنتصر فيها السياسوية على التسيير و التدبير العقلاني للوطن والمواطنين.

إنطلقت محاولتنا من العودة إلى تجارب الشعوب في مجال التربية لنتبين المراحل الكبرى التي مرت منها، ثم حاولنا التعرف على المراهقين والمراهقات من خلال الدراسات النظرية المنجزة في هذا الشأن، بعدها ربطنا بين المتعلم و الحق في التعلم من خلال ما تنص عليه المواثيق الدولية المهتمة بتربية و تعليم الأطفال. كانت هذه المعرفة الأولية بمثابة النمودج المثالي الذي تحدث عنه السوسيولوجي "ماكس فيبر"و كان من الضروري مقارنة ما توصلنا إليه من خلال الدراسة النظرية بالواقع الذي نحيا فيه. حاولنا من أجل هذا الغرض التعرف على الأسر و علاقتها بالتربية، خاصة مرحلة المراهقة و في نفس الوقت كان من الواجب علينا أن نتعرف على المراهقين و المراهقات في منطقة قروية في جنوب المغرب تسمى تازناخت، وهي تتضمن خمس جماعات، أربعة منها قروية و واحدة حضرية. شرف

لنا،إذن، أن نتقاسم معكم ما توصلنا إليه، و نرجو أن يشكل هذا العمل قيمة إضافية تساهم و لو بقسط قليل في عملية إصلاح المنظومة التربوية حتى تتمكن من أداء وظائفها بشكل فعال و عقلاني.

التربية

تعتبرالتربية الوسيلة الأولى التي أخرجت الإنسان من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية، بواسطتها استطاع أن يهذب سلوكا ته وأفعاله لينتقل من كونه مجرد كائن إلى إنسان يحاول دائما السيطرة على الطبيعة عوض الخضوع لها. إن التربية قنطرة عبور نحو الإنسانية، لهذا حاول الناس و منذ زمن بعيد تطوير أفعالهم و سلوكا تهم لتستجيب لمتطلبات المرحلة التي يعيشونها و الإمكانيات التي تقدمها.

يعني هذا، أن تجارب الإنسانية في هذا المجال متراكمة كأحداث تاريخية و وقائع ،و ربما العودة و الإطلاع عليها، أو على بعضها على الأقل، قد يعود علينا بالنفع لأنه وكما يقال، توجد فوائد كثيرة في الرجوع إلى التاريخ أهمها التعرف على أخطاء من سبقونا و العمل على عدم تكرارها.

كان الحديث عن التربية و عند مختلف الثقافات و الشعوب مرتبطا بمفهوم الأزمة بشكل عام، كلما عرف مجتمع ما أزمة تخلخل ثبات البنية الاجتماعية والإقتصادية والسياسية إلا و يعود للبحث في طبيعة المنظومة التربوية، و التساؤل حول الوظيفة التي يجب أن تؤديها ،و كيف يجب أن تفعل ذلك؟. في زمن الحروب و الثورات و الأزمات السياسية ندرك أن هناك خللا في عمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية،و بالتالي ضعف مردودية المنظومة التربوية. يستجيب الكل لنداء الواجب فينخرط الجميع، سواء كان متخصصا أم لا في تشريح جسد المنظومة التربوية لتشخيص طبيعة المرض و موقعه، فنعيد هيكلة المنظومة حسب إمكانياتنا المادية و العقلية و حسب متطلبات العصر ، غير أن أساس البناء ،أحيانا ، قد يكون مهترئا ليتطلب الأمر بناء أسس جديدة، أسئلة جديدة و أهداف جديدة سمحت و مازالت تسمح لكل الشعوب بالانتقال من حال إلى حال و من مرحلة إلى أخرى، بشكل يجعل من كل مرحلة جديدة مناسبة لميلاد إنسان جديد يفكر بشكل مختلف و يطرح أسئلة جديدة ليضع خريطة طريق نحو المستقبل، لكن بشكل عقلاني .

إن البحث في التربية بحث ضمني في الإنسان، في ماهيته قصد معرفته لأنه مقياس كل شيء.

يتميزالإنسان بالحركية والديناميكية وهذا جزء من طبيعته، لا يستطيع أن يستمر على نمط واحد من الفعل، بل يعمل على تجديد نفسه باستمرار و بالتالي تجديد فهمه للعالم و للآخرين، فطبيعته لا تقبل القولبة و النمطية و الثبات، فقط لأنه حركي و متغير بطبيعته. علينا إذن، ملاحقة مفهوم الإنسان أولا في ثوابته التي تشرع لوجود مفهوم الإنسان ،ثم في المتغيرات التي تشرع لوجود مفهوم الناس.كيف انتقلت الشعوب و الأمم من جهل أكبر إلى جهل أقل ثم علم أقل....؟ كيف يتقدمون و يحققون التنمية بمعناها الصحيح في مجتمعاتهم ؟ كيف أسسوا دولة الحق و القانون القائمة على الاحترام، الذي يعتبر اعترافا بالإنسان و الناس في نفس الوقت ؟ مازلنا ، إذن ، لم نجد أجوبة علمية لسؤال النهضة لماذا تقدم الغرب و تخلفنا ؟

تبين العودة إلى تاريخ الغرب أنه ليست هناك وصفة سحرية للتقدم ، بل هناك حب الأوطان الصادق و الغيرة على الهويات،وعمل عقلاني جاد من أجل إثبات الذات و ذلك عبر الإنفتاح على التجارب

الإنسانية و الإستفادة منها، والعمل على تطويرها وتحيينها لتواكب العصر و تستجيب للحاجيات المطلوبة لحياة تحترم الإنسان، و تدرك مُسبقا أن هذا الأخير يكتشف نفسه باستمرار و لابد لكل شيء أن يتغير مع كل اكتشاف جديد. يتجدد الإنسان بشكل دائم و هذا يفترض معرفته و معرفة إمكانياته و إعطائه الفاعلية الملائمة، وأساس هكذا فعل هوالوطنية و العقلانية العلمية و احترام حقوق الإنسان ،أي الابتعاد عن السياسوية و ترسيخ ثقافة الحوار من أجل تدبير و تخطيط سليمين للوطن و المواطنين.

ظهرت الحاجة إلى التربية بظهور التجمعات الإنسانية الأولى، أي الأسرة، وبالتالي يصبح الشرط الأساسي للتربية وجود خلية إجتماعية. غير أنها لم تكن رهن إشارة الإنسان كما هي عليه اليوم ، على الأقل في بعض الدول. إذ لم تسمح طبيعة الحياة في المرحلة البدائية من ظهور التربية نظرا لقسا وة العيش التي جعلت الإنسان في حراك دائم من أجل ضمان الاستمرارية . لم يكن هناك متسع من الوقت لهذا الترف المشروط بالتأمل و التفكير، و كأن الإنسان البدائي لم يكن له وقت كاف للتفكير في التربية، نظرا لإرتباطه القوي بحاجياته المباشرة. كانت التربية في حاجة إلى حسن تدبير الزمن ليتمكن للإنسان من التأمل و التفكير، ليس في حاجياته اليومية فقط، بل في ذاته و الآخرين و العالم. لكي تظهر التربية كانت هناك حاجة لشرطين: الاستقرار و الأمن و قد نقول أنهما مازالا شرطان أساسيان، لأن المفهومين و رغم تغير أنماط العيش، مازالا يحملان جوهرا ثابتا يعتبر أساس التربية سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

قامت التربية أول الأمر على التقليد أو المحاكاة، محاكاة الأطفال الذكور للرجال و الإناث للنساء، و هي تربية عشوائية تلقائية و غير واعية، قد نسميها تربية طبيعية أو تطويع تلقائي عضوي قد لا يقوم على الإكراه. التربية في هذا المستوى هي أن تفعل كما يفعل الكبار، لكن هل يمكن أن نقول أن هذه التربية قد زالت و حلت محلها أشكال جديدة للتعلم، أم أنها مازالت مستمرة خاصة في المجتمعات المتخلفة عن الركب الحضاري ؟ما زال التقليد كشكل من أشكال التعلم مهيمنا، فالطفل يفعل و يتصرف كما يتصرف البالغ. نقلد الأفعال والتفكير و التصرفات و نحافظ عليها و نسلمها لجيل جديد و نستمر، ظنا منا أننا نحافظ على هوية و تراث و ذاكرة و نحمي أصولنا الثقافية. نعم مازال هناك حضور للمحاكاة والتقليد، الشيء الذي يجعلنا مسؤولين عن أفعلنا و تصرفاتنا أمام أطفالنا و تلامذتنا، وفي نفس الوقت ملزمين بتطوير تربية جديدة تقوم على العلم و الوعي، و نقطة البداية هي الأسرة لأنها الفضاء الأول للتربية، و يجب أن تكون محصنة بالمعارف والعلوم حتى تتمكن من تجويد الفعل التربوي، ثم لابد من العمل على تحديث المدرسة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية لتقدم تربية عقلانية تقوم على العلم و المعرفة العلمية بالطفل و الطفولة بشكل عام .

لم تنطلق التربية في بدايتها الأولى من الإنسان و فهم طبيعته، بل كان أساسها الإستجابة لنمط الحياة الذي قد تحدده الإرادة العامة الحاكمة، سواء كانت حزبا سياسيا أو قوة عسكرية أو سلطة دينية . لم يكن الفعل

الإنساني مسخرا لذاته بل لخدمة غيره ، يسمح هذا بتقسيم المجتمعات الأولى إلى طبقتين :طبقة تحكم لتحكمها في السلطة المعرفية و هي النخبة و طبقة تخضع بسبب جهلها و افتقارها للمعرفة كأداة للحكم.

هذا ما تظهره بعض الحضارات القديمة مثلا ، فقد عرفت مصرالقديمة انقسام المجتمع إلى طبقتين :

طبقة رجال الدين مالكي العلوم والمعارف، ثم طبقة المنتجين، سواء باعتماد المادة (الحرفيون) أو الأرض (الفلاحون). لم تكن التربية ممكنة للجميع بل كانت سلاح من يوجدون على رأس السلطة، و كانت وظيفتها تربية المصري القديم على التصرف و الفعل وفق إرادة الآلهة. و في مراحل متأخرة من تاريخ الحضارة المصرية تحولت التربية نوعا ما لترتبط بالقراءة و الكتابة ثم الحساب البسيط ثم الهندسة التطبيقية، المطلوبة لإعادة رسم الحدود بين الملكيات خاصة بعد فيضانات النيل التي تزيل الحدود. ارتبطت التربية دائما بحاجيات المجتمع من رأسماله البشري و كيفية توجيهه نحوأهداف محددة.

ماذا نريد من أطفالنا؟، وكيف نتصور و نرسم مستقبلنا و إياهم؟، كيف نرسم معالم الوطن الملائم الذي لا يبقى فيه الإنسان عاطلا عن الفعل الجيد في زمنه و بلده و عالمه ؟

لم تتطور التربية إلاعندما بدأت العلوم بالإستقلال، نسبيا، عن الهيمنة الدينية و الفهم اللاهوتي للعالم و الوجود بشكل عام، لأن قضايا الإنسان ليست كلها دينية، الكثير منها مرتبط بواقع و جغرافية تتطلب فهما معينا قصد معرفة قوانينها و التحكم فيها.بدأ العلم يفرض ذاته في المجالات التي يعجز فيها الدين.

للحضارة الفارسية، في زمنها، تصور جد متقدم للتربية، فعندما يبلغ الطفل 7 سنوات ينتقل من فضاء الأسرة ليعيش بمنازل جماعية تحت مراقبة مربين منتخبين(1)، و كانت أول تربية يتلقاها الطفل تربية عسكرية (رمي الرمح /استعمال القوس/ ركوب الخيل...)، إستهدفت هذه التربية جعل الطفل أكثر احتمالا للعطش و الجوع و التعب. إنها تربية تصنع محاربين، لكنها كانت تربية منظمة و مؤسَسة لتضمنها لجانب أخلاقي تمثل في حب العدالة و قول الحقيقة، غير أنه لا يمكن إخفاء الأصول الدينية لهذه التربية ، خاصة تأثير الديانة الزرادشتية القائمة على صراع الخير و الشر. كانت للنبلاء و ليس للعبيد و النساء، هي إمتياز، إذن، و ستحتاج الإنسانية إلى قرون عديدة لتتحول إلى حق.

في الصين و مع (lao-tse)(2) ظهرت التربية بشكل متميز، لأن هذا الأخير قاد حملة ضد السادة الأشرار الذين يريدون إبقاء الأدمغة الصينية عاجزة عن التفكير، و الذين يعملون على نشر الجهل بين الشعوب بدعوى أنه يصعب حكم شعب يعرف كثيرا(3).

بدأت تظهر المطالبة الأولية بواجبات المجتمع تجاه أعضائه و ذلك منذ أزمنة غابرة، فكم من (lao-tse) تحتاج مجتمعاتنا العربية ليخبر السادة أن الجهل لا يخدم مصلحة أحد و أنه يحطم و لا يبني، و يخبرهم كذلك أن التجهيل لم يعد وسيلة للحكم و السيادة. بعد (lao-tse) عمد (كونفوشيوس) إلى تعليم الأخلاق التي تستهدف الخير العام للشعب و المتمثل في الاحترام الكبير للأسرة و الدولة و العادات و التقاليد ، إنها تربية عملت على تطويع الفرد ليتشبع بنمط العيش العام و الثقافة المهيمنة في ذلك العصر.

لم تختلف التربية عند العبرانيين كثيرا عن غيرهم من الشعوب، إلا أنهم تركوا أثرا مهما في هذا المجال ، تربية أساسها ديني بإمتياز. بمجرد أن أن يبدأ الطفل في تعلم الكلام تُعرفه أمه ببعض المقاطع من الكتاب المقدس، لقد قامت التربية عند العبرانيين على القسوة، بل الكثير منها لأنه على الطفل أن يدرك انتمائه لخير أمة أخرجت للناس، لهذا عملت التربية على ربط الطفل بخالقه. في العام (64م)تقريبا ظهرت فكرة تعميم التمدرس و بناء المدارس في كل المدن العبرانية، ليتعلم فيها كل طفل بلغ من العمر 6 سنوات. كان التعليم في عمومه مجانيا ،غير أن معلمي الأقسام العليا تقدم لهم هدايا بالإضافة للوظائف التي يمارسونها إلى جانب التدريس و تمثلت أهلية المدرس في كونه أولا متزوجا وله عمر يُظهر غنى تجاربه الحياتية و يحظى بالتقدير و الإحترام. وضع الكتاب المقدس بالنسبة للعبرانيين المدرس في مرتبة أعلى من الآب و هذا تعبير عن قيمة التعلم و التعليم و المعلم في نفس الوقت .

إلى حدود هذه اللحظة الزمنية مازالت التربية مرتبطة بالدين، إرضاء الخالق دون أي إرضاء للذات أو استجابة لحاجيات الإنسان الفعلية، فالإنسان عبد مسخر لخدمة الآلهة .

رغم ما قدمته اليونان، خاصة أثينا، من إهتمام بالأدب و الفن و الفلسفة و العلم، فإن التربية مازالت في بدايتها الأولى، حيث يعتبر الإنسان مجالا للإستثمار لصالح إرادات أخرى غير إرادته. تعددت أشكال التربية في اليونان بتعدد القبائل و تأثرت باختلاف طبائعها : أثينا مدينة العلم و العلماء، الفنانون ، الفلاسفة، في حين أن إسبرطة كانت مدينة المحاربين الأقوياء الغزاة. كان هدف الإسبرطي البالغ من الطفل هو أن يصبح محاربا، و بالتالي الإهتمام أكثر بالتربية البدنية العسكرية ابتداء من سبع سنوات على يد معلم تعينه السلطة الحاكمة . لاقيمة للفرد إلا داخل الجماعة، و القيم المهمة هي قيم الجماعة و مجلس الكبار هو من يحدد حياة الطفل أو موته. الملاحظة المهمة هي أن الإسبرطيين كانوا يربون البنات بنفس الشكل، فالمرأة القوية تمنح نسلا قويا(4). لم يكن الدين هو المهيمن في إسبرطة بل الدولة، أما في أثينا فقد كانت لها مواصفات أخرى، توازن بين الرحمة و القسوة فحتى اليوم الخامس من ولادة الطفل يمكن للأب أن يقبل الطفل أو يرفضه، ليس هناك قتل كما هو الحال عند الإسبرطيين ، غالبا ما كان الأب هو المربي الأول و بعد ذلك تأتي المدرسة حيث يتعلم الطفل النحو والقراءة و الكتابة و الحساب ثم بعد ذلك الهندسة و الرسم و الموسيقى. إبتداء من 14 سنة تبدأ التربية البدنية،و عندما يصل الطفل إلى 18 سنة يلتحق بالخدمة العسكرية لمدة سنتين، لم يكن للفتاة موقع أو نصيب من كل هذه العمليات .

تدفعنا العودة للتاريخ أحيانا و التمعن في الآثار التي خلفتها الأحداث والوقائع إلى التساؤل عن إبداعاتنا ، عن خلقنا و إبتكاراتنا و مدى إضافة قضايا جديدة خاصة بعصرنا، نقول هذا لأن كل الحاضر موجود في الماضي، كل ما نتحدث عنه من قضايا و إشكالات ليس نحن من أبدعها، و لكننا نفكر في قضايا طرحها أجدادنا، و ما نحاول فعله هو تطويرها لتستجيب لمتطلبات عصرنا، ربما إعادة هيكلة الماضي بعقلانية معاصرة هي التي تسمح بالتقدم. يمكن للتربية أن تصنع الإنسان حسب الإيديولوجية التي تنطلق منها، لا أحد يمكنه الإفلات منها، قدر الإنسان أن يربى، لكن قد يكون بناء الشخص الحر المفكر المبدع هو أخر اهتمامات التربية التي تريد أن يكون المواطن، إما خاضعا لله أو الدولة أو لهما معا، خضوع وامتثال، علاقة تقوم على ثنائية (السيد و العبد) كما ذهب إلى ذلك الفيلسوف "هيغل" .

كانت القرون الوسطى الأوروبية زمن الحط من قيمة الإنسان بإمتياز، إحتقار الجسد و تجاهل المادة، فقط لأن العالم نقطة عبور نحو عوالم أخرى أهم، و وظيفة الإنسان هي التحضير لعالم البقاء الأبدي، و

بالتالي سُخرت كل أعمال الإنسان لخدمة الحقيقة اللاهوتية . كانت التربية اخلاقية دينية و عملت على بلوغ ذلك من خلال دراسة الفنون السبعة (النحو –البلاغة –المنطق) ثم (الجبر -الموسيقى -الهندسة - الفلك)، غير أن المرحلة الأخيرة من القرون الوسطى عرفت ظهور الجامعات الأولى (فرنسا 1200م) (أكسفورد 1206) (نابولي 1224)، و قد اعتمدت التربية على السمع أكثر من القراءة نظرا لندرة

الكتب و وذلك تحت شعار (صلي و اعمل). كما عرفت هذه المرحلة الأشكال الأولى لتقسيم العمل و ذلك بظهور مقاولات صغيرة بها (معلم – مساعد - متعلم).

كان الكل يعمل بمبدأ: « bien servir et obeir ». (5)

يظهر من خلال هذه الأحداث و الوقائع أن التربية كانت، ومنذ زمن بعيد، مركز إهتمام الإنسان لتحقيق رغبته الملحة في الخروج من وصاية الطبيعة و العمل على تهذيب سلوكاته لترقى لمستوى إنسانيته، لكن لصالح من هذا التهذيب و التطويع ؟ و من يحدد قواعد السلوك و التصرف؟

هل التربية خدمة لله أم للوطن أم للذات؟سؤال نوجهه للثقافة العربية و بالضبط للتربية العربية الإسلامية و التي لا يمكن إغفال مساهمتها المهمة في مجال التربية و إغنائها للفكر الإنساني عامة .

أول ما تأثرت به التربية العربية هو الثقافة اليونانية، ثم المجالات الجغرافية الأخرى التي عرفها العرب من خلال التوسعات الإسلامية، وبالتالي الإنفتاح على عوالم جديدة، ثقافات مختلفة، لغات غريبة أي عوالم للإكتشاف و التعلم، وقد إمتدت هذه التوسعات إلى آسيا ،إفريقيا و أوروبا .

كان هناك حضور للتكوين العلمي الذي كان شبه غائب في أوروبا القديمة. إنتشرت دراسة الجبر و الهندسة و الأعداد العربية، الفلك ثم الكمياء التقليدية(ALCHIMIE)، الفزياء، الطب، التشريح. في بغداد، مثلا، كانت خزانة كتب كبرى تغذي الفكر، أمر طبيعي فهذا زمن الترجمة، ترجمة كتب أرسطو و أفلاطون بالإضافة إلى كتب أخرى في مجال الجغرافيا، الرياضيات والفلك. هكذا عملت الثقافة العربية الإسلامية على إنقاد بعض من التراث الإنساني وذلك بالمحافظة عليه عبر الترجمات التي أُنجزت في ذلك العصر (6). بنى العرب المدارس قرب المساجد و أحيانا كثيرة تتحول المساجد إلى مدارس عليا، كانت متسامحة أكثر بسماحها لليهود و المسيحيين بالتعلم غير أن المدرسين كانوا مسلمين.

تسمح لنا العودة للتاريخ بالتعرف أكثر على الفعل التربوي الإنساني، فتبدو لنا التربية كائن حي ظهر بظهور الحياة الجماعية، ونما كما تنموا كل الكائنات الحية، كان له في كل مرحلة عمرية شكل و مبادئ و قيم . إن التربية بناء مستمر و تراكمي، فنحن نحتفظ بالأحداث والوقائع و نعدلها إما بالزيادة أو النقصان. لقد أظهر ما سبق أن التربية لن تستقيم إلا إذا أدركنا قيمة استقلالية التعليم و رفضه الطبيعي لكل تبعية لاهوتية أو إيديولوجية و إنما الإيمان بأنه عملية تستهدف مساعدة الإنسان على بناء ذاته بشكل سليم، حتى تستجيب للمعنى الحقوقي المعاصر الذي يحمله الإنسان في ذاته بشكل طبيعي .

لم تبدأ عملية تحرير التعليم و بالتالي الإنسان من اللاهوت بالأمس القريب فقط، بل كانت دائما موجودة و ستظهر بشكل قوي في عصر النهضة الأوروبية، ثم بشكل أقوى في العصور الحديثة بعد ذلك.

حاول النسق التربوي المُعتمد في القرون الوسطى، المحافظة على ذاته وضمان إستمراريته غيرأن هذا أدى إلى تحجر في العقليات والطرق المعتمدة في التدريس(SCLEROSE DES METHODES ET DE L'ESPRIT)، لعدم مسايرة التعلمات لواقع العصر و لمتطلبات الحياة. يظهر النقد الموجه للتربية ذات الأصول الدينية أواللاهوتية في كتابات كل من :-RABELAIS-MONTAIGNE BACON-DESCARTES، و قد عبر البيداغوجي "AGRICOLA" عن رفضه التدريس في المدارس الدينية حيث قال:

« On voulait me confier une ècole ; c'est une affaire trop difficile et trop ennyeuse. Une ècole ressemble à une prison : ce sont des coups, des pleurs et des gèmissements sans fin. Si une chose à pour moi un nom contradictoire, c'est l'ècole. ».(8)

يقول هذا لأن المدرسة تعني المتعة و اللعب الأدبي، الإبداع وهذه أمور غير واردة في المدارس الدينية.

بدأت مرحلة الجرأة و القدرة النسبية على قول " لا" أو" توقفوا" ، هناك تصورات أخرى جديدة للتربية، و هي لا تستمد أصولها من مرجعية دينية أو قوة سياسية، و لكنها تصورات أساسها العقل و التفكير العلمي .إن إكتشاف الطباعة عام 1440 م سمح بإستعمال الورق، وبوفرة الكتب و من تم وصولها إلى أكبر عدد من الناس. يمكن أن نصف النهضة الأوروبية بأنها مرحلة ولادة جديدة و إعادة تأسيس الذات الأوروبية وبنائها على ثوابت علمية وعقلية، وهذا ما سيظهر في مرحلة العصور الحديثة إبتداء من القرن 17م. قال "محمد أركون" في هذا الصدد: "ينبغي أن نعلم أن العقل في أوروبا بدأ يقلع حضاريا بدءا من القرن 16م و 17 م. بدء من تلك اللحظة راح ينطلق على أسس جديدة غير التي كان يعرفها سابقا. و حينما أعود إلى اسبينوزا و ديكارت و أرى ماذا فعلا في القرن 17م؟، أرى أن ما فعلاه لا يقدر بثمن لقد أعطيا الإستقلالية الذاتية للعقل البشري وللذات البشرية بعد أن إنتزعاها إنتزاعا من براثن العقل اللاهوتي القروسطي. هل تعلم ماذا يعني ذلك، وما حجم الثورة الإنقلابية التي يشكلها في تاريخ الفكر؟.(9)

"أنا أفكر، إذن، أنا موجود"، وعندما يغيب التفكير يغيب الوجود وينعدم. كان هذا الشعار الضمني للقرن السابع عشر، بداية العصور الحديثة، وهو شعار ثورة قادها كل من ديكارت و اسبينوزا و فلاسفة و مفكرون آخرون ضد الجهل و التخلف و العبودية و كل أشكال القهر التي سادت في القرون الوسطى. ثورة إستهدفت مواطنا أوروبيا جديدا، حرا مستقلا عن الوصاية التي يفرضها رجل الدين، وقادر في الوقت ذاته على ممارسة التفكير و مُدركا أنه شرط الوجود. و

كأن ديكارت يريد القول أنه تم تغييب الإنسان أو المواطن الأوروبي في هذا القرون ولابد له من الحضور من جديد، وشرط هذا الأخير هو العقل. هذا ما عبرعنه لاحقا الفيلسوف كانط في قولته الشهيرة: "اجرؤ على إستخدام عقلك الخاص". إنها حرب خاضتها الإنسانية و مازالت تخوضها ضد كل أشكال تغييب الإنسان، كل هذه الثورات ماكانت لتُنجز لو لم تعتمد مقاربات جديدة للتعلم و التربية بشكل عام.

رغم كل التغيرات الفكرية و الاجتماعية والسياسية التي عرفها القرنين 17م و 18م، فقد بقيت التربية أرستقراطية يستفيد منها أبناء النخبة فقط. لم يستقل التعليم، بعد، عن هيمنة الكنيسة و الوصاية المفروضة من طرف رجال الدين، مازلنا جد بعيدين عن المرحلة التي سننظر فيها للتعليم كحق به يكون الإنسان و يتحقق.

إن الهدف الأساسي للإنسان، ومنذ البدايات الأولى هوالإنتقال بذاته من مستوى كونه كائنا إلى مستوى إنسان، وتاريخ الفكر البشري شاهد على ذلك: فلوكانت، مثلا، ديموقراطية "بركليس " حاكم اثينا، في زمن سقراط، قائمة على العقلانية بمعناها الصحيح و ليس الد يماغوجية، لما عرفت اثينا ما عرفته في زمن هذا الحاكم. أدرك "سقراط" أن ما قام به "بركليس" إنما هو تلاعب بعقول الناس: لأن إستشارة مواطنين مشبعين بالفهم الأسطوري للعالم ولذواتهم و الآخرين، مواطنين تغلب عليهم الحماسة و يسهل التحايل عليهم وجدبهم لقبول الإنخراط في ما نريد، هو ما يعرف بالديماغوجية و هي التي كانت سببا في تحول التجربة الديموقراطية لبركليس إلى مـأساة .

أدرك سقراط و تلامذته أنه بالعلم و المعرفة نحيا و نصنع الدول العظيمة، فأعلن بمعية تلامذته الحرب ضد الجهل و التخلف و حارب في المعارك الأولى حتى يخرج المواطن أو الإنسان من الكهف الأفلاطوني إلى عالم المعرفة، من مملكة الضرورة إلى مملك الحرية، وعلمنا درسا مهما: أن هذه الحرب إنما هي معارك يخوضها كل إنسان في زمنه، لأن الجهل لا يموت بل يتناقص و قدر الإنسان هو الدفاع و حماية الإنسانية من بطش الإنسان، يجب أن نتعلم دائما كيف نحمي أنفسنا من أنفسنا .

إن التعليم شرط الوجود أولا و الإستمرارية بشكل فعال و إنساني ثانيا.

هم سقراط في اثينا و في زمنه، هو همنا في أوطاننا وفي زمننا. لم تعد المعارك ضد الجهل تعتمد الأسلحة العتيقة و البدائية، على الأقل في الدول المتقدمة، بل أصبحنا نحارب بأسلحة عصرية تتصف بالعقلانية القائمة على إحترام الإنسان، لأنه غاية في ذاته و ليس وسيلة لتحقيق غايات متعالية عنه. لا شيء متعالي على الإنسان .

كيف هو الإنسان في مجتمعنا؟، هل إنخرط كما فعلت أغلب شعوب العالم و خاض معركته ضد الجهل و الفساد والوصاية؟، أم مازال يغذيها ويحارب في الضفة الأخرى ضد تيار الإنسانية؟.

إن الكائن البشري مُريد للعلم والمعارف، قد يقبل الجهل أوالتجهيل على مضض، لكن في الأصل يبقى كائنا يحمل في ذاته و بشكل طبيعي القدرة على التفكير و الإبداع و الصناعة، و بمقدورنا أن نرسم معالم وطن يشرفنا ونشرفه، لكننا مثل النباتات تحتاج لأرض خصبة مشبعة بالديموقراطية و احترام حقوق الإنسان لنكبر و ننمو بشكل طبيعي و سليم، نحن كالشجرة مثمرة بالقوة أو بالفطرة إن وجدت فضاء يتوفر على إمكانية النمو و الإنتاج. يحتاج الإنسان لمن

يُخرجه من الكهف الأفلاطوني من عالم الجهل، الذي يجعله غير قادر على الفعل الحر، إلى عالم الحرية و المسؤولية.
لا خير في أمة ينتصر الجهل فيها على العلم و الظلم على الحق و العدل، لا خير في أمة يعتقد مواطنوها أنهم على علم بكل الحقائق، يتعصبون لذواتهم، يرفضون الاختلاف و بالتالي الانفتاح على العالم و التجارب الإنسانية المهمة . هذا نمط من التفكير ليس المواطن مسؤولا عنه و لا

هو من إختيار الناس، لكن تمت صناعتهم من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية على هذا النحو. إن "الدوكسا" أو الرأي الشائع أو الرأي العامي أو بادئ الرأي، لا يخطئ في التفكير، بل كما قال "باشلار" إنه لا يفكر بالمرة. عدم قدرة المواطن على ممارسة التفكيرهو عجز عن أهم الأفعال، لهذا نقول أن كل إصلاح يتطلب إرادة فعلية و نوايا حسنة تجاه الوطن والمواطنين، لأن الرأي الشائع، دائما، يقف عائقا أمام المعرف والفهم العلميين للذات والعالم. فلنحارب بشكل شريف في معركتنا ضد الجهل والتخلف كما فعلت كل الأمم من قبلنا، لنتعلم من تاريخ الشعوب المتقدمة أنها لم تصل بشكل عشوائي أو بالغش، بل وصلت لما هي عليه الآن بحبها لأوطانها وترجمة ذلك الحب في بناء وطن يستجيب لمتطلبات الإنسان بشكل عقلاني. لعبت الثورة الفرنسية 1789 م الدور الكبير في إعطاء معنى جديد للتربية و بالتالي للإنسان، فأدرك أهل ذلك العصر أن التغيير يجب أن يبدا بالمعلمين الذين كانوا يشكلون مرجعية للتربية التقليدية، و قد لعبت فلسفة " جون لوك" و "كونديلاك "و "روسو" الدور الأساسي في وضع تصورات جديدة للتربية و أهدافها و مناهجها .كان كتاب "روسو" (emile) بمثابة ثورة في مجال التربية و التعليم، حيث حاول وضع الطفل في مركز العملية التعليمية التعلمية. فإذا أصبحت الشمس مركزالكون فالطفل مركز التربية أو البيداغوجية. أدت هذه المقاربات الجديدة إلى إمكانية الحديث عن علم الطفل أو الطفولة و كان الرهان هو ترسيخ حق احترام الطفل و الطفولة .
هكذا انتقلنا أو لنقل انتقلت أوروبا من البحث عن البالغ داخل الطفل إلى البحث عن الطفل في الطفل كما قال "روسو" :"il cherche l'homme dans l'enfant".
لهذا أمرنا "جان جاك روسو" بمعرف أطفالنا أولا :
"commencez donc par mieux étudier vos élèves (10)."
معرفة الطفل، إذن، شرط أساسي لتربيته و تعليمه، فماذا نعلم عن أطفالنا، أبنائنا، تلامذتنا ؟من هو المراهق الذي أدرسه؟ كيف يجب أن أتعامل معه ؟ ما هي طبيعته، أحلامه،مخاوفه تصوره لذاته و الآخرين و العالم؟ ماذا تعرف الأسرة عن أبنائها و كيفية التعامل معهم؟ ألسنا كلنا، مدرسون و آباء و أمهات نبحث عن البالغ داخل الطفل أو المراهق كما قال روسو؟.
لكي نتعامل مع أي موضوع، رغم أن الطفل ليس موضوعا، لابد من معرفته أولا، طبيعته ، أسسه، نظامه،لأن أي تعامل مع الموضوع دون معرفة مسبقة به قد يؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها، قد تكون خطيرة و غير متوقعة و غالبا ما تكون عكس أهداف المنظومة التربوية بشكل عام، علينا ربما أن نرفع شعار : لنعرف أبنائنا أولا . لبلوغ هذا الهدف لابد من احترام نظام التطور و قانون نمو الحركات والقدرات و الأهداف و ذلك دون تغيير تراتبية النمو، و لا العمل على تسريع هذه الوثيرة، لنكف عن تسريع نمو أبنائنا و حرق مراحل النمو (تسريع تعلم

المشي، الكلام، تسريع الدخول المدرسي، تسريع المراهقة ...)،هذا تعسف على حقوق الطفل الذي يعتبر إنسانا آخر لا كما ننظر إليه نحن البالغون، يقول " روسو"في هذا الصدد:
«L'enfant n'est pas un adulte en miniature, mais l'enfant a une nature qui lui est propre, chaque age à ses ressorts qui le font mouvoir »(11)

ما يظهر على أنه مأساة، على الأقل بالنسبة للبعض منا، هو أنه منذ اهتمامنا الأول بتربية الأطفال اعتمدنا لتوجيههم أدوات كانت عبارة عن إهانات، احتقار، الخوف أو التخويف، ما لم نجربه هو الحرية المضبوطة (la liberté bien réglée) و ربما حان الوقت لفعل ذلك.
تقوم الحرية المضبوطة على أساس الاحترام، أي الإعتراف بالطبيعة الإنسانية وهو إعتراف بالحق الذي يعتبر شرطا ماهويا لتحقق الذات الإنسانية، لأن الحق هو العنصر الداخل في إتمام جوهر الشيء وإكمال فعله، هو عنصر جوهري، فالحرية والكرامة والتفكير والتعبير هي حقوق تنزل منزلة الماء و الهواء بالنسبة للإنسان، وربما أكثر، لأننا بالماء و الهواء قد نستمر كحيوانات، لذا يغيب الإنسان بغياب بعض حقوقه أو كلها. لنحاول جميعا السماح للإنسان فينا بالحضور و التعبير عن ذاته وفق إرادته وحسب إمكانياته. من حق المراهق أو الطفل بشكل عام في فهم معين للعالم و بالتالي التصرف و التعبير و الفعل حسب ما يقتضيه تصوره للعالم، و هو ليس تصورا خاطئا أو وهميا، بل مرحلة من مراحل بناء الفهم لوجود الذات و الآخرين، لكن انطلاقا من الذات نفسها من داخلها و ليس من خارجها .
إن المراحل العمرية للنمو الإنساني خاصة الطفولة والمراهقة و الشباب هي مراحل ضرورية و طبيعية، إنها قدر كل إنسان ولا مفر منها و لا يمكن العبور فوقها أو تحتها . من حق الإنسان، إذن أن يكون طفلا و مراهقا و شابا، و من حقه أن يستفيد من مراحل النمو هذه بشكل يجعله يُحس أنه محترم في مختلف مراحل عمره.
إذا كانت مراحل نمو الكائن البشري محددة بشكل مسبق أي طبيعي، فهذا لا ينفي قوة تأثير المحيط السوسيو- ثقافي الذي يكون فضاء لإشراق الإنسان. إن تعدد الثقافات و اختلاف الأزمنة لا يعني اختلاف المراهقة أو الطفولة، لأنها، ظاهرة طبيعية، و في نفس الوقت لا ينفي التأثيرات التي يجلبها كل عصر معه. لم يعد باستطاعتنا إخفاء أو تجاهل التعددية في الإنسان و الاختلاف، إنه كائن حركي وهذا قدره، ففي كل مرحلة يخرج إنسان جديد من صلب إنسان، نحن كالفراشات ننتقل من طور لطور ومن حال لحال أخرى، لا نغير أجسادنا فقط، بل نعرف مجموعة من التغيرات العقلية و النفسية و الوجدانية التي تشكل فعلا إنسانية الإنسان .
لنقل، إذن، أن معرفة الطفل أو المراهق أمر ضروري لمساعدته على بناء شخصية سوية و فاعلة بشكل مسؤول في محيطها السوسيو- ثقافي، و معرفة هذه الفئات العمرية لا يعني أن نُسقط عليها آراء البالغين، لأن المراهق ليس رجلا صغيرا أو امرأة صغيرة، المراهق هو من يجب أن يخبرنا عن نفسه، مشاكله، إمكانياته وأحلامه، و أن يُقدم على هذا بطريقته، من الواجب على البالغين تقبله والإعتراف بإبداعاته، ليس إرضاء أو نفاقا ولكن الإعتراف الضمني بأن الإنسان قادر على الإبداع، وأن لكل مرحلة عمرية إبداعاتها التي قد تُبهرنا إن انتبهنا إليها و أعطيناها الإهتمام الذي تستحقه. لنُعد التجربة السقراطية مع شبابنا، لنقبل بالإختلاف و حق الآخرين في التفكير والخطأ، ثم نعتمد الحوار كما فعل سقراط، في زمن بركليس، مع شباب اثينا ، و لنعمل

على أن تكون أخلاق المراهق أو الطفل و كذا أفعاله و تصرفاته نابعة من قدرته على استخدام عقله الخاص لا التصرف كما يُؤمر، هكذا يمكن أن نؤسس لحرية مضبوطة بالفعل .
هذا الفهم الجديد للإنسان هو الذي دفع "روسو " ليقول:
« vivre, c'est le metier que je veux apprendre à emile »(12)

حاول "روسو" تُرسيخ فكرة أن التعليم حق إنساني وأنه من الواجب على كل المجتمعات ضمان هذا الحق وفق ما تتطلبه إنسانية الإنسان، لأن الأطفال هم أبناء الدولة أولا و هي المسؤول الأول عن الرأسمال البشري .
كانت للحرب التي خاضها المفكرون و الفلاسفة، في عصر الأنوار، ضد الجهل الأثر الكبير في ظهور مفاهيم جديدة و تصورات جديدة أيضا للعالم و الإنسان، لكن الأهم من كل ذلك هو ظهور أسئلة جديدة وبالتالي تجارب ومغامرات عظيمة تستهدف بناء الإنسان الأوروبي الحر و المسؤول و المتسامح، ولتحفيز هذه القيم لابد من مناهج جديدة وتفكير عقلاني جاد في أطفالنا، و قد قال fourcoy :

« au lieu de fatiguer les éléves à ressasser les éléments d'une langue morte, c'est le spéctacle de la nature et de ses creations, c'est la mecanique du monde et la scéne variée de ses phénoménes qu'on offre a leur active imagination » (13)

الطبيعة هي المعلم الأول، لأنها أفضل من يهذب سلوكات الإنسان، هي التي تدفعنا للمعرفة عبر الدهشة فالتأمل ثم السؤال، لهذا حاول الأوروبيون، خاصة في فرنسا، أن تكون قرب كل مدرسة حديقة و مكتبة عمومية، فضاء تنبثق فيه الأسئلة، و فضاء يساعد على الفهم من خلال تزويد الطفل بأدوات الفهم و تقريبها منه. كي تتحقق هذه الأهداف كان لا بد من تغيير جدري في الأسس و التصورات و القوانين حتى تظهر التربية كحق منظم، وهذا ما عبر عنه دستور فرنسا لعام 1793م :

« l'instruction, disait-elle, est le besoin de tous .la societe doit favoriser de tout son pouvoir les progres de la raison publique et mettre l'instruction a la portee des citoyenes » (14)

ظهرت الحاجة الملحة إلى الزامية التعليم وأصبح من الواجب على الآباء إلحاق أبنائهم بالمدارس، وحصول المدرسين على شواهد تسمح لهم بممارسة هذه الوظيفة الحيوية بالنسبة للإنسان .التمدرس إلزامي إبتداء من 6 سنوات إلى غاية بلوغ 13 سنة، و كان مقررا للجنسين معا .انها قفزة نوعية أنجزتها الثقافة الاوروبية بشكل عام وفرنسا بشكل خاص، حيث عملت على ربط التعليم بالمرجعية الإنسانية و ليس أية مرجعية أخرى، نظام جديد يحترم أو لنقل يحاول أن يحترم الطبيعة الإنسانية . أصبح الطفل مركز العملية التعليمية و هذا يفترض اهتماما أكبر بمؤسسات التربية خاصة المدرسة، لأنها الفضاء الذي يستجيب لحاجيات الطفل و يوفر له شروط جيدة لنمو جسدي و عقلي و وجداني سليم، وذلك باعتماد اللعب، الفضول،الحركة، الانشطة التلقائية للطفل، أعمال يدوية، نحث، رسم، تشكيل بالطين أو الرمل ...

تطلب إصلاح التعليم إزالة بعض التخصصات وإضافة أخرى، و فعل كهذا يتطلب الجرأة و العقلانية، لأن إصلاح المنظومة التربوية يحتاج أحيانا إلى الهدم وإعادة البناء وهذا تطلب زمنا كبيرا من الأوروبيين .

أدركت الإنسانية و منذ زمن بعيد أن التربية ضرورية للصغار و الكبار للذكور كما للإناث، لكن مؤخرا فقط، أدركت أن هذه الحاجة ملحة ومستعجلة، فعملية التكوين و التعلُم مطلوبة مدى الحياة، كما إنها أساس الحياة، إذ يجب أن يعرف البالغون أنهم، و في أوقات كثيرة، لايعرفون و أن معلوماتهم و معارفهم نسبية وقد تتعرض للتآكل، على البالغين ادراك أن تصورهم للحقيقة و العالم و الآخرين قد يكون خاطئا أو زائفا، لهذا على البالغين الإعتراف بحق الاجيال الجديدة في التسيير و التفكير والفعل داخل مجتمعاتهم و محيطهم السوسيو- ثقافي، عليهم و علينا جميعا الإعتراف بحق الشباب في رسم معالم وطن جديد حركي، منفتح، مثله مثل طائر الفينيق ينبعث من رماده أشد بهاء و جمالا و قوة، علينا الابتعاد عن التحجر الذي قد يصيب الفكر عندما يعتقد أنه وحده يمتلك الحقيقة، يجب على البالغين أن يتوقعوا ثورة ضد طرق تفكيرهم و تسييرهم، و أظن أنه يجب أن يُسعدنا جميعا مثل هكذا حدث، لأنه علامة على الحياة و التجديد و الإبداع و تحمل المسؤولية و القدرة على العطاء و الإضافة .

علينا أن نتعلم من أطفالنا و شبابنا، و لكي نفعل ذلك علينا التنازل عن كبريائنا المصطنع و الإعتراف بقيمتهم و قدرتهم على الفعل، لأن من الضروري الانخراط معهم في بناء مشاريعهم، التي هي في نهاية المطاف مشروع مواطن في وطنه و من أجل وطنه. لقد كان هذا أو البعض منه، هو ما دعت إليه ثورة الشباب في فرنسا 1968م، ثورة من أجل التفعيل العقلاني للمؤسسات ثورة من أجل هامش أكبر من الحرية، ربما هذا ما تسعى إليه الشعوب العربية من خلال ما يسمى بالربيع العربي، ثوراث ضد أنظمة لا تقبل التغيير، متحجرة، لا تسمح بالتناوب الطبيعي للأجيال، و لا تؤمن بقدرة الغير على الإبداع و التجديد. إنها أنظمة تقوم على مركزية الذات هي وحدها من يدرك أسرار التفكير و التدبير و التخطيط و بناء المستقبل، و هذه هي مواصفات بادئ الراي، إنها ثورات من أجل انتزاع الشعوب حقها في تسيير أوطانها، ولكن هذه الثورات عرجاء لا تتحرك كما يجب، لأن المواطن الذي يستطيع أن يُنجز التغيير مازال يحتاج لبناء الذات، مازال يحتاج لأن يخرج من عالم الجهل والتعصب والإعتقاد في امتلاك الحقيقة، إلى عالم المعرفة و الحرية و الحوار و التسامح، يعني هذا ربما، أن ثورتنا الفعلية هي ثورة ضد الجهل، التفكير الخرافي و الأسطوري، ضد التعصب و مركزية الذات. نحتاج لثورة فكرية أولا، وهذا يعني إصلاح المنظومة التعليمية بشكل جدي و مسؤول، لنُعد النظر في آليات اشتغال المنظومة التربوية، نسق القيم، تقنيات التربية، و بشكل عام لابد من تغيير نظرة الإنسان لذاته، و أن ندرك جميعا أن المرجعية الوحيدة التي يجب أن تكون أساسا للتعليم هي المرجعية الإنسانية، إحترام الطبيعة الإنسانية و بالتالي إحترام حقوق الإنسان، لأن عدم إستقلالية التعليم و جعله أداة في يد رجل السياسة أو رجل الدين أو رجل الإقتصاد يجعل كل المنظومة تنحرف عن مسارها و بالتالي لا تحقق الأهداف المرجوة منها .

متى سيأتي الزمن الذي تتنازل فيه التربية السياسوية، الدوغمائية، الأرستقراطية والتقليدية لصالح تربية تقوم على أساس الحرية، الديموقراطية و حاجيات المجتمع و إمكانياته؟، متى تتنازل المناهج التقليدية المتحجرة لصالح مناهج جديدة نستمدها من الظاهرة المدروسة و هي

المتعلمون و المتعلمات؟، لنجعل من تلامذتنا أساتذتنا لنتمكن، بعد حين، من أن نكون مدرسين بالفعل، لأن عملية تكييف التربية مع تطورات الحياة والحاجيات والإمكانيات أمر ضروري لاحترام الحق في التغير و التطور، و هو إحترام للطبيعة الإنسانية المتفوقة على ذاتها جيلا بعد جيل. بدون التجديد الدائم للتربية ستبقى المنظومة التربوية عاجزة عن الفعل، لأنها خارج التاريخ أي خارج التغير و الحركية. نحن مطالبون بالنظر إلى المستقبل دون نسيان التراث الذي إعتمدناه دائما أساسا للهوية، و علينا الحذرمن تغليب التقليد على التجديد حتى يستطيع الإنسان الإستعداد وبشكل عقلاني للإنخراط في المستقبل، لنطور قوى الإبداع الإبتكار عوض الإرتباط بثوابت و تصورات جامدة لا تعمل إلا على إعادة إنتاج نفس الإنسان لأزمنة مختلفة و ثقافات متجددة باستمرار .

إن الإستماع هو أول دواء يحتاجه الإنسان وهو العملية التي تخفف من مأساة الإنسانية، الإستماع إعتراف وحوار و قد يُجنبنا الطُرق الصعبة والعنيفة التي تعتمدها بعض الشعوب لإصلاح أوطانها، مثل الحروب الثورات، يمكن أن نجدد أنفسنا بسلام، نستطيع فعل ذلك دون حاجة لتدمير أنفسنا، هذا ممكن فقط، إن كانت إرادتنا مستقلة عن كل شيء، إلا عن حب الوطن و الغيرة التي دفعت و مازالت تدفع الإنسانية جمعاء للرقي بذاتها و بالتالي أوطانها نحو غايات نبيلة و سامية .

يحتاج كل هذا نمط من التفكيرأوعقلانية منفتحة تؤمن بالقيم الإنسانية، وتسعى لترسيخها كسلوكات و تصرفات، التربية على أخلاق جديدة تعتمد العقل كأساس لها، عوض الإنغلاق و التعصب للذات و إعتبارها مركز كل شيء، نحن بحاجة إلى معاودة طرح سؤال النهضة العربية، لكن بجدية و معقولية ووطنية أكبرو أنقى : كيف السبيل للتقدم ،العودة للسلف (الصالح) أو التعلم من الغرب الفالح ؟. مازلنا وإلى حدود الساعة نحمل عقلانية منغلقة تخاف على نفسها الضياع إن انفتحت، ربما فقط لأنها غير مؤسسة بشكل علمي و معقول، وهي تحمي ضعفها ببقائها في الكهف الأفلاطوني، كهف الجهل و بادئ الرأي، و تمنع الكل من الخروج من هذا العالم، لأن في خروج الإنسانية من الجهل إلى العلم مضرة بمصالح بعض الإرادات العامة الحاكمة التي تدعي أن العلم يفسد الناس و يُصعب عملية التحكم فيهم، وبالتالي خضوعهم و إمتثالهم .

لم يعد بإمكان أحد حجب نور الشمس، فكل الشعوب الآن، أصبحت واعية بإنسانيتها و تعرف حقوقها، ما لا تعرفه هو كيف تبني مجتمعا يستجيب لهذه الحقوق، و هي تحتاج للتربية و التعليم كي تستطيع بناء الوطن الذي تُحترم فيه حقوق الإنسان، لكننا، للأسف، مازلنا لم ندرك قيمة التربية و التعليم في مساعدة الإنسان على بناء شخصيته. تظهر قيمة رجل التعليم ليس في الخطابات التي قد تُنجز بشكل مناسباتي حول المدرس و المدرسة، بل يجب أن ننظر في ثقافتنا و التي قد نسميها وطنية أو شعبية، كيف هو المُعلم في تمثل المغاربة بشكل عام؟. هو موضع سخرية و إحتقار هو (الكعلم) صديق الطماطم و البيض المعروف بالتقشف، صديق الفقر، هو جحا المغاربة حاليا، و هذا يتطلب منا دراسة إجتماعية لعلاقة النكتة المغربية بالمُعلم لنفهم بشكل جيد كيف يتمثل المغاربة المدرسين والمدرسة. أصل الحكاية إحتقار الجهل للعلم وإنتصار بادئ الرأي على الحكم العلمي العقلاني. يفترض إصلاح المنظومة التربوية تقويم إعوجاج تمثل المجتمع للمُعلم والتعليم، ونظن أن هذا هو مشروعنا الفعلي والطريق المعبد نحو تحقيق المواطن

المُحاجج، المسؤول والقادرعلى الإبداع، و من تم تقديم أجوبة لأسئلة النهضة التي مازالت مُعلقة لحدود الساعة. ما زالت المدارس في الوسط القروي توجد في الهوامش لأنها غريبة عن الثقافة المحلية، لابد أن نجمع بعضنا مع بعضنا و نصادق أنفسنا، و أن نعلم أنه لا وجود إلا للإنسان، وأن نعمل إنطلاقا من هذه الأسس على بناء مواطن وفق المعايير الكونية للإنسان .

تاريخ العرب حافل بالخروقات التي لحقت الطفولة أو الإساءة للطفل، فبدءا بوأد البنات إلى بيع و تجارة الأطفال في العصور الوسطى، ثم إستخدامهم وإستغلالهم في العمل و في مراحل عمرية مبكرة، بالإضافة إلى الإستغلال الجنسي. تاريخ لايحترم الطفل و لا يعترف به كإنسان، بل ينظر إليه كوسيلة أو شيء أو أداة .

تتمثل الإساءة للطفل في كل فعل يعيق نمو الطفل النفسي والبدني، و قد تتكرر الإساءة إما لعدم قدرة الطفل على تقديرها أو لجهله لحقوقه، و بالتالي الخوف من الإعلان عنها، حتى أنه قد تحدث نوع من الألفة بين الطفل والإساءة، حيث تصبح أمرا عاديا و سلوكا مقبولا داخل بعض الجماعات . إن الإكتشاف المبكر للإساءة أمر ضروري لضمان نمو طبيعي و سليم لإنسان الغد، المستقبل. غالبا من تصدر الإساءة من كل المؤسسات، فهي نابعة من الأسرة، الشارع، المسجد، المدرسة و كذلك من الدولة باعتبارها المسؤول الأول عن الطفل و الطفولة .

تصدر الإساءة للطفولة عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية و هذا أمر مؤسف، لأن وظيفة كل المؤسسات حماية الطفل وبالتالي الإنسان و العمل على ضمان حقوقه و تنميتها، يعني هذا أن إصلاح المنظومة التربوية يقتضي الكف عن الإساءة للطفولة و تفعيل القوانين التي تحمي حقوق الطفل، و أي تأخر في تفعيلها هو إساءة للطفولة و للإنسان بشكل عام و تشجيع على ذلك. لنحاول الإنتقال من ثقافة الذم و الإهانة و التحقير و الصراخ، التهديد، الضرب، الطرد و إعطاء أوأمر أو توجيهات متضاربة، كل رفض لسوك الطفل خاصة عندما يحاول إظهار شخصيته هو عنف، لأنه من المفروض أن نسمح لكائن يفكر و يعبر و يفعل بالتفكير و التعبير و الفعل، لأن أي تصرف هدام لشخصية الطفل يولد عند الطفل : الإنسحاب –التردد –اللمبالاة – الصمت – الوجوم – العدوانية –الإنتفاض ضد الكل، أي الإرهاب بمعناه الواسع، ممارسة العنف.(15)

إن الهدف الأساسي من هذا العمل هو تقديم بعض الحلول الممكنة لمحاربة التخلف في المجتمع الذي نعيش فيه ومن خلاله و من أجله. هدفنا أن ننخرط في الحرب الكبيرة ضد الجهل و الهمجية، و أن نُنجز معركتنا في زممنا هذا و في أوطاننا كما فعلت الشعوب من قبلنا و مازالت تفعل. لا نُصرح بأن ما قلناه وما سنقوله حول التربية أمور جديدة و أدوية شافية من مرض الجهل، لكن الجديد الذي يقدمه هذا العمل هو محاولة إظهار أن لا حل لتقويم إعوجاج الأمة إلا بإصلاح المنظومة التعليمية، و إصلاح التعليم يتطلب من رجاله و نسائه التعرف العلمي على المتعلمين و المتعلمات، و كذلك الشأن بالنسبة للآباء، وأنه على المجتمع إحترام الإنسان، ويعني ذلك، إهتمام علمي بمراحل الطفولة و المراهقة و الشباب .هدفنا هو أن نتعرف على تلامذتنا من أجل تدريسهم بطرق و مناهج عقلانية، لنساعدهم على بناء شخصيتهم بشكل سليم و ذلك تحت شعار روسو *commencez donc par mieux étudier vos éléves*.

إن هدف هذا العمل هو الجواب نسبيا عن سؤال النهضة الكبير: كيف يمكن تجاوز التخلف السائد في المجتمعات العربية الإسلامية؟ سؤال كبير، إلا أن الجواب عنه يستدعي العمل على أصغر

المؤسسات الاجتماعية كالأسرة و الشارع و المسجد و المدرسة، و العمل على الكشف عن الطرق التي تمكننا من إصلاح أصغر خلايا الدولة. تقتضي هذه المقاربة التعرف على الطرق التقليدية القديمة و مراجعتها لتلائم روح العصر وإمكانيات هذه المؤسسات. لنحاول، جميعا، عصرنة و عقلنة الأسرة و الشارع و المسجد و المدرسة لنقدم جوابا عمليا و علميا، في زمن و مكان محددين، لسؤال النهضة المستمر إلى حد الآن.

أن المغرب بلد إسلامي،عربي، أمازيغي، و لا يمكن أن نخرجه من دائرة الدولة المتخلفة على الأقل في مجال التعليم، و حكمنا هذا مُستمد، أولا من المراتب التي يحتلها المغرب تنمويا و تعليميا، ثانيا لأننا نزاول في هذا المجال لأزيد من 15 سنة وربما أصبحت بيننا و بين التخلف ألفة يصعب التخلي عنها. أصبح الكسل و الغش نمطا حياة .

تتقدم الدول أوتتخلف بدرجة حضور أو غياب النشاط العلمي فيها والتفكير العقلاني، و هذه ثمار المنظومة التربوية، فإن لم تثمر فإنها مختلة وغير سليمة و هذا يعني عدم سلامة و مرض أساس الدولة. إن صلُح التعليم صلُح البلد ككل و إن فسد التعليم فسد البلد ككل، لهذا قال "ديكارت" يوما (أن أجل نعمة ينعم الله بها على بلد من البلدان هي أن يمنحه مفكرين حقيقيين.) .

من أجل نهضة علمية، إن كان النهوض هو المطلوب، علينا إصلاح التعليم غير أن هذا يقتضي أن نعرف من أين نبدأ ؟، كيف تكون البدايات و متى ؟ ماهي القيم الضرورية لفعل ذلك ؟.أن كل بحث في بلدنا و في مختلف المجالات هو محاولة الإجابة عن سؤال النهضة السالف الذكر.

كلنا واعون بخطورة ما آل إليه التعليم، ملكا و شعبا و حكومة، كبارا و صغارا، نساء و رجالا. كلنا واعون بضرورة إستيعاب المتغيرات الموضوعية التي أفرزتها تحولات التاريخ العلمي المعاصر. أن الوعي بضرورة الإصلاح أمر مازال محاصرا أو مكبلا بكل ما تستلزمه مقتضيات الهيمنة الإستعمارية المضافة إلى قيود التاريخ الوسيط، المتمثلة أساسا في سيادة التقليد ، سقف العقائد ثم تحجر البنيات الإقتصادية والمجتمعية (16). كيف يمكن تجاوز هذه البنيات؟ ، كيف يمكن أن ننجز الإصلاح، أو بلغة السوسيولوجية التغيير؟، هل من الضروري الإستمرار في التأرجح بين السلف الصالح و الغرب المتقدم ؟، ألم يحن الوقت لنعلن ولادة جديدة تمكننا من التشبع بقيم الفكر المعاصر، كما عبر عن ذلك نفر من المثقفين المتأثرين بمناخ الفلسفة الوضعية، حيث حاولوا تصفية الحساب مع الماضي في صورته اللاهوتية و بناء عقيدة مطابقة لمتطلبات أحوال الوقت المستجد في إطار محاولة التمكن من بناء حاضر و مستقبل يؤمن برشد الإنسان و قدرته على مجابهة مصيره بالعلم و العمل (17).

أن ما يحدث في بعض المجتمعات شبيه بما حدث للأثينيين في زمن الحاكم بركليس الذي أراد أن يؤسس نظاما ديموقراطيا بواسطة مواطنين لم يخرجوا بعدُ من الكهف الأفلاطوني، عالم الجهل. كان تفكيرهم وجدانيا، خياليا، خرافيا، عاطفيا، إنفعاليا متقلبا. إن عدم قدرة الأثينيين على التفكير العقلاني العلمي جعلهم غير قادرين على الاختيار العقلاني الفعال، و بالتالي عدم القدرة على تحمل المسؤولية، هكذا تحولت ديموقراطية بركليس إلى مأساة .

نحن كذلك مازلنا لم نصل إلى مستوى التفكير العقلاني الذي يسمح لنا بالاختيار الفعال والعلمي، و هذا راجع لأزمة في المنظومة التعليمية، لأنها لا تحقق الأهداف المنتظرة منها، أي بناء المواطن العاقل و الحر و المسؤول الذي يستطيع أن يختار و بشكل علمي ممثله الجماعي و البرلماني، و بشكل عام وطنه و ممثليه، و الحجة على ما نقول هو الدراسات الكثيرة المنجزة في

هذا الشأن، ثم فشل كل المحاولات قصد النهوض بالمنظومة التربوية من مستوى التخلف إلى التقدم و التفوق، لهذا نكرر ما قلناه سلفا أنه بالعلم و المعرفة تتقدم الأمم و الدول لا بالسياسوية التي ترادف الإيديولوجية أو الديماغوجية، لابد من الكف عن التلاعب بعقول الناس و توجيههم أو إخضاعهم للوصاية لأنه بالعلم و الحرية نكون.

أن مجال إشتغالنا هو التعليم، وبالتالي الوسط الذي يمكن أن نفعل فيه، رغبة منا في إصلاح المنظومة التعليمية، و سنحاول معرفة تلامذتنا خاصة المراهقين و المراهقات حتى نتمكن من تدريسهم والتواصل معهم بشكل سليم، ونساعدهم على بناء شخصيتهم وفق إمكانياتهم و حاجياتهم كذلك، لنحاول معرفة المراهقة و المراهقين لأن هذه المعرفة هي الأساس الأولي لإصلاح المنظومة التربوية.

المراهقة

يمرالإنسان كباقي الكائنات الحية الاخرى من مراحل تكون متعددة و مختلفة، لكنها مركبة بشكل بنيوي، إذ كلها تتفاعل وبشكل دائم لتُقدم في كل مرة انسانا بمواصفات معينة.الانتقال من طور إلى طور و من حال إلى حال ضرورة طبيعية، و لما كان التغيير ضرورة وجب علينا معرفة كل مرحلة يمر منها، و بالتالي التعرف على الإنسان في مختلف مراحل نموه .

أن الهدف من وراء كل فعل انساني هو الإنسان، التفكير من أجل الإنسان و كذلك اللغة و الدين و العلم و الدولة، فإذا كان هذا قصد الأفعال الإنسانية فيجب أن نعلم، كما علمنا أعمدة الفلسفة السياسية، أنه على الدولة أن تكون وفق طبيعة الإنسان، أي أن يكون أساسها هو إحترام و ضمان و تنمية حقوقه الطبيعية، وأول هذه الحقوق هو الحق في الحياة، نمو جسدي و عقلي سليمين، إحترام طبيعة هذا الاخي هي أساس كينونته و ذلك لا يتحقق إلا بتعليم ينطلق من شعار :معرفة الإنسان أساسية لتعليمه و تربيته، هذه هي الحاجة التي دفعتنا إلى انجاز هذا العمل والذي نستهدف منه معرفة المراهقين والمراهقات الذين ندرسهم، ثم فهم المراهقة من خلال ما راكمته الدراسات و الأبحاث التي أُنجزت في هذا الشأن.

المراهقة هي مجموع التحولات الجسدية والنفسية والعقلية التي تظهر بين سن الطفولة والبلوغ، أو كما يقال: المرحلة التي ننتقل فيها من لعب الدمى إلى اهتمامات أخرى مرتبطة أكثر بالخيال و الحلم. يصعب أن نحصرها زمنيا و نحددها في سنوات مضبوطة، و هذا أمر طبيعي بالنسبة للظواهر الإنسانية سواء كانت اجتماعية أو نفسية، لكن يمكن أن نقول أن زمنها الطبيعي يبدأ من سن العاشرة إلى التاسعة عشر،و تتأثر المراهقة بمحيطها السوسيو- ثقافي، لا يعني هذا أن هناك أشكال متعددة للمراهقة، أي مراهَقات بصيغة الجمع،بل هي مراهقة واحدة مرحلة طبيعية من مراحل نمو الإنسان .

غالبا ما يصرح الآباء والأمهات والمُدرسون أن المراهقة تختلف من جيل إلى جيل، و من مجتمع إلى آخر، أي إنها تتغير بتغير عنصري الزمان و المكان، غير أن هذه التصاريح لا تعكس الحقيقة الفعلية التي تؤكد أن المراهقة هي هي، نعم تتأثر بكل محيطها، ولكنها تحافظ على طبيعتها،وهي مجموع الخصائص المحددة لهذه المرحلة العمرية .

تقتضي محاولة معرفة المراهقة تصحيح التمثل الخاطئ للمراهقة، لأنه سيؤدي مباشرة إلى فهم خاطئ للمراهقين و المراهقات .

يقولMaurice Debesse (18).:

« DERRIERE LES VISAGES CHANGEANTS DE L'ADOLESCENCE.IL YA L'ADOLESCENCE ETERNELLE REMARQUABLEMENT IDENTIQUE A ELLE-MEME »

هذه الخاصيات الدائمة الحضور هي التي يجب اكتشافها لتساعدنا على فهم و معرفة أبنائنا و تلامذتنا بشكل علمي سليم . صحيح أن كل الظواهر الإنسانية متغيرة بالضرورة، لكن و كما

يقول أرسطو هناك جوهر ثابت خلف الاعراض و المتغيرات الخارجية، هناك أساس طبيعي فطري ماهوي للمراهقة .

إنها واقع مركب، توجد بين الحنين إلى الطفولة و إرادة البلوغ و النضج، يتفاعل فيها ما هو بيولوجي و نفسي، اجتماعي و أخلاقي.

قبل القرن التاسع عشر كانت معرفة المراهقة تقوم على استحضار البالغين لبعض افعالهم و تصرفاتهم في مرحلة المراهقة من أجل فهم أبنائهم وبناتهم و كأن معرفة المراهقة بدأت بالمماثلة أي أن المراهق يتصرف كما كنا نتصرف في نفس المرحلة، لكن هذه المقاربة لم تسمح بفهم علمي سليم للمراهقة و المراهقين و المراهقات .

بدأت الاهتمامات العلمية بهذه المرحلة مع بداية القرن العشرين و هذا لا يعني غيابها في تاريخ الفكر الإنساني بل كانت حاضرة و بشكل قوي في المجال الفني خاصة : الادب – الشعر – المسرح –الرواية – خاصة الرسم . لم يغب الحديث عن المراهقة بشكل قطعي لأنها ظهرت في شعر الشعراء وابداعات الرسامين، غير أن هذا لم يكن كافيا، اذ احتاجت الإنسانية إلى فهم علمي للمراهقة.هكذا، ظهرت الدراسات الأولية حول الشروط العضوية للحياة العقلية و الشروط الاجتماعية التي تنبثق فيها المراهقة كمرحلة تتميز بالحماسة و الرغبة في التجديد و في نفس الوقت اللامبالاة.

يقول(M/D) : *L'ADOLESCENCE UN DES PLUS BEAUX ROYAUMES QUI SOIENT SOUS LE CIEL*(19)

غالبا ما نستحضر التغيرات الجسدية، فقط، عندما نتحدث عن المراهقة، ما يثيرنا بشكل قوي هو التحولات الخارجية و لا نعير كبير اهتمام للتغيرات العقلية و الوجدانية العاطفية.

كل إقصاء لجانب على حساب آخرهو تعسف في حق المراهقة وبالتالي المراهقات والمراهقين .

أن ثنائية (داخل / خارج) ليست عشوائية، لأنها تُظهر الحوار الكبير و الضروري بين ما هو جسدي و نفسي في حياة المراهق و المراهقة، بين الحياة العضوية و النفسية لكائن يقوم في وجوده على وحدة الثنائيات.

يمكن التمييز أولا بين الطفولة والمراهقة انطلاقا من الاختلافات الجسدية :جسد الطفل رسم مازال مشوشا نوعا ما، لم يُنحت بعد بشكل نهائي، وجه الطفل غامض لم يعبر بعد عن مزاج معين، للطفل صوت مختلف عن صوت المراهق، في حين أن جسد المراهق محدد المعالم وهذا ما جعل المراهقة تظهر خاصة في الرسم، جمالية و كمال الجسد و حيويته، للمراهق وجه معبر و صوت يخرجه من الطفولة و يقربه من مرحلة البلوغ . يكبر المراهق بشكل مفاجئ و يتأثر النمو بالمزاج الفردي و بشروط الحياة الاجتماعية، و يكون النمو الجسدي مهما في الصيف أكثر

منه في فصل الشتاء. كل التغيرات التي يعرفها المراهق تكون مختلفة السرعة، فنمو اليدين و الرجلين نمو سريع اكثر من نمو الذراع و الفخذ . الجمجمة اقل سرعة في النمو حيث يقال أن القبعة هي اللباس الوحيد الذي يناسب المراهق لمدة طويلة نظرا لضعف سرعة نمو الجمجمة، يضاعف الدماغ حجمه بين 12 و 16 سنة، يكبر الانف بسرعة اكبر بين كل اعضاء الوجه الاخرى، يزداد الوزن من 4 إلى 5 كلغ بين 12 و 16 سنة .

أن المراهق أوالطفل بشكل عام معمل حي يتطور باستمرار و يحتاج لإدارة جيدة حتى نصل إلى الطفل، ليس كما نراه و نريده نحن البالغون و لكن كما يجب أن يكون، دورنا هو مساعدته على النمو الجسدي والعقلي السليمين وهذا يفترض نظاما غذائيا و رياضيا وتربويا وأخلاقيا وكل هذه الانظمة توجد في المراهقين و المراهقات. لايمكن أن نوقف عمل هذا النظام و لا يحق لنا توجيهه أو التحكم فيه أو فرض الوصاية عليه، المطلوب هو التعرف على هذا النظام الذي يحرك المراهق و اعتماده كأساس يساعدنا في مساعدة المراهق على بناء شخصيته بشكل إرادي حر و معقول.

ماذا نعرف ، اذن، عن أطفالنا سواء داخل الأسرة أو في الشارع أو في المدرسة ؟. تقوم التربية على تغذية سليمة و متكاملة لأي عضو من أعضاء المجتمع، فهل تمتلك الأسر من العقل ما يجعلها قادرة على التمييز بين ما هو صحي و ما هو عكس ذلك، في الأكل واللباس والأخلاق و العلم .....؟ وهل تسمح القدرة الشرائية للأسر بتوفير كل الحاجيات و بالمواصفات الصحية لأطفالها؟ هل ندرك الاستعدادات النفسية والاخلاقية التي يجب التوفر عليها أثناء التعامل مع المراهقات و المراهقين؟ لا المال يكفي و لا العقل يسعف .

لقد فكرت الإنسانية في كيفية التعامل مع الطفولة في كل مجالات الفعل، فكروا في التمدرس و زمنه و طُرقه، في التربية البدنية، مكانها نوعها، فكروا كذلك في نظام التغذية، أي في الإنسان بشكل عام و الطفولة و الشباب بشكل خاص، الجميل في الأمر هو أن جزءا من الإنسانية قرر، و منذ زمن بعيد، الانخراط في تحقيق شروط الحياة و بناء الوطن الحر و المسؤول و هُم يستفيدون من نتائج أعمالهم الجدية و العقلانية القائمة على حب الاوطان، و يُترجمة ذلك الحب في تشريف الوطن بمواطنيين أحرار أساس حريتهم العلم و المعرفة، هذا حال أوروبا الآن التي شرّعت لاحترام الطفل و الطفولة ابتداء من القرن 19م،عبرمنع تشغيل الأطفال أولا، اجهاد الطفل عبر تشغيله أمر مرفوض، بل لابد من الانتباه للطفل حتى لا يُجهد نفسه خاصة في التربية البدنية لأن حب الطفل للعب قد يدفعه إلى تجاوز قدراته و إمكانياته الجسدية .

تفاجئ التغيرات التي تحدث في سن المراهقة المراهقين و المراهقات و غالبا ما تكون مصحوبة باحساس بالتعب و الخمول و الكسل، ثقل في الحركة أو لنقل في الاستجابات، آلام في الراس، أحلام غامضة، كثرة السهو، حتى أن المراهقة أوالمراهق قد يظن أنه مريض، وفي بلد متخلف قد يعتقد أن به مس من الجن و قد يتطور الأمر إلى أمراض نفسية خطيرة أن لم يتم تقويم النمو النفسي للمراهق، يظن كذلك أنه الوحيد الذي يعاني من هذه الاحساسات و يعود السبب في كل هذا إلى طبيعة تفكيره الوجدانية، العاطفية الخيالية أكثر مما هي عقلانية .

دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة – الشارع – المسجد – المدرسة ..الخ) هو إعلام المراهقين، بأن ما يحدث لهم أمر طبيعي و يمر منه كل إنسان، كما يجب أن نخبره أنه سوي فعلا مثله مثل أقرانه. يحتاج المراهق لمن يطمئنه و هي حاجة ضرورية جدا. هناك من اعتبر الأم مجرمة في حق ابنتها أن لم تخبرها و تُحضرها لكل التغيرات التي ستعرفها، كذلك الأب مع أبنائه، و نحن الآن نقول أننا كلنا مذنبون في حق أبنائنا و تلامذتنا، أن لم نساعدهم على معرفة أنفسهم بأنفسهم و هذا لن يتحقق إلا إذا اعتمدنا الحوار و امتلكنا أدواته الأولية (إرادة الفهم – القراءة – الكتابة).

عندما يبلغ الطفل المراهق 13 سنة تقريبا تبدأ عملية شرح التغيرات الجسدية و بعض الاحاسيس (الانتصاب – الاحتلام – تغير الصوت – ظهور بعض التغيرات في أماكن حساسة من جسد المراهق و المراهقة ..)، يجب أن نستغل كل المناسبات و بشكل جيد لشرح عالم الجنس المسكوت عنه تقريبا، و إلى عهد قريب في كل الثقافات. دائما ما تُقدم لنا فرصا لتوعية أبنائنا و تلامذتنا لنخبرهم عن الكيفية التي يبلغون من خلالها حياة سليمة دون إعاقات جسدية أو نفسية أو عقلية.أن التربية الجنسية أمر ضروري لأنها أساس كل أنواع التربية الاخرى . نعم ، قد تُحرجنا و لكن هذا راجع فقط لاعترافنا الضمني إنها محرجة فعلا، أن الاحراج يأتينا من الداخل و ليس من الخارج، لكن يمكن أن نتعامل معها بعقلانية أن عرفنا طبيعة المراهق و كيفية محاورته، و يفترض هذا ارادة حسنة في مساعدة المراهق على تجاوز هذه المرحلة الحرجة نوعا ما بالنسبة للبالغين .

أفضل من يقوم بهذا الدور هو المدرس أن استطاع أن يكون صديقا لأبنائه تلامذته.إذا كان الفهم الجنسي مشبعا بالاسطورة و الخرافة في مرحلة ما، فإنه الآن مشبع بالهمجية و التوحش، فما يراه أبنائنا على القنوات التلفزية الاباحية و عبر الشبكة العنكبوتية يؤدي إلى اضطرابات نفسية قد تجعل المراهق يُنقص من قيمته و قدرته، خاصة في مجتمع تقاس فيه الرجولة بالفحولة، إندور رجل التعليم ضروري وهو يحتاج لإمكانيات علمية لفعل ذلك .

من يرفض أن يُعرف ابنه أو ابته، تلميذه أو تلميذته على المشاكل الجنسية، عليه أن يدرك أنهم سيعرفون من إنسان غير مسؤول، أو من موقع إعلامي غير تربوي .أكيد أنه أن فكر على هذا النحو سيحاول أن يُعرّف ابنه أوابنته بشكل سليم على الحياة الجنسية .

ليست هناك قطيعة بين المراهقة و الطفولة، فهذه الاخيرة هي التي تضع الأسس الضرورية لاستمرارية بناء شخصية المراهق حتى أنه لا يمكن التعرف إلى المراهق دون معرفة ماضيه أو تلك الحمولة الوجدانية الطفولية. لقد أظهر العلماء في هذا المجال أن التجارب السعيدة و المؤلمة بين 5و 6 سنوات تؤثر في مستقبل الطفل، لتبقى الغريزة الجنسية هي الظاهرة الجديدة في وجدان المراهق، فهو يحس بحاجيات جديدة مبهمة ، رغبات قوية تدفعه لعدم التقوقع أو الإنغلاق على ذاته و تدفعه بشكل طبيعي نحو الجنس الاخر.أن المراهقة سن أومرحلة المفاجئات .(20)

تعمل الغريزة الجنسية كقوة ضاغطة، على توجيه ودفع المراهق نحو أهداف تبدو غامضة و غير مدركة بشكل جيد، هنا يصبح للمظهر الخارجي قيمة كبرى بالنسبة للمراهقين والمراهقات، يريدون مظهرا جميلا، يبحثون عن الانسجام في كل شيء، يهتمون بأجسادهم اكثر و يريدون أجسادا مرسومة بعناية و اتقان، يعني هذا ضرورة أن يرضى المراهق على جسده و أن

يحقق من خلاله إعجاب الآخرين به، لأن مسألة تقويم الجسد لها تأثيرات مهمة على شخصية المراهق مستقبلا .
أن المراهق أكثر حساسية من الطفل، فأي سلوك أو كلمة أو نظرة يمكن أن تثير ردود أفعال (حنق غضب) لا يفهمها البالغون. المراهق كذلك سريع الخجل و قد يصاب بنوبات من الضحك الهستيري أو بكاء صاخب أو الاكتئاب، و هذا كله نتاج لما خلفته الطفولة و في نفس الوقت نتاجا لطبيعة العلاقات الاجتماعية. ترتبط المراهقة بقدرة مهمة على الخيال و هي قابلة للملاحظة ابتداء من الطفولة الثالثة (بين8و 11سنة، تقريبا) و هي نتاج للذكاء و الفضول المعرفي. يبدأ

المراهق بالحركة بين الماضي و الحاضر و المستقبل و هذا دال على نضج مفهوم الزمن في حين يكون الطفل مرتبط بزمن الحاضر بشكل قوي.
يحب المراهق الشيء الجديد، الغامض، الغريب، المختلف، يحب المغامرة و الاكتشاف، كما أن المراهقة مرحلة إبداع (شعر –مسرح – موسيقى...الخ)، إنها مرحلة يعيد فيها المراهق تنظيم حياته الوجدانية، مرحلة التعاطف، الحنان، الحب، الكراهية، الاحتفال، الاعجاب،حب الجمال و في نفس الوقت الشعور الاخلاقي الديني، إنها مرحلة ظهور الأهواء.(21)
يمكن أن نضيف بعض الخصائص المُحددة للجانب الوجداني عند المراهق لأنه يختلف عن الطفل :

الطفل	المراهق
تلقائي عفوي مُعبر رد فعل مباشر واضح ضُعف الضمير الجماعي	اقل تلقائية اقل تعبيرية فعل مسبوق بتفكير القدرة على الاخفاء القدرة على التعبير كما يقتضي الظرف و ليس كما يريد

يتميز المراهق كذلك بتناقض وجداني فهو يجمع بين الحب و الحقد بين الانانية و الإيثار بين الخيبة و الأمل،مزيج من التناقضات المزدوجة .

يقول.roger gal:

« rousseau a celebre dans l’emile la venue de l’age des passions, et chateaubriant lui a fait echo .passions (tout d’abord, il sagit d’un

sentiment exlusif, capable d,envahir le champ de conscience de mobiliser toute l'enèrgies d'orienter toute la conduite. »(22)

تقوم المراهقة على عنصرين أساسين هما: الحب و الصداقة، و قد قال:

« il faudrai etre poète est grand poète pour parler dignement des amitiés juvènille et de l'amour naissant » (23)

توصف الصداقة، أوتكون مرادفة للبراءة والصراحة و هي صداقة لا يجب أن تزعج الآباء إلا إذا تدخل فيها راشد بشكل سيء، و يمكن تقسيم أنواع صداقات المراهق إلى ثلاثة :

- صداقة مراهقين من نفس الجنس و العمر.

- صداقة المراهقين للأطفال.

- صداقة المراهقين للبالغين.

لكل نوع من هذه الصدقات حسناته و سيئاته، غير أن صداقة المراهقين غالبا ما تقوم على أساس، مراهق يحب و الطرف الأخر يسمح بذلك، (l'un aime et l'autre se laisse aimer). تلعب هذه الصداقات دورا مهما في نمو شخصية المراهق، هي التجارب المتراكمة التي تكُون أساسا لبناء الشخصية إما بشكل سوي أو معتل حسب طبيعة الصداقة و الأصدقاء، بعض التجارب تُحور الميولات الغريزية و تدفع بعض المراهقين و المراهقات إلى البحث عن الاكتفاء الذاتي أو الامتاع الذاتي الذي قد يستمر حتى سن البلوغ. أن الكثير من الانحرافات الجنسية غير نابعة من المراهقة في طبيعتها، بل يعود سببها إلى البالغين الذين يركزون الانحرافات و الميولات المرضية عند المراهق، لذا من الواجب مراقبة الصداقات المشبوهة لأن الإنسان ليس ملاكا و ليس حيوانا كذلك.

(l'home n'est ni ange ni bete)

يحب المراهقة ذاته حبا أفلاطونيا، يهتم كثيرا بتأمل الذات، جمالية الجسد، الاعتناء بالمظهر الخارجي. يسعى إلى تحويل ذاته لقيمة و دفع الآخرين للإعجاب بها . يحب المراهق أن يُحَب و قد يفعل أي شيء من أجل بلوغ هذا النوع من الإعتراف خاصة المراهقات.

لتجاوز بعض الانحرافات التي تفرض على المراهق و المراهقة لابد من الجمع في التربية بين الاناث و الذكور حتى يعرفون أكثر كيف يتعرفون على أنفسهم و تقدير ذواتهم، لأن هذه العملية الأخيرة (التعرف على الذات) تسمح للمراهق و المراهقة بالتموضع الجيد داخل المحيط السوسيو – ثقافي، كما تمكنه هذه الوضعية من التعبير عن ذاته و إعلان وجوده و رغبته في الاستقلال التي تجعل من المراهق، غالبا، معارضا لكل سلطة (ساطة الاب، الام، المدرس ....الخ)، لأن الحرية بالنسبة له هي القطيعة مع العوائق و الموانع التي تحول بينه و بين ما يريد.

تسمح المدرسة بانفتاح أنا الطفل، خاصة عندما يعيش بين المراهقين في أماكن الايواء الجماعية الخاصة بهذه الفئة العمرية، لكنه يحس أن المدرسة عائق آخر أُضيف إلى عائق الأسرة، سلطة أخرى تعني للمراهق قهر أكثر و حصار أشد فتبدأ المقاومة لكل هذه الإكراهات. يدخل المراهق في معركة إثبات الذات بل يريد أن يثبت تفوقه على البالغين، هذه تحديات و رهانات المراهق، يفترض هذا إذن أن تكون المدرسة، كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية، فضاء للحوار و منفتحة على ميولات المراهقين و المراهقات و أن تعمل على تعزيز ثقتهم بأنفسهم و أن تربيهم على الجرأة و الحرية و المسؤولية، وأن تستثمر تلك القوة و توجهها إلى قصدها الفعلي و ذلك كله بحب و إحترام للمراهق الإنسان.

أن انتفاضة المراهقين أو الشباب هي إعلان عن رفضهم الطرق التي يعتمدها البالغون في التسيير و التدبير للشؤون العامة أو الخاصة، بدءا بأصغر خلية اجتماعية و هي الأسرة إلى أكبر خلية اجتماعية أي

الدولة. يعملون في نفس الوقت على تقديم تصورات جديدة للنظام و التسيير و التدبير، هو حوار أجيال إذن، أن اعتمد الإستماع المتبادل كان نافعا و أن اعتمد التعصب خلّف العنف في كل تجلياته و في مختلف مجالات الفعل الإنساني، و أفضل نمودج مُعبر عما نقول هو ثورة الشباب في فرنسا عام 1968 و التي كانت ثورة سياسية اجتماعية تهدف إلى عقلنة عمل المؤسسات و ترسيخ الحرية كشرط ضروري لتحقق الإنسان في بعده الإنساني. لا يقبل المراهق أو الشاب التكيف مع محيطه الاجتماعي، بل يعمل على تكييف المحيط وفق ذات المراهق أحلامه آماله طموحاته.

رغم أن المراهق اجتماعي و منفتح بالضرورة، إلا أننا نلاحظ، أحيانا، رغبته في الخلوة والانعزال و أخد مسافات و هو بهذه العملية يحاول إفراغ ذاته من حمولات الطفولة، يبدأ بالابتعاد عن الاشياء أكثر ليصبح عقلاني أكثر، ينتقل مما هو تجريبي إلى ماهو بظري. تظهر عند المراهق القدرة على محاورة الذات و تحديد نمودج للشخصية التي يريد ثم يسعى لتقمص الدور.

يريد المراهق أن يكون هوأحلامه أو أن يحيا كما يحلم ، لأن عالم الأحلام هو عالم الحرية المطلقة المتحررة من كل الإكراهات والسلط، سواء كانت طبيعية (نطير في الأحلام و نتحرر من القوانين الفزيائية المرتبطة بالزمن و المكان)، لا حرام و لا حلال في الاحلام، عالم تغيب فيه سلطة الاخلاق و سلطة الدين و المجتمع، عالم كل شيء فيه افتراضي كما هو عالم الانترنيت الآن، لهذا السبب يحلم المراهق كثيرا و قد يحتاج لوقت كبير حتى يعلم أنه لا حرية فعلية إلا في العوالم الإفتراضية أي العوالم التي نصنعها أو على الأقل نُكيفها وفق ما نريد.(24)

المراهق ثوري و معارض بحكم طبيعته، لكن الثورة تهدأ قليلا مع نهاية المراهقة، غير أنه أحيانا يتميز بعض المراهقين بالهدوء السلبي، الخوف من الاختيار مخافة تحمل المسؤولية، و هذه أسوء خاصية يرسخها البالغ في المراهق .

وظيفة التربية هي دعم الثقة بالذات، التحفيزعلى الفعل الحر، التشجيع على الخطأ ومحاربة الخجل المَرَضي، السماح بالتعبير و العمل على توجيه المراهقين و المراهقات، بل الطفولة بشكل عام، بشكل يضمن احترامهم لذواتهم و يعزز ثقتهم بها ليتحملوا المسؤولية عن إرادة و وعي .

للمراهق حاجيات ضرورية للنمو وأول هذه الحاجيات الاحترام، أي الإعتراف بطبعة المراهق و التعامل معه انطلاقا منها، وأول ما يجب احترامه هو خصوصية أو حميمية المراهق و المراهقة، لابد من فضاء خاص بالمراهق في المنزل و الشارع و المدرسة و المستشفى ...الخ، فضاء خاص بالحياة التأمل، التجريب، فضاء يمكنه من البناء الذاتي لشخصيته وفق إمكانياته و طموحاته، لابد للمراهق و المراهقة من مصروف الجيب مع مراقبة استعماله بشكل غير مباشر .أن السفر و تغيير الأماكن ضرورة طبيعية، حق انساني وَضعي، به فقط يعيش المراهق الانفتاح عوض أن نحكي له قصصا داخل القسم عن عوالمنا وليس عالمه،السفر تغذية أساسية لفضول المراهق القوي.أين نحن من هذه الحاجيات وغيرها،و هل تستطيع قدرتنا الشرائية مواكبة هذه المتطلبات؟ ما يعرفه مجتمعنا من إكتضاض في الأقسام، اكتضاض في المنازل و غرف النوم و الحمامات، يدفعنا للحديث عن الإكتضاض كظاهرة مَرَضية لكنها تبدو مقبولة اجتماعيا و أخلاقيا، يحضرني هنا قول المرحوم محمد جسوس، أحد أعمدة

السوسيولوجيا في المغرب: (الظاهرة المرضية سوية في المجتمع الفاسد). يكمن عمق المشكل في ارتباطه بخلل ثقافي قيمي، ويحتاج لعملية جراحية دقيقة تستهدف عقلنة القيم و الأخلاق، أي إعادة تربية الذات بطرق جديدة و مناهج إنسانية لا سياسية، و هذه هي الوظيفة التي وُجدت الدولة من أجلها أن كانت تتبغي، فعلا، التقدم و النمو للوطن و بالتالي المواطنين، فبدون حقوق لا يمكن أن نطالب بواجبات لأنه بالحق نكتمل و نستعد لفعل الواجب .

المدرسة في الأصل فضاء لإشراق الذات و نموها، مكان يلتقي فيه المراهق بمراهقين آخرين مختلفين عنه و مشابهين له، و هي مشروطة بعدم الاكتضاض و بوجود أستاذ رئيس (principal) محبوب من طرفهم و يعمل على مساعدتهم في بناء شخصيتهم. واجب المدرسة أن توفر هامشا من الحرية و فضاء يغذيه الحب و الحنان، لأن غياب الثقة لايسمح ببناء أي شيء، وتكمن الحرية هنا في القدرة على اختيار الفريق الرياضي، حرية اختيار الموسيقى، اللباس،التخصصالدراسي أو المهني ....الخ. من حق المراهق تسيير و تدبير مؤسسته التعليمية و ذلك عبر مشاركته الفعلية في مجالس الاقسام، المجلس التربوي، مجلس التدبير، و السماح لهم بتكوين جماعات لا يعني عدم مراقبة عمل الجماعة، إذ لا يجب أن تكون منغلقة على ذاتها، لابد أن تنفتح كل جماعة على محيطها السوسيو – ثقافي العام و إلا تحولت إلى جماعات منغلقة (secte) ،جماعات منحرفة إما دينيا أو أخلاقيا .

أن التربية على الحرية و الاستقلالية و الجرأة على التفكير و التعبير و الفعل لا يمكنها إلا أن تثمر وطنا حداثيا و مراهقين لهم الماضي و الحاضر و المستقبل .

ترتبط المراهقة ابتداء من الطفولة الثالثة بالقدرة على تطبيق الفكر الذاتي من أجل حل مشكل جديد، بحيث يكيف نشاطه حسب الظروف و الوضعيات الجديدة (25)، إنها مرحلة نمو الذكاء، وقد أعلنت نتائج علم النفس المعاصر أن الذكاء لا يتطور بعد مرحلة البلوغ، كما لُوحظ أن الأذكياء من الأطفال يبلغون المراهقة بسرعة أكبرمن غيرهم وهؤلاء هم الأطفال الذين نقول عنهم أنهم أكبر من سنهم (26).يقتضي كل ما سبق ذكره التعرف على المراهق، ليس فقط جسديا أوعقليا أو وجدانيا، و لكن معرفته كبنية علائقية تقوم على وحدة التعدد و تناغم الاختلاف، وأفضل من يعرفنا بالطفل والطفولة هم الأطفال

أنفسهم. أبدع جون بياجي في هذا الميدان، لقد أوضحت أعماله أن الطفل بين (9و12 سنة)، الطفولة الثالثة تقريبا، يتخلص من صفات مركزية الذات و يتجاوز تفسيراته الطفولية للعالم و الآخرين و لذاته، إذ يصبح قادرا على إدراك مفهوم السبب الطبيعي بين الظواهر و كذلك قادرا على التفكير المنطقي نسبيا (27).

ليس هناك نمو عقلي كبير بعد الطفولة، و كأن المراهقة لحظة لهضم واجترار كل ما حصل عليه المراهق من مراحل الطفولة، و تظهر بعض تجليات هذه الوقفة التاملية، أحيانا، في تراجع التمدرس أو التحصيل الدراسي بين(12و 15 سنة)، لأن الذكاء يخضع لتشويش الجانب الوجداني الجنسي أثناء نموه.ليست المراهقة مرحلة غباء بل هي مرحلة كسل، إنها استراحة محارب، خيال،حلم،إنها مرحلة شاعرية بامتياز. المراهقة زمن الاكتشافات و اضفاء المعاني على العالم و الاشياء، زمن الاستعداد و التحضُر للحياة الاجتماعية، لهذا نقول أن معرفة ميولات و استعدادات المراهق أمر ضروري لحسن توجيهه، و التوجيه ليس عملية خاصة بالمدارس و المعاهد، بل هو توجيه عام ومن طرف كل من هو

مسؤول يعتمد الحوار بمعناه العلمي لا الغوغائي، لأن الحوار أو الديالكتيك لعبة مفضلة بالنسبة للمراهقين وعلينا أن نلعبها معه.

« la dialectique est un jeu passionnant pour les adolescents , ils aiment les arguments , jongler avec les mots »(28)

يكتسب المراهق الأدوات الفعلية للتفكير في النصف الأخير من المراهقة، أي القدرة على حضور العالم و ادراكه كفكرة مجردة، يمكنه اكتشاف مفهوم القانون من الربط بين الظواهر، هكذا يبدأ المراهق في اكتساب المعاني العلمية و الدينية و السياسية والاخلاقية، ثم يحاول اكتشاف قوانين جديدة يحاول من خلالها أن يبدع و يضيف شيئا للعالم، يريد ترك علامته أو أثره و الإخبار بوجوده، بل يريد أن يثبت لكل من سبقوه أنهم لم يبحثوا جيدا و لم يفكروا بشكل أعمق، وأنهم أغفلوا أشياء كثيرة في فهمهم للعالم و للآخرين وهو قادر على تصحيح المسار و اكتشاف أسئلة جديدة و أجوبة مختلفة .

تحدثنا إلى حدود اللحظة عن نمو المراهق جسديا و وجدانيا و عقليا، لكن ما الذي يمنح مركزا لشخصية المراهق ؟ إنها قيم الحياة (29).في علم النفس، نسمي قيمة كل ما يشبع حاجياتنا سواء كان موضوعا أو كائنا أو حدثا أو فكرة، فالقيمة ثمرة ارتباطنا بشيء معين، ترتبط القيمة، إذن، بالذات و القيم هي التي توجه و تنظم تصرفاتنا و أفعالنا .

يتطور مفهوم القيم بشكل واضح و يتسع ابتداء من 15 سنة، إذ يصبح كل سلوك مدروس، فحتى ما كان عادة أصبحت له قيمة، كل فعل له قصدية مدركة عن وعي من طرف المراهقين والمراهقات.

تتطور القيم بشكل مواز لتطور المعارف و هي قيم متعددة: اقتصادية – سياسية – اجتماعية – أخلاقية – جمالية – دينية ...الخ.

« chaque civilisation représente un système de valeurs qui règle la vie du corps , social à un moment donné, et l'une des missions de l'école est précisément (….) De transmettre cette culture aux jeunes gens afin de les associer à l'existence de la collectivité et à ses traditions comme à son évolution »(30)

ما يهم المراهق هو الحياة، حياته الخاصة التي تمتد أمامه كأرض خصبة شاسعة يُمكنها أن تحتضن كل أحلامه، لكن غالبا ما تصطدم هذه الرغبة في الحرية غير المشروطة وغير المحدودة، بقوانين و نظام المجتمع و قيمه، و عندما تتناغم ذات المراهق مع القيم الاجتماعية يختار مهنة تعبر و تعكس القيم السائدة في المجتمع، لهذا يختار أغلب المراهقين،أوعلىالأقل، يحلمون بوظيفة رجل الأمن أو مهنة طبيب.

المراهقة، إذن، مرحلة حلم، صفاء، نقاء و جمال، لكن هناك الوجه الآخر لكل شيء:

.*LE REVERS DE LA MEDAILLE *

يرفض المراهق العادات الحسنة التي فرضت عليه داخل الأسرة والمدرسة، فيتمرد ضد ذلك باظهار عاداته و هو بهذا في حاجة لتجاوز ذاته، أحكام و عادات قديمة .

تعرف المراهقة نمطا من التفكير يمكن أن نسميه تفكيرا ميتافيزيقيا، لأن المراهق يحاول إدراك العالم و فهم الكون ومصير الإنسان والعالم، معرفة عمق الاشياء أوعلى الأقل تجاوز مظاهر العالم، أي القشور الخارجية التي تحجب حقيقة الاشياء. تتقاط المراهقة فعلا مع الفلسفة الوضعية، خاصة مع أوجست كونت الذي جعل من المرحلة الميتافيزقية مرحلة مهمة في تاريخ الفكر الإنساني، و بالتاي مهمة بالنسبة للذات المتفردة شريطة تجاوزها نحو مراحل النضج و العقلانية سواء بالنسبة للفرد أو للفكر الإنساني بشكل كلي. تستهدف أسئلة المراهق علة الوجود و غايته، طبيعة المادة، ويعتبر الدين الوجه الآخر للميتافيزيقا، لأنه غالبا ما تكون الأجوبة التي يتلقاها المراهق حول أسئلته الوجودية ذات طابع ديني . تظهر القيم الروحية ابتداء من 16 سنة تقريبا فما فوق، كما تظهر تراتبية القيم . يلعب الدين دورا أساسيا في شخصية المراهق، و قد يكون فعله إما سلبيا أو اجابيا حسب مرجعية فضاء الطفل، و يكون التأثير قويا في الطفولة الثانية و الثالثة، إذ يؤدي التشبع بالقيم الدينية إلى إعلاء هذه القيم على باقي القيم الأخرى، رغم أن حقيقة الأمر بالنسبة للمراهق هو تعارض قيمه مع القيم الدينية، و في نفس الوقت يلعب الدين دور رجل الاطفاء، لأن تنازلنا عن الحياة سيمنحنا حياة أفضلقي عالم آخر، حقوقنا الفعلية في الجنة التي تتحول أحيانا إلى عالم تَحَقُّق الاحلام بالنسبة للمراهق الحالم بطبعه.أن الأمر الخطير هو عندما يدرك المراهق أن سبب عدم تحقق أحلامه هو فساد أخلاق الناس وابتعادهم عن دينهم، هنا قد يتحول المراهق إلى إرهابي ينتقم لله من الناس حتى يعيد الله الحياة كما كانت، و هذا أسوء ما في الامر،صناعة مراهق متعصب، هذا بالضبط ما حاربته كل الثقافات و المجتمعات لأنه عنف، لكن يجب أن ندرك كذلك أن الوسيلة الوحيدة لمحاربة العنف هي إحلال الحق، أي إحترام الإنسان بما يحمله مفهوم الاحترام من دلالات عميقة وأصيلة(31). يعتبر سن 17 و 18 سنة غالبا، زمن أو سن الردة، و مقارنة النقل بالعقل،

قد يصبح الدين لباسا يتخلص منه المراهق عندما يصبح غير ملائم له و تكون نتيجة هذه الوضعية إما فقدان أو ضعف ايمان المراهق، أو التعصب للدين بشكل عنيف، لهذا يجب أن يكون كل ما نقدمه للمراهق، و حتى قبل هذه المرحلة، له علاقة بشخصيته وميولاته، أهوائه، فهمه للعالم و للآخرين.ربما نحتاج، و بشكل مُلح و مُستعجل، إلى تربية دينية سليمة كما نحتاج لتربية جنسية و ربما بشكل كبير جدا.

عرفنا أن للمراهقة دور مهم في حياة الكائن البشري، إنها مرحلة غنية بالإمكانيات التي تُحدد و بشكل قوي شخصية البالغ مستقبلا، لهذا جعلت كل الدول تقريبا من الشباب و الطفولة أولوية أولوياتها، لم يعد بإمكاننا الإهتمام بالبالغ أو الراشد و كأن ليس هناك شيء سابق عليه، أوأن ننظر إليه كشيء سقط من السماء بدون مظلة لا ماضي له. أن الإنسان تاريخ والتاريخ تراكمات حية و فاعلة لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها أو المرور فوقها أو تحتها، هكذا هو الإنسان و ليست هناك أي امكانية لتحويله عن مساره.

أن كل إقصاء أوإهمال لهذه النخبة خطأ فادح، لأن الشباب الآن أصبح يشكل طبقة اجتماعية والوعي بهذا المعطى مطلوب للتعامل معهم .

أن دور المراهقة في حياة الفرد هو اكتشاف الانا والعالم و الآخرين، و تعلم تحمل المسؤولية، لأن المراهق لم يعد طفلا لتكون كل اهتماماته لعب فقط. وظيفة المراهقة كذلك تنظيم الميولات لأنها (المراهقة) العنصر الدينامي داخل جسم المجتمع ككل، هي منبع التحفيز و الطاقة، إنها العنصر المثالي الذي يعلي قيمة الفضيلة و يبتغيها في نقائها و صفائها الأول. تعمل المراهقة على تنظيف و تطهير و تقوية الحياة العامة، وهي تقوم بمهامها انطلاقا من شرطين :اعتبار المراهقة حق من حقوق الإنسان و العمل على حماية المراهق ضد كل ما يعيق نموه الجسدي و العقلي و الوجداني، مثل تشغيل الأطفال أو حرمانهم من التعلم، لأننا أحيانا كثيرة نستنزف زمن المراهقة في الشغل وأعمال لم ينمو المراهق بعد ليمارسها.لا لسرقة زمن المراهقة من المراهقين والطفولة من الأطفال، النضج المبكر ظاهرة سلبية: ils sautent de l’enfance à l’age adulte sans avoir eu le temps de se reconnaitre et de se repérer en tant que personnes

أما الشرط الثاني فهو عدم استمرارية المراهقة أكثر من زمنها الطبيعي، و يمكن إضافة شرط ثالث وهو عدم التعامل مع الطفولة و الشباب انطلاقا من مرجعيات حزبية أو ايديولوجية أو دينية، لأن إحترام المراهقة يقتضي الانطلاق منها و صناعتها بمواد مأخوذة من طبيعتها، المطلوب، إذن، من الأسرة و الشارع و المدرسة و المسجد و الدولة هوفهم طبيعة المراهقة و تشجيع المراهقات و المراهقين على النمو و التفكير و التعبي، وأهم عنصر هو الاحترام، أي الإعتراف أن المراهقة حلقة في سلسلة الحياة البشرية، و أن كل مرحلة من مراحل نمو الإنسان لها دور و وظيفة خاصة مختلفة عن المراحل العمرية الاخرى، و لكنها متداخلة فيما بينها بحيث تشكل وحدة، لأن كل مرحلة تُخلف أثرا في المرحلة اللاحقة، إذ ليست هناك قطيعة بين المراحل بل هناك دائما احتفاظ و تجاوز. أن نسيان أو تناسي أو نفي المراهقة هوتعسف وخرق لحقوق المراهق و بالتالي الإنسان. علينا الاحتفاظ بكل ما هو جيد في المراهقة ليكون أساسا لبناء راشد الغد المسؤول .

رغم الملامح الجديدة للمراهق و المراهقة فالبنيات المتطورة تتأسس على سابقاتها . التفكير الكيفي ما قبل التمدرس والتفكير المنطقي في التمدرس الأولي، ثم التفكير المجرد للمراهق، كل هذه الأنماط يؤثر بعضها في بعضها الآخر و هذا التأثير أوالمراكمة هي التي تحدد شخصية البالغ مستقبلا.

« l'enfant n'est pas un adulte en miniature, mais un etre dans la structure mental se distingue qualitativement de celle de l'adulte » (32)

على المدرس،إذن، والأب والأم عدم النظر إلى الطفل على أنه راشد صغير، بل عليهم جميعا النظر بعيون الأطفال و الإستماع بآدانهم و الاحساس بوجدانهم، عليهم أن يفعلوا كما يفعل الطفل أن أرادوا أن تتحقق لهم معرفة المراهق، و بالتالي التفاعل معه من أجل مساعدته على البناء السليم لشخصيته، و من شروط تحقيق هذا الفعل l'apprentissage individualise، أي التجديد الدائم للمناهج والبرامج و تعددها لتستوعب مختلف ميولات المراهق أو الطفل بشكل عام. يعتبر التفاعل الاجتماعي interaction sociale ضروري للحد من مركزية الذات و بالتالي إدراك الطفل أو المراهق أن آماله و أحلامه هي آمال و أحلام كل الآخرين من أقرانه، و أنه ليس موجودا لوحده بل يوجد بمعية آخرين، يقارن نفسه بهم

يتعلم منهم و يُعلمهم و ينمو. لبلوغ التربية على العمل الجماعي لابد من الاشتغال، و في كل مجالات الفعل الإنساني، في جماعات و هذا ما عبر عنه بياجي عندما قال أن العمليات العقلية تُولد التعاون الاجتماعي . تفترض هذه القضايا إحترام البرامج الدراسية لقُدرات و استعدادات المراهق، أي ملائمة البرامج و المناهج حسب إمكانيات و حاجيات المراهق والمراهقة، كما أنه على المدرس أن يدرك أن وظيفته هي الانتقال بالمراهق من مستوى أدنى للعقل إلى مستوى أرقى، محترما في ذلك تطور البنيات العقلية ولكي يحترم هذه البنيات عليه معرفتها و الاقتناع بقيمتها أثناء عمله داخل القسم .

عندما نزود المراهق بمعارف و نظريات جديدة، من الطبيعي أن يحاول إعادة إنتاج (la reinvention) ما حصل عليه بطريقته الخاصة و هذا يتطلب التشجيع و التحفيز، لأن أي فعل مخالف للتشجيع هو تحطيم للمراهق و بالتالي للعملية التعليمية التعلمية ككل، لأن الاكتساب حسب بياجي ليس فعلا سلبيا أو استقبالا فقط و لكنه فعل اجابي لبناء المعرفة و الإبداع من جديد.

أدرك الإنسان و منذ القدم، أن لا خير في أمة ينتصر الجهل فيها على العلم، فانخرط في حرب ضد الجهل وكانت المعارك الأولى ضد جهل الإنسان لذاته، فطرح السؤال الكبير الذي مازال مستمرا إلى حدود الآن : من يكون الإنسان ؟ ما الذي نعني عندما نقول :أنا إنسان ؟ . رغم البساطة التي قد تبدوا عليها هذه الاسئلة، الا إنها أسئلة حياتية بالنسبة للإنسان، لأن الإنسان وبمعرفته لذاته يحاول أن يُكيف العالم وفق حقيقته، ماهيته أو طبيعته الأولى، فالتغيرات التي عرفها شكل الدولة كان ضروريا لمواكبة الاكتشافات الجديدة التي أدركها الإنسان في ذاته. يوم عرفنا أننا أحرار بحكم طبيعتنا جعلنا المحافظة على الحرية و ضمانها وظيفة من وظائف الدولة، مع كل إكتشاف جديد لذواتنا و مع كل معرفة يجب أن يتغير العالم ليستوعب حقوق الإنسان التي لا يتحقق هذا الأخير إلا بها .أن الحق هو العنصر الداخل في اتمام جوهر الشيء و اكمال فعله، و بدونه يصبح الوجود مضطربا و ينزل الحق بالنسبة للإنسان منزلة

الهواء و الماء،أي لا يمكن أن يكون الإنسان انسانا إلا بحقوقه، أدى هذا الإدراك، إلى إعتبار حقوق الإنسان هي مجموع الخصائص الطبيعية في الإنسان مثل، التفكير، التعبير،الحرية ،الإبداع، الكرامة و بالتالي شرّعَت الشعوب من أجل ضمان كل الحقوق بما فيها الحق في التعليم كما هو وارد في المادة26 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان .

التربية حق إنساني

أن الحديث عن حقوق الإنسان هو حديث عن الفضاء العام لتنمية الثقافة وتحديث المجتمع، ذلك أن التطلع إلى التنمية والتحديث لا يستقيم دون استحضار الحق في التعلم، وفي حرية الرأي، وفي الاختلاف والمساواة والديمقراطية، وفي الكرامة و التسامح، أي دون استحضار البنية العامة لثقافة حقوق الإنسان وجهازها المفاهيمي والقيم والسلوكات التي تنبثق عنها، لهذا سنعود للمادة 26 من الاعلان العالمي لحقوق الإنسان لنتبين طبيعة الحق في التعليم .

« Toute personne a droit à l'éducation. L'éducation doit être gratuite, au moins en ce qui concerne l'enseignement élémentaire et fondamental. L'enseignement élémentaire est obligatoire. L'enseignement technique et professionnel doit être généralisé ; l'accès aux études supérieures doit être ouvert en pleine égalité à tous en fonction de leur mérite. L'éducation doit viser au plein épanouissement de la personnalité

humaine et au renforcement du respect des droits de l'homme et des libertés fondamentales. Elle doit favoriser la compréhension, la tolérance et l'amitié entre toutes les nations et tous les groupes raciaux ou religieux, ainsi que le développement des activités des Nations Unies pour le maintien de la paix. Les parents ont, par priorité, le droit de choisir le genre d'éducation à donner à leurs enfants. »

يتأسس نمو الإنسان على عاملين :

- العوامل الوراثية و التكيف البيولوجي الذي يكون أساسا لتطور الجهاز العصبي و الآليات النفسية الضرورية أو الأولية .

-عوامل النقل (la transmission) أو التفاعل الاجتماعي و التي تتدخل ابتداء من المهد و تلعب دورا مهما أثناءعملية النمو.

الحديث عن الحق في التعليم أو التربية بشكل عام هو محاولة لمعرفة الدور الضروري للعوامل الاجتماعية في تكوين الفرد.(34)

أظهرت مجموعة من الدراسات حول الحيوانات أن للعوامل الخارجية عن طبيعة الحيوان، أو لنقل عملية الاكتساب، الدور المهم في عملية النمو، فعزل قطط صغيرة عن أمها لا يسمح للصغار بتطوير مهارات الصيد بشكل جيد و بقائها مع أمها يسمح لها باكتساب هذه المهارات عبر التقليد أو المحاكاة، فحتى ما نعتقد أنه طبيعي صرف تتدخل فيه عوامل يكون لها تأثير كبير في عملية النمو .

يتكون الإنسان عبر التعلم، الاكتساب، النقل من جيل إلى جيل آخر، و هذا شأن اللغة و الدين و القيم و هو ما جعل التربية تقوم على التقليد و التصرف وفق الجماعة .

لقد اعتقد الفلاسفة و المفكرين و لزمن بعيد، أن العقل فطري في الإنسان و طبيعي (ديكارت) . الإنسان موجود و ما علينا فعله هو اكتشافه أولنقل أن ماهيته سابقة على وجوده. كانت هذه المقاربات أساسا لقيام التربية على التقليد لأنها تنطلق من أن البالغ موجود سلفا في الطفل و ما علينا فعله هو تغذية المهارات الموجودة بشكل مسبق و ليس العمل على تشكيلها و بنائها، و بالتالي عملت المدرسة التقليدية على تزويد الطفل بالأفكار و ليس تعليمه عملية التفكير، لكن إذا كان التفكير يُبنى و ليس معطى قبلي فإن وظائف التربية هي تكوين العقل، ليصبح معنى الحق في التربية لكل شخص هو أولا حق في التموضع داخل فضاء دراسي بحيث يستطيع أن يطور أدواته الضرورية للتكيف و هي العمليات العقلية. يقول بياجي في هذاالصدد :

« l ,éducation est ainsi ,non seulement une formation ,mais une condition formatrice nécessaire du développement naturel lui –meme »

(35)

أن التصريح بحق الإنسان في التعلم هو مسؤولية أكبر لأنه يتجاوز امتلاك الشخص لمهارات القراءة و الكتابة و الحساب، أن التصريح بالحق في التعليم هو ضمان حق كل طفل في تنمية كلية لوظائفه العقلية، ضمان اكتسابه معارف و قيم اخلاقية و ذلك حتى يتم التكيف مع الحياة الاجتماعية . كيف يجب أن تكون مدارسنا، إذن؟ كيف نستطيع تحويل فضاء التعلم إلى فضاء تنبثق فيه شخصية الطفل، ميولاته ، أحلامه و تصوراته ، عقلانيته بشكل عام ؟ ما هي الأدوات التي تفترضها هذه التصورات ؟ كيف نستطيع تحرير فضاء الدراسة من الإلزامات الاجتماعية و لو بشكل نسبي ؟

أن الطفولة ظاهرة، و كما هو الشأن بالنسبة للظواهر لا يمكن دراستها من خارجها، بل يجب أن نتتلمذ على يدها، أن نتعرف عليها ثم نستخرج منها أدوات مقاربتها، هذا ما نعنيه بالتتلمذ علة يد الظاهرة .

أن رفع اليد عن الطفولة و الإعتراف بضرورة مقاربتها بشكل علمي أمر صعب، لأنه مرتبط بموروث ثقافي، أعراف و تقاليد، فالراشد أو البالغ عادة ما يكون متيقنا من أن المراهق أو الطفل غير ناضج و لا يتقن الأفعال المطلوبة منه للحياة الاجتماعية، فينصب الراشد نفسه وصيا و يمارس كل الأفعال نيابة عن الطفل ليبقى هذا الأخير معطلا عن العمل و الفعل . نساعد أطفالنا في كل شيء بدعوى أننا نحبهم بشكل أقوى من الآخرين، إذ لا يجب أن يسقط الطفل و من الأحسن أن يتفادى التجارب المؤلمة، لا يجب أن يصرخ أو يبكي دون أن نعلم أننا بتصرفنا على هذا النحو نحرمه حق الحياة الفعلية، نحرمه من التجارب الضرورية لنموه و لتعلمه تحمل المسؤولية.أن هذا الحب مرضي ويدمر أكثر مما يبني . لنحترم حق

أطفالنا في التعلم و ذلك بالسماح لهم أن يحيوا فعلا لا أن نحيا نيابة عنهم، و لبلوغ هذا الهدف نحتاج لثقافة جديدة تنطلق من أصغر المؤسسات الاجتماعية (الأسرة) و ذلك تحت شعار :لنغير سلوكنا تجاه أطفالنا، حتى تقوم العلاقة بيننا على الاحترام و هو إعتراف بالطفل و المراهق و الشاب و الإنسان .

أن تربية المرء على حقوق الإنسان عمل يهدف إلى ترسيخ ثقافة تدافع عن الإنسان، عن حقه في الوجود والتفكير والفعل، وهو أمر له مشروعيته في عالم مليء بمظاهر انتهاك حقوق الإنسان، دوليا ، وعلى مستوى الأقطار المختلفة، خاصة المتخلفة منها. أن التربية، وباعتبارها تقصد خدمة الكائن البشري، هي المقدمة الطبيعية والواقعية لكل عمل يهدف إلى تنمية العنصر الإنساني، إنها المدخل الضروري لتنمية المجتمع وحداثته. إنها استجابة للأسلوب التربوي المعاصر، ويتطلب الأمردعوة المربين و الآباء و الأمهات إلى انفتاح المؤسسة التربوية التعليمية و الأسرية على محيط الأطفال والمراهقين والشباب.

أن الانفتاح على ثقافة حقوق الإنسان هو انفتاح على ما يعرفه المحيط الثقافي والاجتماعي للمتعلمين من تصورات و قيم. إنطلاقا من هذه الاعتبارات يصبح من الضروري تجاوز الإهتمام بحقوق الإنسان في المناسبات، مثل يوم الإعلان العالمي، أو يوم الطفل أو يوم المرأة أو يوم التسامح، وذلك كي يصبح الإهتمام بمسألة حقوق الإنسان اهتماما يوميا هادفا و مسؤولا وعقلانيا ومنظما و في كل الفضاءات التي يتواجد فيها الطفل، الأسرة ،المدرسة ،الشارع ،المسجد والمدرسة .

لقد اعتُبر التدريس جسرا أساسيا يمكن أن تعبر منه تلك الحقوق لكي تجد لها موقعا ثابتا في شخصية الفرد وفي النسق المجتمعي ككل، إذ لا يقل التدريس أهمية عن كل الأعمال التي تقوم بها الجهات المهتمة بقضايا الإنسان، بل أن هذه الجهات نفسها تؤكد على أهمية التدريس في تعزيز ثقافة حقوق

الإنسان، وفي توسيع مجال التعريف بها، ودعمها وترسيخ قيمها ومبادئها. بالتعليم نحيا و به نتحقق هو الدعامة التي يقوم عليها الوطن، فإن صلُحت صلُح الوطن و أن فسدت فسد كل شيء في الوطن، لا شيء يستقيم بدون التعليم.

نحتاج، إذن، لثورة فعلية كي نغير ثقافتنا أي سلوكاتنا و تصرفاتنا تجاه أنفسنا، أبنائنا و تلامذتنا و هي ثورة ليست ضد نظام أو حزب أو أي شيء آخر، إنها ثورة ضد الجهل الذي ينعكس في غياب المعرفة العلمية و طرق تحصيلها و تبليغها .الآباء لا يعرفون أبناءهم و المدرسون لا يعرفون تلامذتهم و الدولة لا تعرف مواطنيها، لا يمكن لأي شخص، سواء كان فردا أو مؤسسة، أن يتقن أعماله و هو يقارب شيئا لا يعرفه رغم أن الإنسان ليس شيئا .

عرفت كل الثقافات قيمة التعليم و التفكير العقلاني و ما تاريخها إلا محطات لتصحيح التصورات القديمة حول الإنسان و إبداع تصورات جديدة تتماشى و الطبيعة الإنسانية. كل يوم نتعرف على ذواتنا أكثر و تدفعنا هذه المعرفة لتغيير العالم حتى يتكيف مع طبيعة الإنسان، كان بعض هذه الاسباب دافعا لكل الامم إلى جعل التعليم حقا مجانيا، و هذا طبيعي لأنه حق إنساني، لكنهم عرفوا في الوقت نفسه أنه بالعلم نحكم و نسود فجعلوه مجانيا في مراحله الاولى و مكلفا في مراحله النهائية. لقد أقر الاعلان العالمي لحقوق الإنسان مجانية التعليم إلى حدود مستويات معينة، لكن هذا الحق أصبح يتحرك و فق إرادة السياسويين و ليس وفق إرادة الإنسان و الوطن، كما يحتاج للكثير من الكرامة رغم أنه لا قلة و لا كثرة في الكرامة .

التعليم الكريم هو تعليم يحترم الطفل و المدرسة و الدراسة، يحترم عدد التلاميذ في القسم، تجهيزات المؤسسات التعليمية (قاعات تدريس عصرية تُحدث قطيعة مع العصر الطباشيري – قاعات الأنشطة أهم

من قاعات الدرس، و نظرا لأهميتها فهي شبه منعدمة في مؤسساتنا التربوية – مراحيض نظيفة و أشياء اخرى كثيرة أهما الحب). أن الحق بدون فضاء لتحققه جسد عاطل عن الفعل.

أن حصر مجانية التعليم في مستوياته الأولى هو إظهار رغبتنا في محاربة الأمية فقط، و بالتالي نهف إلى مواطن يعرف القراءة و الكتابة و الحساب، فهل هذا كاف لتجاوز التخلف؟ و هل تسمح هذه التغذية بإنتاج المواطن الحداثي الذي نريده؟ أن محاربة الأمية هي محاربة العجز عن التفكير و الفعل و العجز عن الإبداع و تحمل المسؤولية، ربما أصبح من الضروري أن نعيد النظر في معنى الأمية :أُكتب و اقرء و احسب و أن لم تكن قادرا على التفكير و الإبداع و النقد فأنت أُمي.

تقتضي مجانية التعليم قدرة التلميذ على الإستفادة من كل الأدوات الجديدة العصرية المعتمدة في التدريس. لقد مر الزمن الذي كان التعليم يحتاج فيه إلى دفتر و كتاب و بعض الأدوات الأخرى التي يشتريها التلميذ، بل أصبح التدريس يتطلب تجهيز المؤسسات التعليمية و تحديثها لتواكب متغيرات العصر.المجانية هي قدرة على الاستفادة من التمدرس وفق ما أقرته المواثيق الدولية و في كل المناسبات تقريبا .

يقول بياجي في هذا الصدد : *le principe de la gratuité du matériel scolaire doit etre considéré comme le corollaire naturel et nécessaire de l'obligation scolaire * (36)

من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية لابد من ضمان الحق في التعليم بشكل مستقل عن الشروط المادية للأسر، لأن ميولات التلاميذ و قدراتهم قد تتحطم لعدم قدرة أسرهم على تغطية تكاليف التعليم ما بعد المجاني، أن كان تعليمنا مجانيا في الأصل .

أن المجانية لا تعني صدقة أو هبة من شخص أو جهة، إنها حق يستمد مشروعيته من كون المواطن أصلا فاعلا بالضرورة داخل بلده و هذا واجب الدولة تجاه المواطن، بل هذه هي وظيفتها الطبيعية و أن لم تمارسها كما يجب فهي عاطلة عن الفعل و العمل. أن المقاربة السياسوية لمجانية التعليم تفقد المنظومة التربوية قدرتها على القيام بمهامها. بالإضافة إلى ما قيل حول المجانية، يمكن أن نضيف مصاريف النقل المدرسي و الايواء و التغذية ...الخ، و لتشجيع التعلم وُجدت المنح كمساعدات، و لكن هل تكفي و هل تساعد فعلا، و هل تصل إلى من يستحقها أم إنها تخضع كذلك للمحسوبية والزبونية و أشياء اخرى ؟ و هل هي حق أم صدقة من الاغنياء للفقراء يقدمونها متى أرادا و دائما بنوع من الإدلال، قال بياجي : « une bourse n’est point l’expression d’une générosité de l’état , mais répond à une obligation précise de la société » (37)

من بين المطالب المستعجلة العدالة الاجتماعية والعدالة المدرسية و تظهر هذه الأخيرة في الحق في مجانية التعليم الثانوي الإعدادي الذي لكي يتحول إلى حق فعلي، لابد أن يسمح للعامل اليدوي و الفلاح و التاجر مستقبلا أن يجد فيه الأدوات النافعة لعمله المستقبلي.

أن الانطلاقة العلمية للتربية أساسها الذات المتعلمة، و هي تكتسب مهارات الفعل بطرق مختلفة و أدوات متعددة و من فضاءات مختلفة، لهذا يمتد الحق في التعليم إلى عناصر قد لا نعيرها كبير اهتمام أثناء

ممارستنا لفعل التربية. تستهدف التربية انفتاح أو إشراق الشخصية ودعم و تقوية إحترام حقوق الإنسان و الحريات الأساسية .

لم تعمل المادة 26 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على التصريح بالحق في التعليم أو التربية، بل طرحت سؤالا ضمنيا عن الهدف من التربية، هل وظيفة التربية هي إشراق الشخصية(épanouissement de la personnalité) أو صناعة (faconner) الافراد حسب نمودج مطابق للأجيال السابقة ؟. عندما كان المراهق يخضع في القبائل البدائية إلى مجموعة من الطقوس و يُوضع في فضاء سحري مصحوب بنوع من التأثر الوجداني لينتقل من مرحلة إلى أخرى، لم تكن هذه تربية تستهدف انفتاح الشخصية أو إشراقها، بل كانت تربية تقوم على الخضوع و الإمتثال و مطابقة فعل الفرد للجماعة .

لكن ما معنى انفتاح أو إشراق الشخصية ؟و ما هي المناهج التي توصل التربية إلى هكذا فعل ؟.

لم تضع المادة 26 من الاعلان السابق تعريفا للشخصية، بل صرحت أن إشراقها مرتبط باحترام حقوق الإنسان و الحريات الخاصة بالشخصيات الأخرى، لابد من التمييز بين الفرد و الشخص : الفرد هو الانا الذي يعتبر مركز ذاته و يعيق انطلاقا من مركزية الذات هذه العلاقات الاجتماعية و بالتالي تطور الحياة الاجتماعية ، في حين أن الشخصية هي:

la personnalité est donc une certaine forme de conscience moral (38)

ثم يعرف بياجي إشراق الشخصية فيقول:

*viser en plein épannouissement de la personnalité c'est former des individus capable d'autonomie intelectuelle et moral et respectant cette autonomie chez autrui en vertu précisément de la règle de réciprocité qui la rend légitime pour eux –memes * (39)

يتأسس بناء الشخصية على وسط إجتماعي يعتمد التعاون ويدرك قيمة التعدد والإختلاف وليس على الاخضاع la soumission، لأننا نستهدف عقل مبادر و وعي أخلاقي حي .

لنعلم أبنائنا التفكير عوض الأفكار، هذا ما نستخلصه مما سبق، لأن التعليم فعل في الأساس له أخلاق تؤسسه و تبنيه و ترسم طريقه، يحتاج فعل التعليم إلى طريقة ليتحقق، من أين نستمد قواعد الفعل و التصرف؟ لماذا نتصرف على نحو ما دون آخر؟ من أملا علينا طرق الكلام والأكل و النوم و الجلوس و الإستماع والتفكي؟ من أين حصلنا على طرق الفعل والتصرف، أهي مستمدة من الدين، و هي ما يعرف بالآداب (آداب النوم و الأكل و الكلام و الذهاب للخلاء وو)،؟ لا وجود لفعل دون طريقة للقيام به حتى الأفعال الأكثر حميمة نجد لها طرقا للقيام بها، فمن يشرع لأفعالنا، أيكون العقل الإنساني هو الذي يحدد طريقة أفعالنا، نفكر و نفعل ما يأمر به العقل ؟ و لكن عندما نمارس فعل التفكير يجب كذلك أن نتساءل من علمنا التفكير على هذا النحو و هل نفكر فعلا، و إذا لم نكن نفكر ما هو الفعل الضروري لممارسة التفكير ؟

نفكر في أزمة المنظومة التعليمية بفكر متأزم، لأن ما وصلت إليه المنظومة هو نتاج لنوعية من التفكي.عجز المنظومة التربوية عن أدائها لمهامها هو عجزالعقل عن ممارسة أفعاله الطبيعية، أصبحنا في حاجة إلى نقد العقل العربي. بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967 وظهور المشاريع العربية المعاصرة، تم تجاوز القسمة التقليدية للعقلانية الموروثة منذ عصر النهضة : العقلانية الإصلاحية، والعقلانية الليبرالية، والعقلانية العلمية العلمانية، إلى مشاريع جديدة تحت مسمى (نقد العقلانية) بفروعها الثلاثة:نقد العقل الإسلامي لمحمد أركون، ونقد العقل العربي لمحمد عابد الجابري، ونقد العقل الغربي لمطاع صفدي و سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمان، لكن ماهي الأدوات التي يستعملها هذا النقد ما هي مرجعيتها، لأنه قد يحتاج النقد لنقد آخر كي يستقيم و هو ما يظهر الآن في النقد الذي يتعرض له فكر محمد عابد الجابري.

أخذ نقد العقل موقع الصدارة، واحتلَّ حيزاً كبيراً في خطاب المفكرين في الساحة العربية و الغربية كذلك، نتيجةً للمأزق الذي كان يمرّ به الواقع العربي و بسبب العقل العربي. دفع ذلك المثقفين العرب إلى توجيه أصابع الاتهام بالدرجة الأولى إلى العقل العربي ذاته. من هذا المنطلق بالذات كما يقول علي حرب: "نفهم الإهتمام الذي يبديه الباحثون والمفكرون العرب حالياً بنقد العقل، كما يتجلى ذلك فيما صدر وما يصدر تباعاً من مؤلفات أو فيما تطالعنا فيه الصحف والمجلات من حوارات، أو فيما يُعقد من مؤتمرات وندوات، كلها تُخصص لمساءلة العقل العربي عن فاعليته وجدواه والبحث في أزماته

ومشكلاته واستكشاف إمكاناته وحدوده. إذا شكَّلت الفلسفة الكانطية لحظة تحول أساسية في تاريخ الفكر الأوربي ،حيث لم يعد النقد مجرد دحضٍ، وإنما أصبح فحصا وتحليلا لأنظمة المعرفة والكشف عن أسس التفكير وآلياته والبحث في كيفية إنتاج المعنى وقاعدة تشكيل الخطاب و ذلك انطلاقا من الفهم الأولي للإنسان، فإن الفكر العربي ظن، و هو ما زال يفعل ذلك الآن، أنه يمكن أن ننجز ثورة فكرية بأدوات كانطية و هذا نقد خاطئ للفكر العربي. نعم للإنفتاح على العقلانية في تعددها و اختلافاتها و مرحبا من الاستفادة من الفكر الإنساني و التجارب التي خلفها، لكن هناك خصوصية المجتمعات العربية، الثقافة العربية الاسلامية،و يجب على الناقد أن يستمد أدوات بحثه من الظاهرة التي يتعامل معها، نحن هنا لا نُعيد اجترار ثنائية (العودة للسلف الصالح أو تقليد الغرب الفالح)، ولكن نريد أن نقول أن أساس التغيير أو الإصلاح هو الإنسان، كل شيء نصنعه هو للإنسان بما في ذلك العقل و هذا يفترض أن نتعرف على الإنسان فينا و أن نجعله قاعدة للانطلاق، والمهم هو أن نعترف بإنسانيتنا،و أن نعيد ترتيب فهمنا بشكل يليق بمتطلبات و إمكانيات المرحلة المعاصرة. يجب أن يوصلنا نقد العقل إلى إنتاج نمط جديد من العقلانية، أي تفكير في أسئلة جديدة و أهداف جديدة وأدوات جديدة، حتى نتمكن من تأسيس الفضاء الملائم للحياة الإنسانية أي المجتمع، وللأسف مازلنا نعتقد أن تأسيس دساتير و قوانين جيدة و بناء صورة قانونية لدولة الحق و القانون يسمح لنا أن نكتسب هذه الصفة دون عناء، في حين أن دولة الحق و القانون هي دولة تتجسد في الواقع المعيش للناس،ليست دولة الحق و القانون شبحا لا يرى أو فصولا قانونية تدافع عن الإنسان و حقوقه و تنظم حياته بشكل عقلاني نظري، أن دولة الحق واقع يظهر في التعليم في طرقه وبرامجه و أدواته و الأُطر الساهرة على تنفيذه و في توفير اللوازم العصرية لإنجاح هذا الفعل. تظهر دولة الحق في المستشفيات و في نُبل الأطباء و عطفهم و احترامهم للإنسان دون أي تمييز و في نفس الوقت كفايتهم للمواطنين، أن دولة الحق تحارب العنف بإحلال الحق لا بالعنف أو الاقصاء أو التهميش، إنها دولة تُفعل القوانين من أجل حماية و ضمان حقوق الإنسان .

نظريا أو صوريا لا وجود، ربما، لدولة لم تؤسس دساتيرها على إحترام حقوق الإنسان، و لكن هل يكفي وجود القانون لنتحدث عن تحقق الحق، أم لابد من تفعيل القوانين لحماية الحقوق؟ لنحاول أن نتبين

الأمر بشكل أوضح انطلاقا من استحضار بعض الفصول من الدستور المغربي و المتعلقة بالحريات الأساسية خاصة تلك المتعلقة بالطفولة و الأسرة .

الفصل 19 :يتمتع الرجل والمرأة، على قدم المساواة، بالحقوق والحريات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية، الواردة في هذا الباب من الدستور، وفي مقتضياته الأخرى، وكذا في الاتفاقيات والمواثيق الدولية، كما صادق عليها المغرب، وكل ذلك في نطاق أحكام الدستور وثوابت المملكة وقوانينها.

تسعى الدولة إلى تحقيق مبدأ المناصفة بين الرجال والنساء.

وتُحدث لهذه الغاية، هيئة للمناصفة ومكافحة كل أشكال التمييز.

فصل يُشعرالانسان بإنسانيته، و لكن هل كل المواطنين مدركين للمعاني العميقة التي تحملها هذه المفاهيم :المساواة، الحريات المدنية و السياسية و الإقتصادية، لنكن صرحاء و نعلم أننا نطلب من الإنسان أن يحفر بدون فأس ويكتب بدون قلم و يعبر بدون لسان، أن المطلوب هو تزويد المواطنين بأدوات الفهم التي لا تُصنع إلا في المدارس و الأسر، هكذا يمكن أن ننتقل بهذا الفصل الدستوري من عالمه الافتراضي إلى واقع الناس حيث يتحول إلى سلوك، ثقافة أو نمط عيش، وقتها ستتجسد دولة الحق في المواطن المغربي كما تتجسد في الفرنسي و الألماني و غيرهم. مازال بعض المدرسين يصعب عليهم

التمييز بين العدالة و المساواة، أو اعطاء تصور واضح نسبيا للدولة أو الحق، فكيف سيكون حال غالبية المواطنين ؟

الفصل 20 :الحق في الحياة هو أول الحقوق لكل إنسان . ويحمي القانون هذا الحق. نعم ، لكن ما الحياة ؟

الفصل 22 :لا يجوز المس بالسلامة الجسدية أو المعنوية لأي شخص، في أي ظرف، ومن قبل أي جهة كانت، خاصة أو عامة.

الفصل 23:لا يجوز لأحد أن يعامل الغير، تحت أي ذريعة، معاملة قاسية أولا إنسانية أو مهينة أوحاطة بالكرامة الإنسانية.

الفصل 24: ممارسة التعذيب بكافة أشكاله، ومن قبل أي أحد، جريمة يعاقب عليها القانون.

كيف يحمي القانون هذه الحقوق خاصة ما يتعلق بالطفل و الطفولة، داخل الأسر و في الشارع و المدارس و المساجد والمعامل، و نحن نرى يوميا مظاهر العنف و في كل المؤسسات سواء التربوية أو الدينية أو المخزنية :(تشغيل الأطفال – اغتصاب الأطفال –تعنيف الأطفال – أدلجة الأطفال – تزويج القاصرات – استعباد الطفلات عندما يشتغلن في البيوت و هن قاصرات، مجتمعنا مليء بالإساءات للطفل و الطفولة).

الفصل 25: حرية الفكر والرأي والتعبير مكفولة بكل أشكالها.

فصل واضح، لكن هل تقوم المنظومة التعليمية بمهامها كي تسمح للمواطنين باكتساب مهارة التفكير؟ و هل شجعتهم و حفزتهم لتكون لهم القدرةعلى التعبير؟ أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية مطالبة بالقيام بدورها بشكل عقلاني ليتمكن المواطن من الاستفادة من هذه الحقوق، خاصة الأسرة و المدرسة .

الفصل 31: تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنات والمواطنين، على قدم المساواة، من الحق في:

- العلاج والعناية الصحية؛
- الحماية الاجتماعية والتغطية الصحية، والتضامن التعاضدي أو المنظم من لدن الدولة؛
- الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذي جودة؛
- التنشئة على التشبث بالهوية المغربية، والثوابت الوطنية الراسخة؛
- التكوين المهني والاستفادة من التربية البدنية والفنية؛
- السكن اللائق؛
- الشغل والدعم من طرف السلطات العمومية في البحث عن منصب شغل، أو في التشغيل الذاتي؛
- ولوج الوظائف العمومية حسب الاستحقاق؛
- الحصول على الماء والعيش في بيئة سليمة؛
- التنمية المستدامة.

يجمع هذا الفصل بين الصحة و التعليم و الهوية و الشغل و البيئة و التنمية المستدامة و هو بهذا فصل قوي و محيط بكل الحاجيات الإنسانية،و لو تم تفعيله بحيث يستفيد المواطن من هذه الحقوق لكان أقوى.

يُظهر هذا الفصل أنه لا تقدم بدون بيئة سليمة وتغذية متوازنة و انتماء قوي لهوية نريد أن نشرفها، لا أن نتخلى عنها أو نقبلها على مضض.أن تحقيق هذا المراد يعتمد على منظومة تربوية وطنية تعمل بشكل

عقلاني، و في نفس الوقت مواطن يمتلك الحد المتوسط للعيش كي يُوفر زمنا للتفكير في أمورأكثر أهمية من فاتورة الماء و الكهرباء و قنينات الغاز و الكراء و الدواء و التغذية و اشياء اخرى كثيرة .

الفصل 32: الأسرة القائمة على علاقة الزواج الشرعي هي الخلية الأساسية للمجتمع.

تعمل الدولة على ضمان الحماية الحقوقية والاجتماعية والاقتصادية للأسرة، بمقتضى القانون، بما يضمن وحدتها واستقرارها والمحافظة عليها.

تسعى الدولة لتوفير الحماية القانونية، والاعتبار الاجتماعي والمعنوي لجميع الأطفال، بكيفية متساوية، بصرف النظر عن وضعيتهم العائلية.

التعليم الأساسي حق للطفل وواجب على الأسرة والدولة.

يحدث مجلس استشاري للأسرة والطفولة.

لكي تحمي الدولة هذه الحقوق عليها تفعيل قوانين صارمة و ذلك من خلال إدراكها أن حماية حق الطفل، خاصة في التعلم،مهمة الدولة قبل الأسرة .

لقد قطعنا أشواطا مهمة في مقاربتنا للطفولة والأسرة، و مدونة الأسرة شاهدة على ذلك خاصة في ما تتضمنه المادة 54 و التي تنص على ما يلي :

للأطفال على أبويهم الحقوق التالية :

حماية حياتهم و صحتهم منذ الحمل إلى حين بلوغ سن الرشد.

العمل على تثبيت هويتهم و الحفاظ عليها خاصة بالنسبة للإسم والجنسية والتسجيل في الحالة المدنية.

النسب و الحضانة والنفقة طبقا لأحكام الكتاب الثالث من هذه المدونة.

إرضاع الأم لأولادها عند الاستطاعة.

اتخاد كل التدابير الممكنة للنمو الطبيعي للأطفال بالحفاظ على سلامتهم الجسدية والنفسية والعناية بصحتهم وقاية وعلاجا.

التوجيه الديني والتربية على السلوك القويم وقيم النبل المؤدية إلى الصدق في القول والعمل، واجتناب العنف المفضي إلى الإضرارالجسدي والمعنوي، والحرص على الوقاية من كل استغلال يضر بمصالح الطفل.

التعليم والتكوين الذي يؤهلهم للحياة العملية وللعضوية النافعة في المجتمع، وعلى الآباء أن يهيئوا لأولادهم قدر المستطاع الظروف الملائمة لمتابعة دراستهم حسب استعدادهم الفكري والبدني.

عندما يفترق الزوجان، تتوزع هذه الواجبات بينهما بحسب ما هو مبين في أحكام الحضانة.

عند وفاة أحد الزوجين أو كليهما تنتقل هذه الواجبات إلى الحاضن والنائب الشرعي بحسب مسؤولية كل واحد منهما.

يتمتع الطفل المصاب بإعاقة، إضافة إلى الحقوق المذكورة أعلاه، بالحق في الرعاية الخاصة بحالته، ولاسيما التعليم والتأهيل المناسبان لإعاقته قصد تسهيل إدماجه في المجتمع.

تعتبر الدولة مسؤولة عن اتخاذ التدابير اللازمة لحماية الأطفال وضمان حقوقهم ورعايتها طبقا للقانون.

تسهر النيابة العامة على مراقبة تنفيذ الأحكام السالفة الذكر.

و قد خص المشرع المغربي كل حق من هذه الحقوق بتنظيم تشريعي وافر متجاوزا القصور الذي أسفر عنه تطبيق النصوص القديمة، غير أنه لابد من تفعيل كل القوانين الزجرية لنتجاوز كل إساءة للطفل سواء كانت عن وعي أوعن غير وعي، لأن هذه المرامي مازالت بعيدة عن التحقق لضعف المستوى التعليمي للأسر و كذلك ضعف قدرتهم الشرائية، فلا عقلنا يرقى إلى ما نريد و لا قدرتنا الشرائية تسعفنا لنعتني بشكل أفضل بأبنائنا .

العقل العاطل ينتج تعليما عاطلا، ما هي مرجعية أفعالنا،هل هي عقلية أم دينية أم ثقافية ؟ أو من أين نستمد الاخلاق أي قواعد السلوك و التصرف لتحقيق ما جاء في الدستور أو ما أقرته مدونة الأسرة ؟

تحدث الكثير من المفكرين العرب والغرب عن العقلانية العربية أي طريقة التفكير، أو لنقل طرحوا سؤالا صريحا :كيف يفكر العرب؟

سؤال مهم و ضروري، لأنه واضح أن طريقة تفكيرنا تعيق تقدمنا وتقدم العالم، ولم تُنتج سوى مجتمعات تصنف دائما ضمن الدول التي تعرف ارتفاعا في نسبة الامية، الفقر، الجهل و الأمراض.

يظهر مما سلف أن العقلانية نمط حياة و هي مشروطة أولا بحب الأوطان و الغيرة على الهوية والعمل من أجل الرقي بالذات نحو ما هو أفضل :لا غش في القسم و المستشفى و الطرقات و القناطر، هذه أخلاق تكون أساس بناء الوطن والمواطن وهي تستحق أن نغيرسلوكنا من أجلها، لكن المطلوب هو التفكير الجيد قبل الانخراط في الفعل، لأن تغيير السلوك يجب أن يبدأ من الأسرة و المسجد و المدرسة وقد تغير هذه المؤسسات الشارع لأنها هي التي أوجدته .

أول فعل يجب أن تعلمه هو الاحترام، الإعتراف بإنسانية الإنسان، لأن العنف لا يحارب بالعنف أو الاقصاء أوالتهميش أوتقسيم المواطنين إلى عارفين حاكمين و جاهلين محكومين، يحارب العنف بإحقاق الحق وضمانه و المحافظة عليه، هكذا نُقلل من هامش العنف، وحتى لا يبدو و كأن هذا الكلام سقط من السماء بدون مظلة، سنتحدث عن كيفية إحترام التلميذ داخل المؤسسة التعليمية باعتبارها مجال فعلنا :التلميذ إنسان محب للعلم بالضرورة، تواق للمعرفة ، له ذات و من حقه أن يمنح معاني لجسده إما عبر لباسه أو حلاقته لرأسه أو الموسيقى التي يستمع اليها أو اشياء أخرى، للتلميذ قضاياه ومشاكله الخاصة و هي ليست كبيرة أو صغيرة، لأن المشكل مشكل عند صاحبه و يحتاج لمن يستمع إليه دون استهزاء أو خيانة أو أي فعل قد يُفقد المُستمع مصداقيته، من حق التلميذ الغضب و من الواجب عليّ تفهم ذلك، من حقه التمرد وعليّ عقلنة تمرده، من حقه أن يحب و عليّ أن أساعده على المحافظة على حبه، من حقه

الرد على الاهانة و عليّ تشجيعه على ذلك، من حقه كذلك أن يكون جريئا و عليّ أن أساعده على بلوغ ذلك عبر المشاريع المنجزة في القسم، لا يحب المتعلم الرتابة و بالتالي من حقه عليّ تنويع طرق تدريسي : أفلام قصيرة، لوحات فنية، موسيقى، مسرح،تجارب أساتذة آخرين، خاصة بعد أن يسرت وسائل التدريس المعاصرة هذه الامكانيات. من حق التلميذ أن يخطئ بل هذا حق إنساني، لابد أن أُعَرفَ التلميذ بقيمة الخطأ و كم هو دال على الفعل، ثم أساعده على تجاوز الخجل الذي يعقب ارتكاب الخطأ لأن هذا الخجل المرضي قد يمنع التلميذ من التعبير خوفا من الخطأ في مجتمع لم يتربى بعد على إحترام الخطأ، من الضروري كذلك تعزيز ثقة التلميذ في ذاته، الذكور كما الإناث والاغنياء كالفقراء، ما نتحدث عنه الآن هو العدالة المدرسية لأن التلميذ كائن مبدع ولا حق لي في الوصاية عليه أو أدلجته أو أن أجعل من نفسي نمودجا له، هذا أكبر خطأ قد يسقط فيه المدرس رغم حسن نواياه، لأن التلميذ مطالب بنحت معالم شخصيته بنفسه و بمساعدة جماعة القسم.

الاحترام إعتراف بالإنسان بعد معرفته، و لنحترم أبنائنا و تلامذتنا أنجزنا هذا العمل لنبحث عن قاعدة جديدة للفعل، ليس بالضرورة مستقلة عن الدين ولا تؤمن بإطلاقية العقل و لا تنفي دور الثقافة في تحديد قواعد الفعل و التصرف، لأن مجتمعنا تتداخل فيه كل هذه المرجعيات و هذا التعدد جميل أن لم يتم التلاعب به سياسويا .

بعد أن تعرفنا على البعض القليل من خصائص المراهقة وتبينا المفاهيم المجاورة لها، مثل التربية و الحق في التعلم و ذلك من خلال العودة للتجارب التي عرفتها الإنسانية في هذا المجال، أصبح لزاما علينا استثمار تلك المعطيات من أجل تأسيس معرفة علمية لمرحلة المراهقة، غير أن هذه المعرفة اعتمدت الحوار و حاولت أن تنطلق من محيط سوسيو – ثقافي محدد و مختلف.

نعم، صرحنا أن المراهقة واحدة لا تتغير بتغير الأزمنة و الأمكنة و هذا يعني أنها مرحلة طبيعية من مراحل نمو الإنسان، و لكننا صرحنا،كذلك، أن للمحيط الأثر الكبير في عملية النمو، و بالتالي فالعملية مستمرة كما كانت منذ البداية و لكن بأدوات جديدة و مناهج مضبوطة أي بعقلانية علمية.لهذا حاولنا أن نتبين الأدوات و نوع العقلانية التي تُعتمد في تنشئة المراهق و المراهقة داخل الأسرة ثم المدرسة.

اعتماد الحوار في كل الدراسات أمر ضروري وطبيعي و صحي وعلينا أن نتعلم كيفية مُحاورة الظواهر، و الظاهرة هنا مرتبطة بالتعليم والتربية بشكل أولي و بكل المؤسسات الاجتماعية ثانية .الحوار هو دفع ظاهرة المراهقة لتخبرنا عن طبيعة العلاقة بين ما هو عقلي و وجداني و بدني في حياة المراهق و المراهقة.

اعتمدنا لهذا الغرض مجموعة من المناهج كالملاحظة و المقابلة و الاستمارة،و نشير هنا إلى أنها المناهج الوحيدة التي تقبلها الظاهرة، خاصة في المنطقة مجال البحث،بالإضافة إلى منهج المعايشة الذي يسمح بالإطلاع عن نمط العيش كما هو دون تعديل مسبق.سنحاول التعرف على المراهقة في وسط قروي مازالت تحضر القبيلة فيه بشكل قوي و كذلك الدوار و الجماعة، وسط تتحكم فيه سلطة الثقافة أو كما سماها "ماكس فيبر" سلطة الأمس الأزلي، أي التقاليد، العاداتن الأعراف الخ، و تعتبر هذه السلطة هي المسير و المدبر لكل أفعال الناس في المنطقة تقريبا. لنتعرف إذن عن مجال البحث ثم نحاول معرفة الفضاء الأسري الذي ينمو فيه المراهق (لقد قمنا ببناء استمارة موجهة للأسر عبر أبنائهم المراهقين و المراهقات، حيث بلغ العدد 400 أسرة كعينة تم التعامل معها لمعرفة تمثلاتها للمراهقة و لنعرف إمكانيات الأسر العقلية والمالية التي تساعدها على أداء ما هو منتظر منها)، ثم بعد ذلك سنحاول التعرف على المراهقة من خلال محاورة 400 مراهق و مراهقة عبر استمارة مبنية لهذا العرض .

ينحدر سكان الجماعات الخمس لتازناخت من قبائل أيت واوزكيط وهي جزء من الحلف القبلي المصمودي الكبير ، وهو حلف يسكن جبال الأطلس الكبير جنوب مدينة مراكش . حافظت هذه القبائل على تراثها وأسمائها لأزيد من تسعة قرون تقريبا ، فعندما نتصفح ما كتبه "البيذق" وهو أبو بكر بن علي الصنهاجي الشهير بالبيذق، مؤرخ مغربي وأحد تلاميذ ابن تومرت وأنصار دعوته، ألف كتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين وهذا الكتاب مهم في تاريخ الدولة الموحدية، لأن مؤلفه شاهد عيان لكل ما كتب، كما أن مؤلفه كشف جوانب غامضة في شخصية ابن تومرت ودعوته . من مؤلفاته المشهورة كتاب المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب الذي يتناول الأنساب العربية. يتحدث البيذق عن بعض القبائل ، أسمائها وأماكن تواجدها وبعض من طباعها ، ورغم مرور الزمن مازالت الأماكن هي الأماكن ومازالت القبائل أو على الأقل البعض منها تحمل أسماءها التي عرفت بها سواء عند المؤرخين أو السوسيولوجيين ، اللهم القبائل التي حولتها الدولة لجماعة حضرية مثل قبيلة أيت اوكرسيف التي لم تعد دواوير بل أصبحت شوارع ودروب ، وهذا أمر جيد لأنه تحديث للبنى القبلية وجعلها مؤسسات حداثية . كان هذا الحلف القبلي الواوزكيطي يضم تقريبا 43 قبيلة نذكر البعض القليل

منها خاصة القبائل المرتبطة بمجال البحث وهي : قبيلة أيت ضوشن ، أيت عمرو ، أيت زكيط ، أيت أوبيال ، زاكموزن ، إخزامن ، أيت واغرضة ، أيت سمكان ، أيت تماسين ... وتنتظم هذه القبائل الآن أو على الأقل البعض منها في جماعات قروية. فالجماعة القروية إزناكن تضم قبيلة إزناكن وقبائل أخرى ، والجماعة القروية سيروا تضم قبيلة أيت سمكان وأيت واغرضة وأيت تماسين ، وتضم الجماعة القروية وسلسات قبيلة أيت عمرو وأيت ضوشن وقبيلة أحميدي ، وتضم الجماعة القروية خزامة قبيلة إخزامن وأيت ماغليف . لقد صنعت هذه القبائل الحياة في الجنوب المغربي ، أوجدت لها ثقافة ونمط عيش ورسمت لنفسها شكلا للنظام . وأفضل ما يمكن أن نتعرف من خلاله عليها هو العودة إلى تاريخها المرتبط بالمقاومة . دافعت هذه القبائل عن استقلاليتها ضد المستعمر وعملائه من القواد إبتداء من 1916 إلى 1938

ويقول محمد أيت بركة في هذا الصدد : " شرع الاستعمار الفرنسي بواسطة الكلاوي يزرع بيادقه في بعض الجهات كقرية أكلميم وأصديف فأخذ هؤلاء البياديق يفرضون على الناس الغرامات

الثقيلة ويكلفونهم ما لا يطيقون فأصحاب الغنم يدفعون الأكباش السمينة وأصحاب البغال والإبل يكلفون بالحرث والنساء بالرقص والغناء والمساكين بإحراق حجر الجير لتشييد القصبات أو يكلفونهم بحمل الحطب وهم يتنزهون ويفرحون ويمرحون (إشارة منه إلى عملاء المستعمر وبيادقه) إلى أن سئم الناس الحياة (...) حينئذ قرر أعيان صنهاجة أن يواجهوا أولائك الطغاة المتوحشين ويقاوموهم حتى يردوهم على أعقابهم أو يهلكوا دون ذلك فاستقر رأيهم (الأعيان) أن يحرقوهم بالنار ليشفوا غليلهم ويجعلوهم عبرة للمستعمر الفرنسي الغاشم"(40) تاريخ هذه القبائل تاريخ حروب وانكسارات وانتصارات أيضا ، لكن خطابهم يبين أنهم عانوا كثيرا من ظلم المستعمر وعملائه ، والآن من تهميش الدولة ليصبح إنصافهم حقا بحكم وطنيتهم وإنصاف هذه الأرض كذلك حقا لما شهدته وسجلته من تاريخ هذه القبائل . ويعمق الحاج بركة الوصف لهذا الجرح الذي لم يندمل بعد حتى عند المعاصرين ، فنحن نحس بغضبه وهو يكتب هذه الكلمات حيث قال : " فما كان من أولائك الطغاة إلا أن خرجوا ذات يوم للتنزه وابتزاز أموال الناس فاشترطوا على القبيلة أن يدفع أهل كل قرية يمرون عليها عجلة سمينة ومعها ما يقارب وزنها من سمن وعسل ولوز وبيض ودجاج ناهيك عن ما يأخذه أتباعهم من سخرة تؤدى للمخازنية والشيوخ ، ومن لم يؤدي نصيبه منها فإنه يسجل إسمه في اللائحة السوداء ليذوق بعد حين سوط عذاب ، ويزج به في ظلمات الدهاليز كي يخضع مرة أخرى للأوامر والتوجيهات الصادرة عن خلفاء الكلاوي ويستجيب لنداء الشيوخ والأعيان "(41)

أن الحاج بركة لا يتحدث عن القرون الوسطى، بل يتحدث عن بداية القرن العشرين. نستحضر هذا لتدرك الدولة أن الجرح الذي أحدثته في الجنوب غائر ، لا يهم أن كان خطأ أو عمدا ولكن المهم هو معرفة حجم الضرر وما مدى قوة حضور هذه الأحداث في الذاكرة وكأنها أحداث مرت بالأمس فقط، لهذا نعاود القول أن الانصاف أصبح حق لا إمتياز أو هبة أوعطف . ويصف عبد الرحمان عبد الله الصنهاجي بعض أشكال القهر والظلم وفي نفس الوقت المقاومة فيقول : " وأما من جهة أخيه القائد حمو فإنه بعدما جمع بدوره من العملاء ماشاء من رجال قبائل الكلاوى إنطلق بها من معقله في تلوات ليهاجم بها القبائل الواوزكيطية في جنوب الأطلس الكبير ، فبدأ هجومه على قبيلة تيديلي فاستولى عليها وجمع

منها رجالها ليهاجم بها ثانية قبائل سيروا، وبعد استيلائه على هذه القبائل التي وفر منها قوة هائلة من الرجال الذين سلحهم قهرا وضمهم إلى جيشه وصار بهم لمحاربة قبائل صنهاجة وسلسات التي رفضت أن تستسلم للإستعمار وأعوانه ..."(42)تاريخ المنطقة مليء بالتضحيات ، أظنهم لم يخذلوا وطنهم يوما وإلى الآن هم يشاركون دائما في دعم الدولة والمساهمة في كل الأعمال السياسية الكبرى وبشكل يتوافق مع إرادة الدولة .

هو الجنوب، إذن، صحراء من كل الجهات تاريخ أبطاله دائما قتلى أو في السجون وحاضر تقسو عليه الطبيعة ويعاني من التهميش والبطالة والفقر وهشاشة الموارد الطبيعية . لنتعرف على مناخ المنطقة مجال البحث لنفهم جيدا . مناخ قاري حار جدا صيفا وبارد شتاء، تصل سرعة الرياح فيه إلى 60 كلم في الساعة وتتراوح درجة الحرارة بين 45 درجة صيفا ودون الصيف شتاء وهذا النوع من المناخ يخلف بيئة يصعب على الإنسان أن يعيش فيها. إذ يتكون الغطاء النباتي من النباتات التالية : الشيح، الزعتر،الدوم، (واركجدي)، الحرمل، (إفزي) وبعض النباتات الشوكية الأخرى . أما التضاريس

الغالبة على منطقة البحث فهي الهضاب والتلال ثم الجبال وأعلى قمة في المنطقة جبل سيروا بعلو يتجاوز 3000 متر. أهم الأنهار في المنطقة هو وادي أماغا الذي أقيم عليه سد تغدوت، وتعتبر كل الأودية موسمية وهي تصب في سد المنصورالذهبي بورزازات . لا تسمح هذه التضاريس بعصرنة النشاط الفلاحي .

تعتبر الزراعة ثم تربية الماشية من الأنشطة الأساسية لسكان المنطقة، ويعمل الرعي غير المنظم على تعرية المنطقة والأضرار بالبيئة، لقد أدى الجفاف إلى تراجع الغطاء النباتي وزحف الرمال ، كما أن تربة المنطقة إما رملية أومالحة وهي تحتاج لدراسة علمية كي يتم ترشيد استغلالها. هي حرب في الماضي ضد الكلاوي والمستعمر والآن ضد الطبيعة وما خلفه الكلاوي من عملاء همهم استنزاف خيرات الوطن ومص دماء الفقراء، في مجال تعتبر الموارد الطبيعية فيه هي المقالع التي تستخرج بشكل أساسي معدن الكوبالت ومعادن أخرى، الوديان كلها موسمية والعيون المائية تغذي الفرشة المائية للأبار أما البحيرات فيوجد سد تغدوت الذي تم إنشاؤه سنة 1956 وكانت سعته حوالي 950 ألف مترمكعب وهو يسقي حوالي 175 هكتار بدوار تغدوت والمزارع التابعة لها والمعروفة بتاكدالت .

ما نقدمه الآن إنماهو أساس لما سيأتي من بعد، فهذا مجتمع هُدرت الكثير من حقوقه وهو المجتمع الذي نحاول أن نتعرف فيه على المراهقة أو لنقل الطفولة بشكل عام. إنه مجتمع يتحول ببطء لأن ثقته لم تتجدد فعليا تجاه المقدم والشيخ، اللذان كانا بالأمس القريب يرعبان الناس والتاريخ شاهد على ذلك، لم يسطع الناس هنا إحداث الألفة بينهم وبين مؤسسات الدولة، لهذا فالإنصاف الفعلي هو أن يطمئن الإنسان القروي للمؤسسات التي يتعامل معها، ولكي تُطمئن الدولة المواطن عليها إعادة الاعتبار للمكان وللثقافة وللإنسان،وذلك عبر الإهتمام بصحة الإنسان القروي، ويتمثل هذا الإهتمام في إحداث المستشفيات وتجهيزاتها الآلية والبشرية، وفي الطرقات التي تعتبر بمثابة الشرايين المغذية لجسم الدولة ككل، يظهر هذا الإهتمام كذلك، في جودة المدارس و كفايتها، و في الربط بشبكة التطهير الصحي التي تنعدم في تازناخت الكبرى . أن المسافة الفاصلة عن أقرب مدرسة تتراوح بين 0 و6 كلمترات (دوار إملزاوط، أيت عمرو ، جماعة وسلسات) كما أن المسافة الفاصلة عن أقرب إعدادية تتراوح بين 0 و 60 كلم (دوار تاستيفت، قبيلة أحميدي، جماعة وسلسات) أما المسافة الفاصلة عن أقرب مؤسسة صحية فتتراوح بين 0 و 36 كلم . ليس هناك تدبير عقلاني للنفايات، هذه بعض من المجالات التي تحتاج الانصاف فعلا .

ليس الانصاف مهمة من مهام الدولة فقط بل هي مهمة كل المواطنين ،من هنا إرتأينا أن الإمكانيات التي نمتلكها تسمح لنا بأن نساهم في عملية الإنصاف وذلك بالتعريف بالمنطقة وخاصة الجانب الذي يهمنا وهو :كيف نعرف المراهقة وكيف نربي و نعلم أبنائنا المراهقين و المراهقات خاصة في المجال أو الوسط القروي ؟.

الدراسة الميدانية

(الأسرة)

أن الدليل على الحياة هو القدرة على الفعل (السيكولوجي – البيولوجي – الاجتماعي – الاقتصادي – التربوي .....)،و هو المعيار الذي نقيس من خلاله نشاط و حيوية الخلايا الاجتماعية، و أهم هذه الخلايا الأسرة، لأنها الفضاء أو الحقل الذي يستقبل بذرة الإنسان و يعمل على تنميتها بشكل سليم و عقلاني، و نظرا لعلمنا أن نوعية التراب تتحكم في نمو البذرة، و قد لا تسمح لها بالنمو أو تمنحها نموا معتلا، فكيف تقوم الأسرة القروية، خاصة في الجنوب المغربي أو لنقل في جزء صغير منه، لكن له وزنه الخاص، كيف تؤدي و ظائفها ؟ هل تعرف ما هو مطلوب منها و الكيفية التي يجب أن تؤدي من خلالها أفعالها؟

أن الأسرة نظام اجتماعي انساني، هي الخاصية المميزة للانسان التي تُحدث فرقا بين حالة الطبيعة و حالة الثقافة بالنسبة لهذا الأخير، بواسطتها دخل الإنسان عالم التحضر، لقد كانت الخطوة الأولى للخروج من الكهف الأفلاطوني، كهف الجهل والهمجية، إلى النظام القائم على الفهم العلمي للذات و للعالم .

وظيفة الأسرة هي تهذيب السلوكات الطبيعية في الإنسان والانتقال بهذا الأخير من مستوى كائن إلى مستوى شخص، كما عبر عن ذلك المفكر المغربي الراحل "محمد عزيز الحبابي" في كتابه (من الكائن إلى الشخص).إنه دور تربوي تعليمي و هو وظيفة طبيعية بالنسبة للأسرة و أن لم تقم به أو تؤدي مهامها فهي عاطلة أو غير قادرة على الفعل الذي يعتبر مؤشرا على الحياة. يمكن تحديد بعض المهام المنوطة بالاسرة كما يلي:

-تعليم السلوكات الحسية الحركية، أو تنمية الذكاء الحسي الحركي وتعليم كيفية التصرف بالجسد و كيفية تنمية مهاراته ليؤدي المهام المنوطة به .

-تعليم الكلام، آدابه و كيفية انجاز هذا الفعل بعد امتلاك أدواته بشكل سليم.

- تعليم المسؤولية، مدام الإنسان كائن واع فهذا يعني أنه يفعل ويدرك فعله، و بالتالي فهو مسؤول عن الأفعال التي أنجزها عن وعي. تساعد الأسرة الطفل على التخلص من مركزية الذات و الانخراط في الحياة الاجتماعية، و هذا يفترض اكتسابه لشروط الحياة من الأسرة كخلية البداية .

-التربية الدينية، تربية تقوم على التصديق العقلي، تحارب العنف والتعصب والإرهاب وتحمل القيم الإنسانية كجوهر يحرك كل أفعلها .

- معرفة الانتماء المحلي والوطني والانساني، أي أن الأسرة تعمل على ربط الطفل بثقافته المحلية ثم الوطنية و الإنسانية، ليدرك بعد ذلك أنه إنسان له دين، و ينتمي لوطن يتميز بنعمة التعدد الثقافي المتكامل و المنسجم .

-تعليم القيم، الحب، التسامح، الجراة، الإنفتاح، الحوار. هكذا تمنح الأسرة هوية للطفل و تساعده عل بناء شخصيته مُعترفة في ذلك بحقوق الإنسان. أن الأسرة أساس بناء المجتمع ومن هنا جاء دورها في

مساعدة الأفراد وإعدادهم للحياة الاجتماعيه، و هي بهذا مسؤولة عن نشأة أطفالها نشأة سليمة متسمة بالإتزان، والبعد عن الإنحراف، وعليها واجبات، ملزمة برعايتها.

أن تزويد أفراد الأسرة بالإحساس بالأمن والاستقرار والتوافق النفسي من أهم الوظائف التي تنمي وتعززالثقة بالذات، و ذلك عبرالإعتراف بقيمة الفرد وأهميته في الأسرة، لأن إحساس الأبناء بالحب يحميهم من أي انفعال عاطفي طائش قد يعرضهم للإساءة، كما أن الجو العام الذي يعيش فيه الأبناء من تقبل أو رفض و محبة أو جحود وفتور كل هذا يطبع شخصيتهم.

تقع مسؤولية تربية الأبناء على الوالدين في المرتبة الأولى، والتربية في معناها الشامل لا تعني

توفير الطعام، والشراب، واللباس، والعلاج وغير ذلك من متطلبات الحياة، بل تشمل كذلك ما يُصلح الإنسان ويُسعده، مثل القيم والفضائل الكريمة والآداب والأخلاق والعادات الاجتماعية التي تدعم حياة الفرد وتحثه على أداء دوره الاجتماعي، ومنها ترسيخ حب الوطن والانتماء والتخطيط الجيد لكل أفعالها حتى تتوافق و الرهانات الوطنية الكبرى.
من الضروري كذلك تعليم الأبناء الكيفية السليمة للتفاعل الاجتماعي وتكوين العلاقات الاجتماعية من خلال ما يتعلمه الأبناء في محيط الأسرة من أشكال التفاعل الاجتماعي مع أفراد الأسرة.على الأسرة تكييف هذا التفاعل وضبطه على النحو الذي يتوافق مع قيم المجتمع ومثله ومعاييره، وجعل الأطفال قادرين على التفاعل مع الآخرين، لأن العلاقة بين الفرد والأسرة والمجتمع تقوم على التبادل ولا يمكن لأحدهم أن يستغني عن الآخر، فالأسرة ترعى شؤون الأفراد منذ الصغر والمجتمع يسعى جاهداً لتهيئة كل الفرص التي تمكن هؤلاء الأفراد من أداء أدوارهم الاجتماعية وتنمية قدراتهم بالشكل الذي يتوافق مع

أهداف دولة تقوم على أساس احترام حقوق الإنسان.
أن الأسرة هي المعلم الأول للطفل، يتعلم منها السلوك واللغة والخبرات والمعارف، ويتعلم كيف يكون التعلم وحل المشكلات، من الأسرة يأخذ الطفل تمثله للتعليم، إما أن يصبح محبا للتعلم وتحصيله والإقبال عليه أو يكون غير آبه به .

يمكن أن تكون هذه بعض المهام الأساسية الخاصة بالأسرة و كذلك بمؤسسات أخرى.لكي تقوم الأسر بهذه المهام لابد أن تتوفر على إمكنيات لفعل ذلك، و أهم هذه الإمكانيات : العقل و المال. العقل أولا لأن الجهل أشد مكرا من الفق، لهذا من الضروري أن تكون شروط بناء الأسرة هي القدرة على التفكير و هذا لا يعني معرفة القراءة و الكتابة و الحساب، بل التفكير بما يعنيه من قدرة على حل المشاكل و قدرة على المبادرة انطلاقا من الذات دون حاجة لوصاية أحد.

أن فاقد الشيء لا يعطيه. الأسر غير المتشبعة بالعقل والقيم الإنسانية والحق الإنساني، لا يمكنها بإسم الحق أن تكون أسرة، لأن من حق الطفل في أبوين متعلمين، مفكرين و قادرين على الفعل .لا حياة بدون قدرة شرائية تسمح للإنسان بتحقيق شروط العيش الكريم، لا تغيير بدون مال، لأنه يلعب الدور الأساسي في قدرة الأسرة على أداء المهام المنوطة بها، فالأسرة منزل به غرف و أدوات وحب و تسامح و احترام و أشياء أخرى كثيرة يجب أن ترقى إلى مستوى إنسانية الإنسان.

كان كل هذا منطلقا حاولنا من خلاله أن نتعرف على أسر المراهقين في المنطقة مجال البحث، و أن نتبين، هل لهذه الأسرما يكفي من العقل والمال لتمارس فعلها التربوي بشكل جيد، و قد انطلقنا من الأسر لأنها الفضاء الذي يشرق فيه الطفل والمراهق بشكل أساسي .

ما يهم من الفاعل هو فعله، وفعل الفاعل يقوم على القدرة أولا على التفكير وهذا يحتاج إلى تعليم، فماهو ،إذن، المستوى الدراسي لآباء و أمهات المراهقين و المراهقات و الذين بلغ عددهم (400 أب و 400 أم).

العينة / م/د	الأمهات	الآباء	المجموع	النسب
أمي /ة	291	183	474	%59.25
إبتدائي	93	121	214	%26.75
إعدادي	12	47	59	%7.37
ثانوي	4	35	39	%4.87
جامعي	0	14	14	%1.76
المجموع	400	400	800	%100

72% من مجموع الأمهات أميات، لا يعرفن القراءة و الكتابة رغم أنهن قد يعرفن بعض العمليات الأولية للحساب، 59.25 % من مجوع الآباء و الأمهات أميون، 93.37% من مجمع عينة البحث(800 شخص) لم يتجاوزوا في تعليمهم المستوى الثالث إعدادي.

أمام هذه المعطيات نحس نوعا ما بالرعب والخوف وفي نفس الوقت بالألم لحالة الأسر في منطقة البحث، و من تم حالة الوطن ككل. يحضرني بيتا شعريا لحافظ إبراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

الأسرة هي الفضاء الأساسي لنمو المراهق، و أساس بناء الأسرة هوالعلم والمعرفة.ليست الأسرة امرأة و رجلا وظيفتهما التكاثر الكمي فقط، أن وظيفة الأسرة هي العمل على تأسيس الإنسان، وهذه العملية لا تتحقق إلا بأدوات مضبوطة لا نكتسبها إلا بالعلوم و المعارف، و ما نلاحظه هو أنه ليس هناك إعداد و تأهيل للأسر، على الأقل في منطقة البحث. أمام وضعية كهذه تُطرح الأسئلة الأساسية التالية : من المسؤول عن تجهيل الأسر ؟ من أسس هذا النوع من الأسر ؟ ما الغاية من وراء كون الأسرة على ما هي عليه من جهل و أمية ؟ لمصلحة من هذا الجهل ؟ و أن اعتبرنا كل ذلك خطأ في تسيير و تدبير الرأسمال البشري، فكيف نصلح الأخطاء و نخرج بالأسرمن الأمية إلى العلم ؟ وما هي الأدوات لفعل ذلك ؟ ثم كم نحتاج من الزمن لإنجاز هكذا فعل ؟

كما تكون الأسرة تكون الدولة، لأنها أصغر خلية اجتماعية وهي أساس الدولة الذي يعكس طبيعة النظام و المستوى المعرفي و القدرة على الفعل و تحمل المسؤولية .

الأسرة مؤسسة للتنشئة الاجتماعية، و في الوقت ذاته نتاج لفعل الإنشاء الاجتماعي. إذا كانت الأسرأمية، فقد صُنعت عل هذا النحو، عن وعي أوعن غير وعي، و هي لا تتحمل مسؤولية كونها متخلفة أو جاهلة لأن هذا ما أُريد لها.

كل دولة تصنع نمودجا أو نمطا للشخصية وتعمل عبر مؤسسات كثيرة و مختلفة على جعل مواطنيها وفق النمودج أو النمط المُحدد سلفا، و إذا كان هذا هو الشأن بالنسبة للأفراد، فيجب أن نعلم أن الدولة تضع نمودجا للأسرة و الشارع و المدرسة، هكذا تُصنع الشخصية الذاتية و في نفس الوقت الشخصية الوطنية .

من صنع الأسر على هذا النحو مطالب الآن بإعادة النظر في طرق التنشئة الاجتماعية المعتمدة في منطقة البحث، وعليه أن يُحدد النمط الذي يريد :هل نريد أسرا عارفة و قادرة على الفعل؟ أم نريد أسرا لا تعرف الحياة إلا إذا كانت تحت الوصاية ؟. وطن حداثي و عقلاني يعني أسرة حداثية و عقلانية، فكيف يمكن إصلاح ما تم إفساده إما عمدا أو جهلا ؟

لكي تتمكن الأسرة من القيام بوظيفتها الاجتماعية كما يجب، ولتتوفر على أدوات بناء المواطنين الذين يصنعون الوطن، أن نجحت عملية البناء ، و لتعرف دورها في النسق المؤسساتي العام، تطلب هذا و منذ زمن بعيد إعادة هيكلة الأسرة و الرُقي بها من مستوى قبلي إلى مستوى حضري حداثي، هذا ما أنجز المغرب البعض منه أثناء عملية الانتقال بالعائلة الممتدة إلى العائلة النووية الأكثراستقلالية و عقلانية .

يتميز مجال البحث باستمرارية العائلة الممتدة و بشكل كبير، و نحن نعلم أنها تقوم على مركز غالبا ما يكون الجد أو الأخ الأكبر، بحيث يكون هو المسؤول عن كل الأفعال سواء ثقافية، تربوية، اقتصادية،أخلاقية..الخ، وفي الثقافة الأمازيغية ما يعكس ذلك، لأن حضور (ددا الفهيم)أي الأخ الأكبر الذي يفهم في كل شيء ويسير و يدبر كل العائلة و في مختلف المجالات، إنه الوصي، السيد، المهيمن و البقية الأخرى عبارة عن قاصرين أو عبيد يحتاجون لم يقرر نيابة عنهم .

أن الثنائية السائدة في العائلة الممتدة هي (المركز / الهامش) (السيد / العبد) . تحتاج هذه الأسر إلى عملية تحرير من مركزية الذات، من سيادة غير عقلانية، من فهم خاطئ للذات و العالم و الآخرين .

بذلت الدولة مجهودات جبارة في هذا المجال، لكنها كانت دائما تغير المظهر الخارجي للظاهرة فقط ،تغير العمران الذي لم يعد يقبل استمرارية العائلة الممتدة. تفرض المنازل النووية وجود زوج و زوجة و ربما طفل . أن التحكم في المسافة و تبديل نمط الحياة منحنا مظهرا حداثيا لا الحداثة الفعلية، لأن ما تُظهره المعطيات ألإحصائية خاصة في المنطقة مجال البحث هو أن الأسر مازالت ممتدة، و هذا النوع من الأسر يكون في غالبية الأحيان تابعا ولا يفكر بشكل سليم ظنا من أعضاء الجماعة أن هناك من سيفكر نيابة عنهم . تهيمن التقاليد و العادات، و هذا ليس عيبا و لكن العيب هو أن نتشبث بشيء دون فهم ، فقط نفعل كما كان أجدادنا يفعلون، و كأن الأفعال انتهت بانتهاء الأجداد. أن اتباع التقاليد ، كما قال"

ابن خلدون، لا يعني أن الأموات أحياء، بل أن الأحياء أموات. من العيب، إذن، أن ينتصر التقليد و العادة على العقل، و من العيب أن ينتصر الجهل على العلم .

تحتاج الأسر في مجال البحث للمزيد من التفكيك أو الإنشطار أوالاستقلالية حتى تخرج من إطار الجزيئة و تصبح درة، هكذا يمكن إعادة تنظيمها بشكل أفضل .

من الممكن وضع برنامج محلي لتحديث الأسر في منطقة البحث، و هو برنامج عام يقتضي إعادة هيكلة كل الأفعال الإنسانية خاصة تلك المرتبطة بالتربية، الأخلاق، الاقتصاد، العلاقات الاجتماعية و أخير فعل التفكير، و هو أهم الأفعال الإنسانية .إنه برنامج لمحاربة الجهل وليس الأمية فقط، لأن الهدف من البرنامج ليس تعليم الآباء و الأمهات القراءة و الكتابة و الحساب، بل تعليمهم التفكير، المبادرة، الجرأة، الثقة في الذات، احترام حقوق الإنسان، بترسيخ هذه الافعال نكون قد حاربنا الأمية فعلا .

لابد أن تعرف الأسرة في الوطن ككل و في منطقة البحث، ماذا تعني هذه المؤسسة و ماهي وظائفها و كيف يمكن أن تؤديها ؟ لابد من معرفة بالأطفال و في مختلف مراحل نموهم .

وُجد الإصلاح من أجل تعديل ما لا يمكن التخلص منه، و الأسرة هي الوطن ولا يمكن تجاوزها، و يجب أن نعلم أن إصلاحها ممكن بوجود شروط : تتعدد الثقافات في المغرب، و هذا غنى في حد ذاته، غير أن عملية الإصلاح تفترض أن ننطلق من الظاهرة موضوع الدرس، هي الأساس و القاعدة، لا شيء يُستمد من خارج الظاهرة، سواء فهمها أوأدوات مقاربتها. مجال البحث أما زيغي بكل المقاييس، و لا يمكن لأي فعل أن يتحقق دون هذا الوعي الأولي بالخصوصية الثقافية للمنطقة . نحتاج للتواصل مع الأسر لنعيد إعدادها بشكل سليم إلى لغة أمازيغية و ثقافة أمازيغية.أن اللغة أساس التواصل، و الثقافة تقدم الإنسان القروي و تعرفنا به، أن الأمازيغية هي اللغة التي يحلم الناس بهاهنا، هذا يجعلها الطريق الأساسية لبداية الإصلاح الفعلي . يمكن أن نستخرج أدوات التغيير من الأسر، أن تواصلنا معها بشكل عقلاني و جعلنا من أبحاثنا الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وسائل لمعرفة و فهم الإنسان و العمل على تحريره لا استعباده و إخضاعه لوصاية الغير تحت حجة الجهل الذي لا يعتبر مسؤولا عنه.

لا تمتلك الأسر في منطقة البحث ما يكفي من العقل لتكون قادرة على تدبير جيد للرأسمال البشري و الحجة على ذلك، ارتفاع نسبة الأمية بين الآباء و الأمهات و هذا سيؤثر على طبيعة الوظائف التي تزاولها الأسر. فما هي الوظائف الاجتماعية لفئة من الناس لم تستطع 93,37% منهم بلوغ السنة الثالثة من التعليم الثانوي الاعدادي ؟ لنحاول أن نتبين الاجابة من خلال الجدول التالي :

العينة / الوظيفة	الأمهات	الآباء	المجموع	النسب%
موظف / ة	2	51	53	%6.62

فلاح / ة	140	135	275	%34.37
تاجر / ة	00	25	25	%3.14
حرفي /ة	258	189	447	%55.87
المجموع	400	400	800	%100

سبق أن أشرنا إلى أن منطقة البحث تصنف ضمن المناطق الفقيرة، و قد نالت حظها من خلال البرنامج الوطني لمحاربة الفقر، و مازالت تتلقى بعض المساعدات إما مادية أو تقنية، و كمثال على ذلك برنامج تيسير للتحويلات المالية المشروطة رغم أنه لم يصل إلى كل الجماعات القروية الأخرى و رغم أن المبالغ الهزيلة التي تقدم للآباء مقابلة استمرار أبنائهم في التمدرس . الفقر و هشاشة الموارد البشرية و الجهل، عوامل عندما تلتقي تنتج التخلف، إنها العناصر الضرورية لصناعة أزمة عامة، مشاكل تبدو حلولها غير ممكنة لأنها تصيبنا بالرعب و لا تسمح لنا بالتفكير، لا نعرف نقطة الارتكاز و لا نستطيع تدبير الأزمة حتى الخروج منها، و كأننا نحارب و نحن لسنا واعون لكننا لا ندرك ذلك .

هناك علاقة كبيرة بين المستوى التعليمي والوظيفة والدخل، فكلما ارتفع المستوى الدراسي استطاعت الوظيفة أن تُحقق دخلا مقبولا يسمح لها بالعيش الكريم نسبيا. الحقيقة أن الفقر هو أخطر القضايا وأكثرها تعقيدا وقياسا، فهو ينطق من مفارقة واقعية تجمع مابين السبب والنتيجة، فالعديد من الثورات الاجتماعية والسياسية الكبرى في التاريخ الإنساني كان الفقر أحد أسبابها الرئيسية، وتحضرنا هنا مقولة أرسطو " الفقر هو مولد الثورات والجريمة "، و قد عرفه البنك الدولي :"الفقر هو عدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة " .

بيّن أنه لاجدال في الحديث عن طبيعة العلاقة بين الأمية والفقر، حيث لا تختلف المجتمعات كثيرا في هذا الاعتبار. نلاحظ أن ظاهرة "الفقر المزمن " بين العديد من العائلات ترجع بشكل أساسي إلى الأمية، ونظرا لضعف تعليم الوالدين وقلة إدراكهم لأهمية التعليم، أو عدم امتلاكهم الموارد التي تسمح بتوفيره لأبنائهم، أوعدم قدرتهم على التضحية بالحاضر-العمل المنزلي أو في المزرعة - من أجل مستقبل أفضل ، فإن الأولاد يكونون أيضا غير متعلمين، ما يكرس استمرار ظاهرة الفقر من جيل لآخر ضمن العائلة الواحدة. أن الفقر، إذن، ابن شرعي للأمية.

ترتفع نسبة الفقر بين العائلات الممتدة أكثر من العائلات النووية، لندرك أن الدخل يُحدد نمط عيش الأسرة و يرسم خريطة أفعالها. لا يخرج من صلب الفقر غير الفقر و ربما حان الوقت لنضيف برامج

جديدة تستهدف محاربة الأمية، لأن هذا هو مسار محاربة الفقر. بالعلم يُنظم الإنسان ذاته و العالم و يوفر زمنا للتفكير و التأمل، هكذا نتعلم، غير أن حاجيات العيش تستنزف كل الوقت. لنحاول أن نتعرف على الأنشطة العادية لأم قروية : تستيقظ قبل الجميع حتى لا يسبقها أحد للهم المعاناة، الماء من هناك و الحطب خشن يدمي اليدين والدخان حارق في العينين والنار تشتعل على مهل، عجين و خبز و القليل من

الحروق المعتادة، ثم الحلب و اطعام الحيوانات المقيمة في المنزل، تزويد الراعي بعدته لمرافقة الماشية إلى المراعي،أن وُجدت، بعدها تأتي وجبة الإفطار لتنتقل بعدها الأعمال خارج المنزل، إلى الحقول حيث نعود بالحطب و بعض الخضروات و الكثير من التعب. يبدأ عمل جديد وهو النسيج، جلوس و تركيز لساعات طوال وأيام أطول، وعندما تتحرك من مكانها فغالبا ما يكون ذلك من أجل انجاز أعمال أخرى، في المساء تأتي أعمال الاستعداد لاستقبال يوم جديد هم جديد، هكذا هي أفعال المراة القروية في مجال البحث دون الحديث عن الأطفال. لا زمن للراحة الا زمن المرض أو الولادة .

أن نمط عيش الأم القروية، لا يمنحها مهلة للتفكير أوعلى الأقل تعلم التفكيرأو الحوار مع الأطفال حول مشاكلهم، أفراحهم، أحزانهم، أن الكلمات الرائجة في الخطاب هنا هي كالتالي و سأكتبها بالأمازيغية (تشام – تسوام – تفكم ايغيول اما تموكيت – تكم اكران – يشكد امكس –ممنك كن ولي –الا اصميد – ترغا لوقت - الخ....)، هذا بعض من الجهاز المفاهيمي المستعمل في الأسرة القروية (هل أكلتم ؟ هل شربتم ؟ أذهبتم لتفقد الحقول ؟ هل أطعمتم الحمار و البقرة ؟أين الراعي ؟ كيف هي الغنم ؟ .

تعكس لغتنا اهتماماتنا، و في اللغة اليومية للناس هنا يندر حضور العقل أو التفكير، حتى أن من يأتي مثل هكذا فعل قد يتعرض للتهكم من طرف الآخرين، و كأننا نحارب العلم بكل ما أُتينا من قوة . أن الفقر ظاهرة معقدة و لمكافحته يجب أن نأخذ في الاعتبار جوانبه المتعددة، عبر معرفة البعد الاقتصادي (انخفاض الدخل و نقص في الاحتياجات الأساسية)، و البعد الاجتماعي (التهميش و التمزق الاجتماعي ...)، و البعد السياسي (المرتبط بغياب المشاركة في اتخاذ القرارات)، و البعد الأخلاقي (عدم الإعتراف بحقوق الإنسان و العنف ...). و بعبارة أخرى، يتعين علينا أن نميز بين الفقر في الوصول السهل إلى السلع و الخدمات و المعلومات و المشاركة في اتخاذ القرارات، و الفقر الناتج عن العجز المتراكم في مجالات الصحة أو التعليم أو المواد الأساسية أوالعلاقات الاجتماعية، و لتجاوز هذه الوضعية تقوم المبادرة الوطنية للتنمية البشري، التي بدأت في عام 2005 بدعم من البنك الدولي، من الناحية النظرية على مقاربة تشاركية و تتضمن محور مكافحة الفقر في الوسط القروي و محور مكافحة الاقصاء الاجتماعي في الوسط الحضري ومحاربة الهشاشة.

يوجد أساس الفقر في الجهل و دواء الجهل العلم، فكيف سيكون فهم الأسر موضوع البحث للمراهقة ؟ و هل تملك من الفهم ما يسمح لها بإدراك وظيفتها تجاه الابناء، خاصة المراهقين موضوع دراستنا . لنحاول، إذن، أن نتعرف أو نتقاسم مع الأهالي معرفتهم لأبنائهم و طرق التربية التي يعتمدونها و من أين يستمدونها ؟ سألنا الأسر عن معرفتهم للمراهقة فكانت أجوبتهم كالتالي :

العينة / معرفة المراهقة	الآباء و الأمهات	النسب المؤوية
نعم	310	%77.5
لا	90	%22.5
المجموع	400	%100

بلغت نسبة الآباء و الأمهات الذين لم يتجاوزوا الثالثة إعدادي 93.37 % و رغم ذلك نلاحظ أن نسبة 77.5 % يصرحون بمعرفتهم للمراهقة، فعن أي معرفة نتحدث ؟

إنها معرفة تقليدية تقوم على المماثلة، أي كما كنا في المراهقة هم كذلك أبناءنا الآن و نتعامل معهم كما تعامل معنا آباءنا و أمهاتنا و أجدادنا، يُبين هذا طبيعة المجتمع المحافظة التي تخاف التغيير، أو ربما لا تمتلك أدواته، غير أن الخطير في الأمر هو عندما لا نعرف و نعتقد عكس ذلك و هذه هي علامات (الدوكسا) كما عبر عنها "باشلار" أو كما يمكن أن نسميها، بادئ الرأي أو الرأي الشائع أو العامي، إنه لا يخطئ في التفكير بل هو لا يفكر بالمرة ولكنه، للأسف، لا يدرك ذلك.هذه النتائج سببها الأمية و الفقر. قد يصعب تصور إمكانية إعادة بالغ إلى المعرفة العلمية و إقناعه بأنه لا يفكر و لا يعرف كيفية الفعل، الأمر صعب و ليس مستحيلا. بإمكاننا أن نفعل ذلك إذا انطلقنا من ثقافة الأسر و شاركناها في تمثلاتها لذاتها والعالم، ثم نعمل على تغييرها من الداخل عبر مساعدتها على تعديل تمثلاتها دون أن تُحس بمرارة الجهل و بدونية من لا يعرف، يتطلب الأمر الاحترام و هو إعتراف أولي بحقهم في التمثل حتى و أن كان خاطئا، ثم إدراك أن من مهامهم تقويم اعوجاج هذه التمثلات السلبية حول التعليم، الفتاة، التفكير، القيم، بأنفسهم . معرفة الناس و الأسر قاعدة أساسية لإحداث التغيرات الاجتماعية المستهدفة .

تظهرهذه المعرفة الوهمية أو شبه المعرفة من خلال الجداول التالية التي حاولنا من خلالها محاصرة المبحوثين لنتبين معرفتهم الفعلية بالمراهقة و المراهقين.

العينة / مراهقة الإناث	الآباء و الأمهات	النسب%
نعم	360	%90
لا	40	%10
المجموع	400	%100

صرحت نسبة 90 % من العينة المبحوثة أنها تعرف أن مراهقة الإناث قد تبدأ في سن 12 سنة تقريبا.

معرفة لا تدفع للاطمئنان و لكنها على العكس تخيف و قد ترعب أن كنا نحب وطننا بالفعل، و سوف نرى كيف ستتحطم هذه المعرفة الأولية عندما نعرف تمثل الأسر للمراهقة، لنتأمل الجدول التالي:

العينة / تمثل المراهقة	الأسر	النسب%
مرحلة خطيرة	273	%68.25
مرحلة عادية	96	%24
مرحلة ضرورية	31	%7.75
المجموع	400	%100

أعلنت 68.25 % من مجموع الأسر أن المراهقة مرحلة خطيرة. أين تكمن خطورة المراهقة ؟ وهي خطيرة على من ؟ .يخاف البالغ من المراهقة لأنه يدرك وعن غير وعي، أنها مرحلة تمرد و عصيان و إعلان للذات، قد يأخذ المراهق مسارا غير مقبول أخلاقيا، أي أنه قد يقوم بأفعال لا تستمد شرعيتها لا من الدين ولا من الثقافة و لامن العقل، كالإرهاب والانحراف نحو الدعارة أو المخدرات أو السرقة، و لأنه إبننا أو بنتنا فإننا نتأثر بأفعاله و تؤثر على رأسمالنا الرمزي، لهذا نعتبر المراهقة مرحلة خطيرة لأنها قد تُظهر مدى فشل عملنا التربوي كآباء و أمهات. تكمن خطورة المراهقة في عدم قدرة الآباء و الأمهات على مسايرة أبنائهم في التفكير و التجديد و الابتكار و يتحول هذا النقص إلى إحساس بالعجز، أحيانا، عن معرفة كيفية التصرف مع المراهق، فقط لأن البعض الكثير من الأسر لا يعرف المراهقة معرفة علمية، و دورنا هو أن نُعرفه بها، وواجب على من يملك أدوات نقل المعلومة أن يساعدنا حتى

نصل إلى هذه الأسر و نتزود و إياها بالفهم السليم و العلمي و ليس الفهم التقليدي القائم على قياس الحاضرعلى الغائب .

لنحاول أن نعمق فهمنا لتمثل الأسر موضوع البحث للمراهقة، و ذلك بمساءلتهم عن اختلاف المراهقة بين الذكور و الاناث . كان السؤال :أيهما أصعب مراهقة الذكور أم الإناث ؟

العينة / المراهقة الصعبة	الآباء و الأمهات	النسب %
الذكور	107	%26.75
الاناث	293	%73.25
المجموع	400	%100

مراهقة الاناث أصعب و ذلك بنسبة 73.25%، أمر طبيعي داخل المجتمعات الأبوية التي يهيمن فيها الذكور على حساب الاناث . ما زالت البنت رمزا للعرض و الكرامة وكل سلوك غير مقبول أخلاقيا قد يحطم الأسرة بأكملها عكس أخطاء الذكور. أخطاء الاناث قاتلة في المجتمعات الذكورية، هذا ما يتأسس عليه هذا التمثل الخاطئ للمراهقة عند الاناث، و قد يكون سببا في الاساءات العديدة التي تتعرض لها الفتاة القروية من حرمان من التمدرس والزج بها أعمال النسيج و الفلاحة قبل أن تكتسب الامكانيات الجسدية و العقلية لفعل ذلك أو تزويجها و التخلص من عبئها الثقافي . الفتاة إنسان و عملنا يقتضي أن نُعلم الأسر كيفية تعديل تمثلهم السلبي للفتاة و المستمد من أصول ثقافية تقوم على التمييز بين الذكر و الأنثى من غير وجه حق . يمكن أن نحمي حقوق الأطفال عندما يُدرك الآباء و الأمهات قيمة الإنسان و يتعاملون وفق احترام حقوق الإنسان بشكل عام، لهذا فالأسر في أمس الحاجة إلى التربية على هذه الحقوق حتى يتحول الفضاء الأسري إلى مجال خصب مُشبع بالديمقراطية والحوار، و مؤهل لممارسة دوره التربوي بشكل مثمر و سليم .

إذا كانت المراهقة مرحلة خطيرة و كانت مراهقة الإناث أصعب من مراهقة الذكور، كيف يتعامل الآباء و الأمهات مع أبنائهم المراهقين ؟. نسبة أمية كبيرة و دخل أسري محدود و تمثل غير سوية للذات و العالم و الآخرين، ماذا يمكن أن تُثمر مثل هذه الوضعية؟ لنتبين ذلك من خلال الجدول التالي الذي يقف على طبيعة تعامل الآباء و الأمهات مع المراهقين و المراهقات .

العينة / التعامل	أجوبة الآباء و الأمهات	النسب%
الصراخ	338	%39.76
الحوار	181	%21.29
الضرب	36	%4.25
السب و الشتم	295	%34.70
المجموع	850	%100

الحوار هو الأداة الشرعية لمحاربة العنف، لكن الحور يحتاج إلى مهارات مثل السمع و التحليل و عقد المقارنات واعتماد مختلف المقاربات من أجل الفهم الجيد للظاهرة، غير أن هذه المهارات مرتبطة بالتعليم، و هذا الأخير يفترض نمط عيش كريم نُوفر من خلاله زمنا للتفكير و التأمل و الإبداع . العنف حل من لا حل له، أو لنقل أنه حل شخص استنفد كل وسائل الحوار فأحس بالعج، فانتقل من قوة الحق إلى حق القوة ليفعل ما يريد و يربي بالطريقة الأصعب و هي الحل الأنسب لمن يعجزون عن التفكير.

أبناءنا ليسواملكا لنا ولا يخضعون لمنطق الحيازة، إنهم أحرار و مستقلين بحكم طبيعتهم و مفكرين و معبرين بحكم إنسانيتهم، يفهمون عندما يجدون من يشرح ، و نريد أن نشير هنا إلى أنه لا وجود لإنسان لا يفهم بل هناك إنسان لا يشرح : أن لم يفهم الدرس فالغباء ليس طبيعة في المتعلم ولكن هناك خلل في شرح المدرس، أن لم يستوعب الطفل ما نريد منه فإنه فقط لا يعرف ما نريد أو لأن ما نريده مختلف عما يريده هو .

نسبة كبيرة من الآباء والأمهات بلغت 74.46% ، يعتمدون في تعاملهم مع أبنائهم المراهقين و المراهقات على الصراخ، بالإضافة إلى السب والشتم، الغريب في هذا المعطى الإحصائي هو أن الأسرة أصبحت تمارس عكس وظيفتها، فهي مؤسسة للتنشئة الاجتماعية أي بناء شخصية الطفل و المراهق،و هي هنا تقوم بضد ما وُجدت من أجله، تُحطم وتحتقر وتشييء الإنسان :الطفل ملك أبيه يفعل به ما يشاء، و هذه أكبر إساءة للطفل و للإنسان. تظهر هنا تلك المعرفة الوهمية التي صرح بها الآباء و الأمهات في السابق، و كيف أن واقع الممارسة يظهر مدى عجز الأسر عن إتيان الفعل التربوي السليم .

وُجود عنف بين الآباء والمراهقين راجع لغياب الحوار، والحوار يفترض الإستماع، فهل نمتلك القدرة و الامكانيات لفعل ذلك، هل نستمع فعلا كبالغين حتى يستمع المراهقين؟هل الإستماع سلوك مألوف داخل

الأسر؟. نكتب كرجال تعليم عددا هائلا من التقارير حول وضعية المؤسسة و وظيفتها التربوية و امكانيات تجويد الفعل التروي، لكن لا أحد يستمع، حتى أنك قد تظن أن لا أحد في الضفة الأخرى، عدم الإستماع للغير جزء من عاداتنا السيئة، و الحل هو معرفة كيفية تجاوز مركزية الذات التي تجعلنا متعصبين لآرائنا، و ملحين في أن دور الغير هوالتصرف كما أُمر دون تفكير. هذا استعباد و ليس من حقنا سواء كنا آباء أو مدرسين. ربما علينا إدراك أن لا حل إلا عبر الإستماع للغير و ليس فقط للذات، و هذا يجب أن ينطلق من أعلى إلى أسفل الهرم الاجتماعي، ليجدد الناس ثقتهم في الإستماع كفعل و في من يستمع كمسؤول .

كانت أجوبة الآباء و الأمهات صريحة بحيث لم يتمكنوا من الكذب لأن ابناءهم المراهقين هم من سلمهم الاستمارة، و الكثير من الأسر كان المراهق هو الذي يساعد على الفهم و الترجمة، لأن الأمية مرتفعة و بنسب خطيرة، و هذا ما ترجمته أجوبتهم حول استماعهم لأبنائهم المراهقين و المراهقات ،لننظر الجدول إلى التالي :

العينة / الإستماع	الأسر	النسب%
نعم	104	%26
لا	296	%74
المجموع	400	%100

يغيب الإستماع للمراهق بنسبة 74 % من مجموع الأسر، و هذا يعني ضرورة العمل على ترسيخ ثقافة حقوق الإنسان في القرى والمداشر والجبال، والتي يكون أساسها الإستماع و هو في حد ذاته شكل من اشكال الانصاف لأنه إعتراف وهذا العنصر الأخير هو ما يحتاج إليه الطفل و المرأة و الرجل و الإنسان بشكل عام .

أن تربية الأطفال مهمة صعبة و تحتاج للكثير من التفكير و التدبير لأن أي خطئ هو خطئ في الإنسان ، أن أخطئنا في صناعة حذاء أو سيارة أو حاسوب يمكننا أن نصلح الأمر، لكن عندما يرتبط الخطأ بالإنسان، قد يتحول الأمر إلى جريمة، لأن الإنسان ليس شيئا أو أداة إنه غاية في ذاته .

يجب أن نقلل من هامش أخطائنا تجاه الأطفال والمراهقين، ولكي نفعل ذلك يجب أن تكون كل أفعالنا التربوية مسبوقة بتفكير: نفكر أولا ثم نفعل، هكذا في كل مجالات الفعل. سألنا الأسر أن كانوا يُعدون خططا لحل مشاكل أبنائهم المراهقين. أن جوابهم، بشكل غير مباشر، مؤشرعن وجود الحوار أو عدمه

بين الأب والأم، لنقرأ الجدول التالي ليقدم لنا كيف هوالنسيج الأسري القروي أوعلىالأقل البعض منه :

العينة / الخطة لحل مشاكل المراهقين/ات	الأسر	النسب%
نعم	58	%14.5
لا	295	%73.75
أحيانا	47	%11.75
المجموع	400	%100

إذا غاب الحوار بين الآباء و الأبناء فذلك نتيجة لغيابه بين الأم و الأب، 73.75 من العينة صرحت أنها لا ترسم خطة و هذا يعني أنها لا تفكر في مشاكل المراهقين، أولنقل لا تعرف كيف تمارس هذا الفعل، كما تُقدم لنا نمودج الحوار الاسري الذي لا يتجاوز مشاكل الحياة اليومية. نعود دائما إلى الأسباب الرئيسية و التي يمكن أن نحصرها في عنصرين : الجهل و الفقر و هي التي يجب أن نحاربها جميعا و لكن بصدق، لأن الإرادة الحرة هي قاعدة الفعل الجيد.

لا يسمح هذا الوضع الأسري بتوفير الشروط الضرورية لتربية و تنمية الإنسان، مما يجعل المرجعية التي نستمد منها قواعد الفعل ضيقة و محدودة و فقيرة، فعندما لا نجد حلا لمشكل ما تقول الضرورة العلمية باستشارة متخصصين، إما محاورتهم مباشرة أو البحث عما نريد عبر العودة لكل ما كتب، غير أن هذه الضرورة العلمية تجد نفسها غير قابلة للتحقق، لأن استشارة المتخصصين حل يمليه العقل أولا و هذا ما نسميه بالمقاربة العلمية للقضايا، غير أن طبيعة التفكير الأسري في منطقة البحث لا يسعفها العقل للتفكير على هذا النحو و حتى أن فكرت في ذلك، قد تبعد تلك الامكانية العلاجية لارتفاع تكلفتها . كل مرة يطل علينا الجهل و الفقر و يعلنان أنهما المسؤولان عن هكذا وضع .

يُوَلد الجهل و الفقر الإنغلاق على الذات و هو رفض للانفتاح لأنه يفضحنا . عُرينا يُظهر جهلنا و تخلفنا و أفضل وسيلة للمحافظة على ما تبقى من كبرياء هي صيانة و ستر الجهل حتى لا يراه أحد، بل أحيانا لا نراه حتى نحن في أنفسنا، لأن أساس الجهل هو اعتقاد في امتلاك المعرفة و اعتبار ما نعرف معتقد لا

يمكن التشكيك فيه. نخفي جهلنا و فقرنا كما نخفي أوساخنا، لابد من التشجيع على الإظهار لأن عار الجهل و الفقر لا يسمح لأحد أن يعترف بوجودهما فيه، خاصة الجاهل.

يحتاج الوطن، أو ربما البعض منه فقط، إلى أخصائيين نفسيين يظهرون لنا مدى الضرر الذي ألحقناه بأنفسنا كأفراد أوكمؤسسات، و نظن أن العلاج قد يستدعي جلسات كثيرة و لكن سنشفى أن آمنا بأننا مرضى.

لا يكون الإنسان إنسانا إلا بالانفتاح على العالم و الآخرين، و لكن ما معنى الانفتاح ؟ و كيف يمكن أن ننفتح، أو نمارس فعل الانفتاح ؟

الانفتاح مصدر الفعل الخماسي المزيد انفتح ويعني في اللغة الانكشاف و قد عرف ابن منظور فقال : كل ما انكشف عن شيء فقد انفتح. وضده الإنغلاق وزيادة الهمزة والنون في أوله تفيد ألمطاوعة يقال كسرته فأنكسر وفتحته فانفتح.

ودلالة مصطلح الانفتاح توحي بضده وهو الإنغلاق، وكأن المراد من الانفتاح إزالة الإنغلاق وهذا فيه إشارة إلى نشأة هذا ألمصطلح حين كان الصدام قائما بين الكنيسة الداعية إلى رفض كل الأفكار العلمية الجديدة والفكر العلمي المنفتح على كل جديد، والرافض لكل ما لا يقع تحت سيطرة العقل وسلطانة، وبسبب طبيعة الموقفين اعتبر الفكر الكنسي منغلقاً، والفكر العلمي منفتحاً. الانفتاح، اذن، تجاوز لوضعيات و انتقال من حال إلى حال، من التعصب إلى التسامح، من الوحدة إلى التعدد، من المطلق إلى النسبي.أن الانفتاح هو عدم رفض كل ما هو أجنبي فقط لأنه أجنبي، حارب الفقهاء قديما الفلسفة لأنها من اليونان و منذ ذلك الزمن و نحن نحارب كل ما هو خارجي عنا لأننا ناره غريبا و خطيرا و قد يدمر ثقافتنا و يفسد أخلاق أبنائنا ، فاعتمدنا قاعدة مفادها ، أنه من الأفضل لنا أن نتشبث بما نعرف عوض ما لا نعرف، فأصبحنا محافظين بسبب خوفنا من انفتاحنا . ربما نخاف من الانفتاح لأننا نعلم أننا سننكسر بسرعة و قد نتخلى عن عاداتنا و تقاليدنا و هويتنا، لأن الآخر قد يسحرنا و يُغيرنا ليس وفق إرادتنا و لا ثقافتنا، لهذا نقول أن أساس الانفتاح هو نمو الحس النقدي عند المواطنين و هو غير حاصل إلا بالعلم و التربية . أن الانفتاح لا يمكن أن يكون جزيئيا سننفتح على أشياء و ننغلق بالنسبة لأخرى، إنه تلاقح حضاري و ثقافي و فكري يفترض أن نكون مؤسسين و متشبعين بهويتنا و نعرف ما نريد، و ندرك أننا جزء من العالم نؤثر فيه و يؤثر فينا و هذا هو التفاعل.

ما لاحظنها في منطقة البحث و بعض المجالات القروية التي تعرفنا عليها، هو أننا غير منفتحين حتى على بعضنا البعض، غالبا ما نجد المدارس في الدواوير إما قرب النهر أو المقبرة، المهم أنها دائما في الهامش و بالضبط في مكان يمكن مراقبته، و هذا الاقصاء من المركز هو كون المؤسسة التعليمية بشكلها العصري ،نسبيا ، دخيلة على ثقافة الدوار و القبيلة، والعاملين بها أجانب لهم لغة مختلفة و لباس

مختلف وعادات و تقاليد، و قد يفسدون أخلاق الشباب في الدوار أو القبيلة . يصعب الإنفتاح على الضعيف حتى يتقوى، و كل انفتاح بدون معرفة وحس نقدي ضياع .

لا أحد مُحب للجهل بطبعه، رغم أننا قد نخفي جهلنا تفاديا لإحراجنا، لكننا دائما نحمل الرغبة في التعلم و كأن قدر أن الإنسان أن يعرف، لأنه يدرك أن لا حل للرقي إلا بالعلم و المعرفة، و أنه ليست هناك عصى سحرية لمحاربة الجهل. بالإرادة نحيا و نتعلم و نتطور. رغم كون الأسر قروية و تبدو و كأنها

غير مهتمة بالمعرفة، إلا أن العكس هو الصحيح، فعندما سألناهم عن حاجتهم لمعرفة تُيسر تعاملهم مع ابنائهم خاصة المراهقين، لاحظنا أن نسبة مهمة من الآباء و الأمهات يريدون بلوغ معرفة علمية لأبنائهم ، و الجدول التالي يوح ذلك :

العينة / المطلوب معرفته	أجوبة الأسر	النسب%
من (0 إلى 2) سنوات	85	%9.92
من (3 إلى 7) سنوات	47	%5.48
من (8 إلى 12) سنوات	216	%25.20
من (13 إلى 19) سنوات	394	%45.98
مرحلة الشباب	115	%13.42
المجموع	857	%100

ليس هناك ميل طبيعي للجهل، ولكن هناك عجز وصعوبة في بلوغ المعرفة، تدرك الأسر أنها في حاجة إلى معرفة علمية بأبنائها خاصة مرحلة المراهقة ومرحلة الطفولة الثالثة ثم مرحلة الشباب .

تعتبر نتائج هذا الجدول مؤشرا على أن مشاكل التربية تبدأ من الطفولة الثالثة، أي المرحلة الممتدة نسبيا بين سن 8 و 12 سنة، فقد صرحت نسبة 25.20% أنها تحتاج لمعرفة هذه المرحلة التي تُعلن قدوم المراهقة بكل ما تعنيه من تمرد و ثورة و رغبة في التجديد و الإبداع و الخلق، و كأن الآباء و الأمهات يتساءلون عن كيفية مواجهة أو تدبير كل هذه الطاقة دون التسبب في خلق اضطراب في النمو النفسي و البدني و العقلي للطفل، و بما أن نسبة كبيرة صرحت أن المراهقة مرحلة خطيرة، من الطبيعي أن ترتفع

نسبة الراغبين في التعرف على هذه المرحلة العمرية، فقد صرحت نسبة 45.98 % عن رغبتها في فهم المراهقة من أجل عدم العبث بالرأسمال البشري من خلال التعامل معه بشكل عشوائي، تلقائي أو تقليديي. و لكي نحافظ على المنهج القائل بضرورة التتلمذ على يد الظاهرة، أي أن تمدنا بطرق إصلاحها ، سألنا الآباء و الأمهات عن الكيفية التي يفضلونها من أجل بلوغ هذه المعارف فكانت أجوبتهم كالتالي ، لننظر الجدول أسفله :

العينة / كيفية تبليغ المعلومة	أجوبة الأسر	النسب%
كتيبات / ملصقات	96	%9.32
تسجيلات مسموعة	264	%25.64
إلكترونيا	14	%1.36
برامج إذاعية	273	%26.50
برامج تلفزية	383	%37.18
مجموع الإجابات	1030	%100

يريد منا الآباء و الأمهات أن نحاصرهم من كل جانب حتى يتعرفوا على أبنائهم، يظهر هذا من خلال تعدد و تنوع أجوبتهم، و نظرا لارتفاع نسبة الأمية فإن نسبة 89.32 % ركزت على وسائل التبليغ السمعية البصرية و هذا يُظهر مدى عدم قدرة الأسر في مجال البحث على بلوغ المعلومة الإلكترونية أو حتى المعلومة الورقية لعدم قدرة عدد كبير من الأسر على القراءة .

وظيفة وسائل الإعلام هي تربية الناس و تهذيب سلوكا تهم لتتوافق و الفعل الحداثة العقلاني الذي نريده.

إنها تمارس دورا تربويا تعليميا وعليها أن تُخضع فعلها هذا للمزيد من الدراسة و الفحص، لأن وسائل الإعلام ليست موجودة، فقط ، من أجل الترفيه و إضاعة الوقت و التلاعب الديماغوجي بالناس، بل وظيفتها أولا، هي معرفة التعدد الثقافي في المغرب، ثم معرفة مكامن المرض في المؤسسات الأسرية و بعد ذلك العمل على إبداع الطرق التي تسمح بتربية و تعليم الأسرة انطلاقا من اللغة و الثقافة المحليتين. نُعلم الأمازيغ بالأمازيغية، و انطلاقا من تمثلاتهم و كذلك الشأن بالنسبة لباقي الثقافات الأخرى المكونة للثقافة الوطنية بشكل عام. المطلوب هو محاصرة الأسرة من كل الجهات في المنزل و المسجد و الشارع

و مجال الشغل، هكذا يمكن أن نحدث التغيير الذي نراهن عليه، و من دون هذا ستستمر الأسر في إنتاج المزيد من الجهل و التخلف و الهمجية. يمكن أن نُحدث تصالحا بين الأسرة و المراهق حتى تنتقل العلاقة من هيمنة و تسلُط البالغين إلى الحوار والتواصل عوض العنف .

كل فعل قائم على الأمر دون شرح أسباب الفعل أو عدم القيام به، يعتبر إساءة للمراهق و للطفولة بشكل عام . يحتاج أبناءنا إلى حرية مضبوطة بالعقل، و يعني هذا أن الأبناء ليسوا ملكا لآبائهم، بل هم أحرار و هذا يفترض أن تكون كل التوجيهات الأسرية قائمة على الإقناع بالحجة لا بالقوة و التخويف.

لنحاول أن نتبين الآن طبيعة العلاقة بين الآباء و المراهقين و كيف تتم مراقبة المراهق عوض مصاحبته و الإستماع إليه، من أجل هذا الغرض سألنا الأسر مجموعة من الأسئلة تقف على طبيعة سلطة الأسرة التي تأمر و لا تبرر و لا تريد أن تستمع، و الجداول التالية ستعمل على توضيح ذلك:

العينة / مراقبة اللباس	الأسر	النسب%
تعم	400	%100
لا	00	%00
المجموع	400	%100

تراقب الأُسر لباس أبنائها، خاصة المراهقين و بشكل أخص المراهقات و ذلك بنسبة بلغت 100% . أن وظيفة اللباس، كما ذهب إلى ذلك الفيلسوف "هيغل"، هي إعطاء دلالة للجسد : نقدم أنفسنا بلابسنا و نقول من خلاله إما أننا عصريون أو تقليديون، نساء أو رجال، و بالتالي يمكن أن نعتبر أن اللباس وسيلة تعبير عن الذات نصرح من خلاله بما نحن إياه أو على الأقل ما نريد أن نكون.

أن تشديد المراقبة على اللباس هو علامة على أن البالغين هم الذين يحددون الدلالات التي يجب أن يحملها المراهق أراد ذلك ام لم يُرد، البالغون هم من يصنع المعاني، القوالب الجاهزة و النمطية و على المراهق اللانصياع و الخضوع و الامتثال، و المخيف و المحزن في الأمر، هو أن العملية تقوم على الاكراه : نلبس كما وجدنا آباءنا يلبسون و نأكل كما كانوا يأكلون و نحيا كما خططوا و رسموا، أين دور المراهق في الاختيار و القدرة على التعبير عن الذات ؟. لا ندعو هنا إلى حرية مطلقة تبيح اللباس الذي قد نعتبره ماسخا، و لكن يجب أن ننتبه إلى بنائنا العقلي و الوجداني المختل الذي لا يُمكّننا من جودة و عقلانية اختياراتنا، لأن الفعل أو السلوك الأخلاقي غير ممكن عبر اللباس أن لم يكن مُؤسسا داخليا . نعم

لرفض هذا اللباس و قبول ذاك، لكن كل فعل يجب أن يقوم على الإقناع حتى لا يتحول إلى إرادة مكبوتة تظهر مع أول فرصة تغيب فيها المراقبة.

تزداد مراقبة اللباس عند الإناث بشكل كبير. الفتاة عرض أبيها لهذا يعمل الأب على إخفاء عرضه حتى لا يمس. عوض التربية السليمة التي تمنح المراهقة المناعة ضد كل اللأفعال غير المرغوب فيها، نعتمد العنف بكل أشكاله لترسيخ الأفعال التي يريدها البالغون. بعد أن عرفنا طبيعة المراقبة التي تفرضها الأسرة على المراهقين أردنا أن نعرف، هل المراقبة نفسها بالنسبة للذكور كما للإناث، وقد كانت النتائج تعكس و بدون جدل طبيعة المجتمع الذكوري القائم على الهيمنة و التسلط .

العينة / المراقبة المشددة	الأسر	النسب%
الذكور	113	%28.75
الإناث	287	%71.75
المجموع	400	%100

يشكل النظام الأبوي البطريركي بنية اجتماعية وسيكولوجية متميزة تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع في الوسط القروي، وتكون علاقة هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع اللاعقلاني الذي يتعارض مع قيم المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان . تقوم المجتمعات الأبوية التقليدية على أساس انعدام المساواة بين الرجال والنساء، وعلى الصعيد الاجتماعي يهيمن النظام الأبوي على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تغلب عليها الانتماءات القبلية، لأن المجتمع الأبوي هو نوع من المجتمعات التقليدية التي تسودها أنماط معينة من القيم والسلوك، وأشكال متميزة من التنظيم غالبا ما تقوم على الهيمنة و التسلط الذكوري. ويُعرف بمحاصرته لشخصية الفرد وثقافته وذلك من أجل ترسيخ قيم وأعراف اجتماعية تقليدية أساسها قيم العصبيات القبلية. أن النظام الأبوي خاصة التقليدي منه يُؤثر بشكل سلبي على العائلة والمجتمع والسلطة. ومن المعروف أن هذا الوسط هو أعظم موطن للبداوة مثلما هي أكثر المناطق التي تتأثر وتعاني من الصراع بين قيم البداوة وقيم ألحضارة ذلك الصراع الذي ما يزال يؤثر في بنية الثقافة وسمات الشخصية الفردية و الجماعية.
تمتد جذور النظام الأبوي إلى النظام القبلي الذي يقوم على صلة الدم والقرابة والعصبية القبلية، ويكون نتاجا لشروط تاريخية وجغرافية وثقافية تعزز الثقافة البدوية و ذلك عبر اختيار نمط تقليدي للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن طريق نظام القبيلة الذي كان بديلا للدولة وإدارتها كتنظيم اجتماعي يقوم على العلاقات العشائرية.

معظم التنظيمات الاجتماعية هي مجتمعات ذكورة أو أبوية، و لكنها تعرف اختلافات مهمة من حيث الفعل العقلاني الذي يُخفف من حدة هذا النمط الاجتماعي، بحيث عملت كل المجتمعات على تنظيم هذه الهيمنة الذكورية و الحد منها عبر عقلنة المجتمع و السلطة، أي سرعة الانتقال من أشكال تنظيمية قبلية إلى أشكال تنظيمية حداثية، من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية و من الجماعات القروية إلى الجماعات الحضرية.

الجهل و الفقر و هيمنة الذكور و تهيش و تشييء النساء و الأطفال، عوامل كلها لا يمكن أن تنتج إلا التخلف و لن تُثمر الا مزيدا من الإساءة للطفولة و الإنسان بشكل عام و التي تتمظهر في غياب الحوار بين الآباء و الأمهات و الأطفال، و غياب الإستماع الناتج عن عدم القدرة على الفهم و التحليل و النقد و التصرف مع أنفسنا أولا و مع الآخرين ثانيا. أغلب مشاكل الآباء مع المراهقين و المراهقات أساسها عدم

فهم الأسر للمرحلة العمرية التي يمر منها أبناءهم ، و سنعمل على توضيح ذلك منخلال الجدول التالي الذي يحاول أن يُظهر طبيعة المشاكل التي تواجهها الأسر مع المراهقين و المراهقات .

العينة / المشاكل	أجوبة الأسر	النسب%
عدم الإستماع لنصائح الوالدين	294	%29.73
اللامبالاة	117	%11.83
طريقة اللباس	93	%9.40
التأخر خارج البيت	101	%10.21
الانعزال و الإنغلاق	45	%4.55
الإنترنيت	37	%3.74
عدم المساعدة في الفلاحة و النسيج	302	%30.54
مجوع الاجابات	989	%100

تقوم تربيتنا التقليدية على العنف، قد لا يكون ضربا أو عنفا ماديا مباشرا، و لكنه عنف تعكسه إرادة تصورنا لأبنائنا كما نريد و أن تكون لهم الشخصية التي نريد لهم، نريد منهم أن يستمعوا و يطيعوا دون كثرة الأسئلة والبحث عن الأسباب، فقط لأننا لا نستطيع في كثير من الأحيان أن نبرر أوامرنا إما بالفعل أو عدمه .

المراهق إنسان و هذا يعني أنه مُفكر بالضرورة وعندما يُفكر عليه أن يُعبر عن أفكاره ثم الانخراط في انجازها، و عندما نلغي هذه المعاني نلغي الإنسان بشكل بسيط و تتحول العلاقة بين الآباء و الأبناء المراهقين و المراهقات إلى علاقة سلطوية تعسفية قائمة على ثنائية السيد و العبد، لأننا فعلا نعترف أنهم ملكيتنا و لنا الحق في أن نفعل ما نريد في ما نمتلك، و هذا أكبر خرق لحقوق الطفل يمكن أن تمارسه الأسرة عن غير وعي .

ما زالت الأسرة في منطقة البحث تتعامل مع الرأسمال البشري بشكل كمي و ليس كيفي، لأن العائلة الممتدة تحتاج إلى عدد كبير من الأفراد حتى يتمكنوا من تغطية كل الأعمال المتعددة التي تتطلبها الحياة القروية، ليصبح الهدف الأساسي من الأبناء هم مساعدة الأسرة من أجل الزيادة في الدخل، لهذا نجد أن الكل يشتغل، كبار الرجال و النساء و الأطفال و الشباب.إنها حرب ضد الفقر تدخلها الأسر بقوة الجسد لا بقوة العقل . تعاني الأسر من الفقر في منطقة البحث، و هذه ليست بالمعلومة الجديدة، فالكل،سواء المؤسسات أوالأفراد أوالهيئات السياسية والحقوقية في الوطن، يدركون ذلك و منذ زمن بعيد، إلا أننا لم

نصل إلى حل بعد، لأن المعطيات الإحصائية أظهرت أن نسبة 30.54 % من مجموع إجابات الأسر حددت مشاكلها مع المراهقين والمراهقات في عدم مساعدتهم في تحسين دخل العائلة، إما عدم إرادة المراهقين الذكور القيام بأعمال الفلاحة مثل الرعي، السقي، عملية الزرع و الحرث و جني المحاصيل، و رفض الإناث للمزاوجة بين الدراسة و بعض الأعمال الفلاحية و المنزلية و أهم شيء هو النسيج :مازال ينظر للمرأة كآلة للنسج فقط و إنجاب الأبناء، هذا تمثل خطير للمرأة و عملها ووجودها و وظيفتنا و علينا العمل على تجاوز هذه الوضعية، و أول خطوة هي محاربة الفقر حتى لا يأكل البالغون حياة المراهقين و المراهقات، أو لنقل الطفولة بشكل عام. يحارب الفقر أولا بالحق في العلم و المعرفة و احترام حقوق الإنسان .

بالتواصل نحارب العنف و عندما تغيب أدوات التواصل يغيب الحوار و يحل محله الغضب والصراخ و الإهانة، فقد أكدت نسبة 29.73% من مجموع إجابات الآباء والأمهات على أن مشاكلهم مع أبنائهم المراهقين والمراهقات هي عدم الإستماع لنصائح الوالدين، و هذا يعني أن المراهق يرفض أن يتصرف تحت وصاية الغير، بل يرفض سلطة الآباء و الأمهات،و هذا أمر طبيعي لأنه في مرحلة الثورة و التمرد و إبراز الذات و يحتاج لمن يحاوره، لا لمن يُملي عليه الأوامر و يفرض عليه الطاعة والامتثال .

لكن، كما قلنا سابقا، الحوار مشروط بالمعرفة التي تسمح بامتلاك أدوات التواصل.

يتضح الآن، أن الأسر في منطقة البحث في حاجة إلى برنامج محلي لمحاربة الجهل والفقر، و سوف نقدم بعض المقترحات لمحاربة الأمية بين الأسر، و هو برنامج ممكن التحقق أن تضافرت جهود الجماعات الخمس و كان لها من الإمكانيات المادية و العقلية ما يكفي لفعل ذلك .

سنستمر في تعرية الواقع الأسري في المنطقة، و محاولة الكشف عن السبب في عدم أدائها لمهامها الاجتماعية كما يجب و ذلك من خلال علاقتهم بأبنائهم المراهقين و المراهقات .

المباح للذكور / قرار الآباء	استقبال الأصدقاء في المنزل		التأخر خارج البيت		المبيت خارج المنزل		لباس ما يريد		الحلاقة كما يريد		السفر لوحده	
نعم	310	%77.5	178	%44.5	63	%15.75	289	%72.25	117	%29.25	112	%28
لا	90	%22.25	222	%55.5	337	%84.25	111	%27.75	283	%70.75	288	%72
المجموع	400	%100	400	%100	400	%100	400	%100	400	%100	400	100 %

قبل أن نقوم بتحليل المعطيات الاحصائية، لنتعرف إلى آراء بعض المراهقين حول اللباس و الحلاقة.

يقول أحد المراهقين و عمره 16 سنة ويدعى «أحمد» والذي برر تفضيله للقصات الغريبة فقال : لا أرى أي مضار في ارتداء أي شخص للزي الذي يريده، أو يراه مناسبا له، كما أننا جزء من هذا العالم ، نلبس ونأكل كما يفعل بقية سكان العالم، ما الذي يمنع ارتدائنا ملابس حديثة، وماذا لو قصصت شعري بالطريقة التي أريد ؟ .. هذه حرية شخصية، كما أنها لا تؤثر في أحد، ولا تساهم في هدم القيم الاجتماعية كما يقولون، وعليهم أن يدركوا أن العالم يسير في طريق التغيير والتطور والتمازج بين الحضارات من كافة القارات.

ويضيف أن تأثير الإعلام والانترنت لن يستطيع أحد منعه، ونحن شباب نساير الموضة لا غير، وليست لدينا أية نوايا أو أهداف أخرى، بعيدا عن الذين يبكون على الأطلال . و أضاف: ملابسنا الجذابة التي تلفت النظر والانتباه، تشعرنا بالسعادة، ونحن نرى العديد من الناس في جميع الأماكن العامة التي نذهب إليها ينظرون إلينا وفي أعينهم علامات الإعجاب بلباسنا. نرتدي الملابس الواسعة التي تجعلنا نتحرك بها كما نشاء وليست الضيقة المشابهة لملابس النساء، كما وصفها البعض،. كما أن قصات الشعر حرية شخصية لا تمس حرية الآخرين ومعروف بين أوساط الشباب بأن هذه القصات والملابس هي تجديد ولا نرى فيها تقليدا لأحد، بقدر ما هي موضة وفعل شبابي يلائم طريقة عيشنا ويناسب أعمارنا .

يقول الشاب (علي) و عمره 17 سنة : أن في تسريحة شعره أو حتى لباسه وتلك الاكسسوارات التي يضعها على صدره وفي يديه : أنا مرتاح مع شكلي الحالي، ويعنيني جداً هذا الشعور بالاختلاف، وهو ما رافقني منذ صغري، حيث كنت أسعى للاختلاف وينهي كلامه قائلاً: أعتبر نفسي حراً في التعامل مع جسدي وشعري كما يحلو لي باعتباره مساحة خاصة وشخصية. نحن معتادون في مجتمعاتنا العربية أن ندس أنوفنا بما لا يخصنا وأن ينظر كل واحد للآخر ويهتم بشؤونه عوضاً عن الاهتمام بنفسه.وعما إذا كان يشكل شعره عبئاً عليه من حيث التسريحة اليومية ، يقول: لا أبداً أنا اكتفي بتسريحه وهذا لا يأخذ مني اكثر من دقائق.

كانت هذه بعض التفسيرات المُقدمة من المراهقين، و نظرا لتشابهها اكتفينا بهاذين النموذجين فقط.

نعم لمراقبة لباس وحلاقة المراهقين، نعم للقيم الوطنية الإنسانية، و لكن كذلك نعم للحريات المضبوطة بالعقل، فكل فعل مرفوض سواء كان لباسا أو حلاقة يجب أن يقوم على التبرير العقلاني و الاقناع بالحجة و السماح بالتجربة حتى يقتنع المراهق و المراهقة، عوض أن يُحسوا بالوصاية و قهر سلطة الأسرة و المدرسة و الشارع . بالحوا، إذن، يمكن أن نتجاوز الكثير من مظاهر العنف التي يعرفها مجتمعنا سواء داخل الأسرة أو المدرسة. لنعترف أن محاربة العنف تقتضي إحلال الحق و الإعتراف بالإنسان، و البداية من الأسرة لأنها أساس التربية.

ويعلّق والد أحد الشبان ممن يقصون شعرهم ويرتدون ملابس غريبة، فيقول : بالطبع لا يعجبني الشكل الذي يظهر فيه ابني وكان (ينر فزني)دوماً بتسريحة شعره التي اعتمدها مؤخراً... ولكني عندما رأيت رفاقه أدركت أن ابني أكثر رزانة بدرجات. أصبحت معتاداً على رؤيته بهذا الشكل ولكني أُحرج عندما يرافقني، فأطلب منه أن يلبس ملابس عادية،على الأقل عندما يرافقني، ويضيف أُرجع سبب هذه

التصرفات الغريبة إلى سن المراهقة وإحساسه بالرجولة المبكرة، التي تتميز به هذه الفترة العمرية إضافة إلى انتشار القنوات الفضائية، وبرامج الشباب، ومواقع التواصل الاجتماعي، وما ينقله هؤلاء الشباب من ثقافات مختلفة من خلالها.

كما تتشابه أراء المراهقين تتشابه آراء الآباء، إنه صراع أجيال وثقافات فعوض أن نتحدث عن صراع الحضارات أو الثقافات و نقيم الندوات و المؤتمرات حول التسامح و الاحترام و تلاقح الحضارات، لننظرأولا في تجليات هذا الصراع انطلاقا من أصغر الخلايا الاجتماعية و هي الأسرة، لأن إصلاح الأسر هو إصلاح للوطن و للعالم، و قد أدركت المنظمات الدولية ذلك فكرست مجهوداتها للأسرة و المرأة و الطفولة، غير أن هذه المنظمات تنتظر منا المزيد من الجدية و الوطنية في انجاز البرامج التي تُنجزها و تُمولها من أجل تجاوز تخلفنا الذي يعيق تقدم الإنسانية . تسمح طبيعة المجتمع التقليدي للذكر بالخطأ، مهما فعل فإنه يبقى رجلا، هذا خطابنا و لكن لا يحق للأنثى أن تخطئ ، إنها العرض و الشرف و أشياء أخرى. كم هو ثقيل العبء على بناتنا، لنحاول أن نتبين طبيعة الحيف الذي يلحق الفتاة القروية و ذلك من خلال معرفة ردة فعل الأسر تجاه سلوكيات الإناث و الذكور. طرحنا الأسئلة التالية على الأسر، أولا بخصوص الذكور:

هل يمكن أن يتحرش ابنكم بفتاة ؟ كيف تحسون إثر هذا الحدث ؟ما هو احساسكم عندما تعرفون أن ابنكم المراهق يحب ؟، لننظر إلى الأجوبة التي ستُظهر هيمنة المجتمع الذكوري بشكل قوي .

العينة / إمكانية / تحرش المراهق	الأسر	النسب%

نعم	173	%43.25
لا	227	%56.75
المجموع	400	%100

كيف هي ردة فعلكم تجاه هذا الفعل ؟

العينة / الموقف	الاسر	النسب%
الزهو و الفخر	241	%60.25
الخجل	159	%39.75
المجموع	400	%100

جدول يوضح موقف الآباء من حب أبنائهم المراهقين الذكور.

العينة / الموقف من حب الذكور المراهقين	الاسر	النسب%
الفخر	301	%75.25
الخوف	99	%24.75

المجموع	400	%100

توضح كل هذه المعطيات مدى قوة حضور المجتمع الذكوري في المنطقة مجال البحث و كم هو الطفل محظوظ لكونه ذكرا و سنرى الحيف و اللامساواة في التربية و الحق بين الذكور و الاناث .

هامش حرية الذكور أكبر من هامش الحرية لذى الإناث ، فلنتأمل لائحة الأفعال الممنوعة على الفتاة بشكل عام و المراهقة بشكل خاص .

يعد الخجل من أحد أهم الصفات التي يحبها الرجال في النساء لهذا يُنشئ الآباء و الأمهات بناتهم على هذه الصفة ، لتجد الفتاة لنفسها زوجا في المستقبل و كأننا نُعد بضاعة وفق مقاييس معينة حتى تجد الرواج في سوق هي شبيهة بسوق النخاسة . ممنوعة الفتاة من كل أشكال الفعل القائمة على الجرأة، لأن هذه الصفة في المراهقة أو الفتاة أو المرأة بشكل عام مرفوضة، و ستوضح الجداول التالية قوة الحصار المضروب على المراهقة، و كم أنها غير حاضرة كإنسان، فهي امرأة فقط أو كما يقال في منطقة البحث التي تنتمي إلى تجمع سياسي يُطلق على ذاته دولة الحق و القانون(المرأة حشاك). أعلم أن هذا مُقرف و

لكنها الحقيقة التي يعرفها الجميع و نعمل على نشرها في السر و بالعنف،لننظر كم نحن مجحفون في حق بناتنا :

ما قد يسمح به للمراهقة / موقف الأسر	استقبال الاصدقاء في المنزل	التأخر خارج المنزل	المبيت خارج المنزل	لباس تريد	الحلاقة كما تريد	السفر لوحدها
نعم	90	60	00	96	17	12
	%22.5	%15	%00	%24	%4.25	%3
لا	310	340	400	304	383	388
	%77.5	%85	%100	%76	%95.75	%97
المجموع	400	400	400	400	400	400
	%100	100%	%100	%100	%100	%100

لا يُسمح للمراهقة باستقبال أصدقائها في المنزل و لا بالتأخر أو المبيت خارج البيت و لا لباس ما تريد و لا حلاقة رأسها كما تبتغي، كما لا يُسمح لها بالسفر لوحدها. ليس المهم هو فعل التحريم في حد ذاته و لكن صيغ هذا التحريم أو المنع الذي يطال الإناث دون الذكور. لا تستطيع المراهقة أن تفهم أسباب هذا التمييز بين الذكر و الأنثى خاصة في مجتمع يصرح دائما و في كل المناسبات أنه يحترم حقوق الإنسان. لا حل للمراهقة في مثل هكذا مجتمعات إلا أن تُقنع نفسها بأن ما يملا عليها من أفعال هو من أجل مصلحتها فتكف عن التفكير و تخضع للوصاية .

لا يعني هذا الكلام أننا ندعو للإنحراف و الجنوح عن معالم الهوية الوطنية و تعاليم الدين الاسلامي، لكنها دعوة لتربية المراهق و المراهقة باعتماد الحوار و الحجة في الاقناع ، لماذا الفعل على هذا النحو أو ذاك ؟كل توجيهاتنا يجب أن تكون مبررة عقليا، و قائمة على حق المراهق و المراهقة في التجربة و في الخطأ أيضا .

لدينا ثقافة و هي عادات و تقاليد و طُرق في التفكير و التعبير و الانجاز، هي الأساس المُحدد لهويتنا، واجب علينا المحافظة عليها و لكن العمل على تحيينها وفق مقتضيات العصر. لهذا علينا أن نُحضر الإناث كما الذكور لمجتمع يقوم على مفهوم الإنسان عوضا عن مجتمع يسود فيه الذكور على حساب الإناث . من الضروري أن نحاول إعطاء المشروعية أو عدمها لفعل ما معتمدين الحوار عوض العنف. الحوار غير ممكن إلا بالعلم و المعرفة لأنها الأدوات الضرورية للأسر من أجل تربية سليمة ديمقراطية

و إنسانية. أن إصلاح الوطن هو إصلاح المنظومة التعليمية، غير أنه لا يمكن إصلاح هذه الأخيرة دون الاهتمام بشكل جدي بالأسرة و الرقي بها من الأمية إلى القدرة على ممارسة التفكير، من الفقر إلى الغنى حتى تُحقق العيش الكريم في أبسط إمكانياته و تجلياته . يحتاج هذا للعدالة أكثر من المساواة . نقول ما نقوله لنبين أن الأسر في منطقة البحث تحتاج لما نسميه بالتمييز الايجابي لأنه الفعل الوحيد الذي قد يصنع العدالة .

يفتخر الآباء عندما يدركون أن أبناءهم الذكور يحبون(لقد أصبح ابني رجلا)، فقد عبرت عن ذلك نسبة مهمة من عينة البحث حيث بلغت 75.25 % ، لكن لحب الإناث طعم آخر بالنسبة للآباء و الأمهات، إذ يصبح حب المراهقة مثير للخوف و أحيانا الرعب، لنتأمل الجدول التالي المُبين لهذه الوضعية :

موقف العينة / الأسر من حب المراهقة	الأسر	النسب%
الفخر	93	%32.25
الخوف	307	%76.75

المجموع	400	%100

ينظر الكثير من الآباء والأمهات إلى أولادهم المراهقين خاصة المراهقات على أنهم مصدرا للإزعاج وتعكير صفو الحياة، وهذه النظرة ليست بعيدة عن الواقع في غالب الآمر ولكن علينا أن نضع بالاعتبار نقطتين هامتين:

أولًا : هي أن معظم مشكلات المراهقين والمراهقات هي نتاج مرحلة ألمراهقة، أي إنها تزول بزوالها، لكن معرفة كيفية التعامل معها يساعد على تخفيف وطأتها، وعلى عدم تحولها من شيء عابر ومؤقت إلى شيء دائم ومستمر و هنا يظهر الدور الفعال للأسرة .

ثانيا : هي أن عدم قدرة معظم الأسر على التفريق بين ما هو طبيعي من سلوكات المراهقين وما هو غير طبيعي أو مشكل، يعود إلى أن الأسر لا تملك الحد المطلوب من الثقافة التربوية، و لا

الامكانيات المادية لتمويل الفعل التربوي. كل هذه العوامل تدفع الآباء و الأمهات إلى الانزعاج الشديد من بعض تصرفات أبنائهم غير اللائقة أو غير الأخلاقية

أن المراهقة مرحلة من أدق وأهم المراحل التي يمر بها الإنسان وليست مشكلة في حد ذاتها، ولكن نظرًا لطول تلك المرحلة والتغيرات التي تصاحبها من كل جوانب الشخصية يتخوف منها البعض الكثير من الأسر.

يظهر الماض الثقافي في تمثلاتنا السيئة للمراهقة و المراهقين، و تتجلى في كل سلوكاتنا هيمنة التقليد عوض العقل، وما يُرعب فعلا هو أننا مازلنا نغذي هذا التقليد بشكل غير طبيعي و كأننا نسعى لتوسيع دائرة الجهل عبر تجاهلنا للحاجيات الضرورية للنمو .

لكي نبين السلوكات التربوية التقليدية التي نستهدف تغييرها، حاولنا أن نعرف ردة فعل الأسر عندما ترتكب المراهقة خطأ أخلاقية، أي تأتي بفعل غير مقبول دينا و ثقافة و عقلا . يوضح الجدول التالي طبيعة العلاقة بين الأسر و المراهقين و المراهقات.

العينة / ردة فعل الاسر	أجوبة الأسر	النسب%
الضرب	290	%29.26
تشديد المراقبة	301	%30.38
المنع من الخروج	129	%13.02

المنع من متابعة الدراسة	75	%7.57
تزويجها	95	%9.58
اعتماد الحوار	101	%10.19
مجموع الاجابات	991	%100

أخطاء المراهقات أخطاء قاتلة، خاصة تلك التي تُسيء لسمعتها و سمعة أسرتها و قد يكون خطأ بسيطا وطبيعيا سببا في ضياع الرأسمال المعنوي للأسرة، الذي يسمح للإنسان القروي أن يرفع وجهه و ينظر في عيون الآخرين و قد يتسبب أيضا في عنوسة أغلب الفتيات المنتسبات للأسرة الموبوءة بخطأ أخلاقي هو في الأصل حق للمراهق و المراهقة، فقط لأن الخطأ حق أنساني .

لا حق للفتاة أو للمراهقة في الخطأ، قد يخطئ المراهق متى شاء و كيفما شاء، لكن الضرر الذي يُحدثه سلوك غير مقبول أخلاقيا من مراهقة قد يُحدث دمارا لا يمنك توقع حجمه، لهذا تعتمد كل الأسر العنف بكل أشكاله لتُحترم القواعد الأخلاقية العامة.

نُحس و كأن المراهقات حمل ثقيل يُرعب الأسر، و نظرا لعدم معرفتهم كيفية مساعدة أبنائهم يلجئون إلى التهديد والتخويف والترهيب والضرب حتى تتصرف المراهقة كما نريد، فقط لأنها تخاف و ليس لأنها مقتنعة و مُدركة لما يجب أن يُفعل و ما يجب أن يُتجنب .

علينا نحن البالغين أن نفهم أن الأفعال الناتجة عن الفهم أفضل من تلك الناتجة عن الأوامر، و علينا كذلك أُدراك أن الفعل الناتج عن الحب أفضل من الفعل الناتج عن الخوف، يخاف المراهق و المراهقة

من الأب والأم والمدرس وإمام المسجد، مجال يسوده الرعب بكل أشكاله لا يمكن أن يُنتج مواطنا جريئا و مُبادرا وحرا ومسؤولا .

نُحطم أبناءنا المراهقين و المراهقات دون أن نؤسسهم و يتجلى هذا في الجهاز المفاهيمي الذي نستعمله يوميا (البرهوش /ة –المكلخ /ة – الحمار /ة – و لد البارح – البعلوك /ة .....).

يُضايقنا كثيرا أن يُشاركنا أحد في السيادة . لنا الحق نحن البالغون في تحطيم شخصية المراهق و إهانته و إذلاله و نفعل ذلك بسب الجهل، لأننا عادة ما نندم على ما قلناه و لكن كبرياءنا المريض يمنعنا من الاعتذار. ليسأل كل واحد منا نفسه، كم مرة أخطأ في حق ابنته أوابنه واعتذر،البالغ لا يعتذر لأنه لا يخطأ.من الوظائف المهمة بالنسبة للأسر تعزيز ثقة المراهق و المراهقة بنفسهما، لننظر هل تؤدي الأسر في مجال البحث هذه الوظيفة .

العينة / تعزيزالثقة	الأسر	النسب %

نعم	**89**	**%22.25**
لا	**214**	**%53.5**
أحيانا	**97**	**%24.25**
المجموع	**400**	**%100**

53.5% من الأسر لا تعزز ثقة أبنائها في أنفسهم و 24.25% تفعل ذلك أحيانا إن لم نقل نادرا. ليس الأمر غريبا لأن تعزيز الثقة عمل يفترض نمطا من التفكير و بعضا من العيش الكريم و هذا ما يعوز الأسر. لا العقل يسعف و لا المال يكفي و هذه مأساة تحتاج لبرنامج محلي مستعجل و مدروس بشكل متكامل و بشراكة مع المعنيين بالأمر. لا تستطيع الأسر أن تُقدم تربية دينية سليمة و لا تعرف، و في نفس الوقت لا تجرؤ على مد المراهق و المراهقة بتربية جنسية تسمح له ببناء شخصيته بشكل سوي، كما أنها لا تدرك كيفية التربية على الوطنية و القيم الإنسانية و احترام حقوق الإنسان .

إن حل معضلة المنظومة التربوية مرتبط بإعادة هيكلة الأسرة و الإعتراف بها، لأنه كما تكون الأسرة تكون الدولة و الإصلاح الفعلي يبدأ من الأسر لأنها أصغر الخلايا الاجتماعية، و أهما بالنسبة للوطن و المواطن .

للآباء وعي بما يجب أن يُفعل و لكنهم لا يعرفون كيفية الفعل، عندما سألناهم عن ضرورة التربية الجنسية بالنسبة للمراهقين والمراهقات أجابت نسبة 71.25 % بضرورة التربية الجنسية، أنظر الجدول التالي:

العينة / التربية الجنسية	الأسر	النسب%
ضرورية	285	%71.25
غير ضرورية	35	%8.75

حشومة	80	%20
المجموع	400	%100

المراهقة مرحلة من مراحل النمو البشري و هي حساسة بطعبيتها، تقتضي من المجتمعات حماية حياتها ومستقبلها كلما تعرضت للاختلال أو الخطر،أو الإساءة . هذا ما جعل الأمم المتحدة توليها اهتماما خاصا من خلال تشريعات عديدة : كان أهمها اتفاقية تعنى بحقوق الطفل سنة 1989... إتفاقية وقعها المغرب ليجعل صوته ضمن أصوات العالم التي تنادي بطفولة سليمة مصانالحقوق.

فهل للطفل القروي المغربي مكان بين الأطفال الذين نادوا : نريد عالما جديرا بنا، عالما لا يفرق بين معافى ومريض ويوفر بيئة صحية ملائمة للجميع، نريد تعليما لائقا وفرصا للعب، نريد تغذية سليمة ورعاية أسرية تبعدنا عن السقوط في أحضان الجهل والتشرد، نريد أن نعرف كيف نتصرف مع أنفسنا و الآخرين، و الأهم نريد نموا وجدانيا عاطفيا سليما بعيدا عن الفهم الأسطوري الخرافي للجنس كما يُقدم في الثقافة المحلية و في نفس الوقت بعيدا عن الهمجية و الحيوانية التي يُقدم من خلالها على بعض القنوات الإباحية و على الإنترنيت .

يُدرك الآباء أنه ليس بإمكانهم مساعدة أطفالهم، خاصة ما يتعلق بالتربية الجنسية و التربية على المواطنة و القيم الإنسانية ، و لكنهم يريدون أن يُنجز مسؤول آخر هذه العملية لأهميتها، فقط في انتظار أن يتعلموا كيفية فعل ذلك، و الجدول التالي سيوضح هذه الإرادة :

العينة / المسؤول عن التربية الجنسية	أجوبة الأسر	النسب%
الآباء و الأمهات	**120**	**%23.35**
المدرسون	**394**	**%76.65**

إمام المسجد	00	%00
مجموع الاجابات	514	%100

الكل مُدرك لأهمية التربية الجنسية، و ترى معظم الأسر أنها من مهام المدرس، لكن هل المدرس مؤهل و تم تكوينه لأداء هذه الوظيفة أم أن حظه من العلم و المعرفة هو نفس حظ الأسر ؟.

تحتاج هذه التصريحات إلى وقفة فعلية لتأمل طُرق التربية الأسرية و المدرسية و في نفس الوقت تأهيل الأمهات و الآباء و المدرسين لينجحوا في مساعدة المراهقين و المراهقات على بناء شخصيتهم وفق ما تقتضيه القيم الإنسانية . تبدأ عملية إعادة هيكلة الأسرة و المدرسة من الحوار بين الدولة و المواطنين، بين الأسر و الأبناء بين المدرسين و تلامذتهم و بين الأمهات و الآباء، لأنه كما يولد الأطفال في المنازل يولد كذلك الحوار، و قد تبين لنا أنه غائب بالنسبة للأسر في منطقة البحث .

كان آخرسؤال وجهناه للأسر، هو من ملأ الاستمارة. أردنا أن نعرف مدى إمكانية الحديث عن تواصل أُسري فكانت النتائج كالتالي:

العينة / من ملأ الإستمارة	الأسر	النسب%
الأب	295	%73.5

الأم	15	%3.75
هما معا	91	%22.75
المجموع	4OO	%100

غالبا ما يشير المجلس الأعلى للتعليم إلى أن إصلاح المنظومة التربوية يقوم على الأسس الثلاثة للفعل البيداغوجي : المدرس و المتعلم و ألمعرفة. لكن ما يُلاحظ هو أنه ثم القفز على عمل الأسرة و الدور المنوط بها، وهل تؤديه كما يجب أم لا؟ و إن لم تكن قادرة على القيام بما هو مطلوب منها، لماذا و ماهي الامكانيات التي تحتاج لتكون فاعلة، لأنها أساس الدولة ككل ؟

أُسر تعاني من الفقر و الأمية لن تعمل إلا على اعادة إنتاج ذاتها و لن يفلح أي إصلاح إن لم ننطلق من إصلاح الأسرة .

يتأثرالمراهق بالمجال الذي ينمو فيه و تكون نسبة التأثير قوية جدا، لأن المراهق أو الطفل بشكل عام يتشرب طُرق الفعل من الثقافة المحيطة به و أول المحيطين به هم الآباء و الأمهات.

تعاني الأسر في منطقة البحث من الفقر و الجهل، لنوظف مفهوم الأمية لأنه أقل اثارة للغضب رغم أنه جهل و ليس أمية . إن الجهل هو عدم القدرة على ممارسة التفكير أو بشكل عام فعل من الأفعال : أجهل كيف أفكر وأعبر وأجلس، و أحتاج دائما لمن يملي علي طريقة الفعل دون أن أمتلك القدرة على ابداع حلول ذاتية، يعني هذا أن معرفة الكتابة و القراءة و الحساب لا تعني أننا قد تجاوزنا الأمية لأنه و رغم هذه الامكانيات الأولية مازال الحال على ما هو عليه.

أساس التغيير هو الانتقال من تعليم الأفكار إلى تعليم التفكير في الأسرة و الشارع و المسجد و المدرسة و الجامعة و كل مؤسسات الدولة، فقط لأنه بالعلم نحيا و بالتفكير نكون و نتحقق خاصة عندما نُحول أفكارنا إلى واقع ملموس، أو بلغة "أرسطو" عندما نخرج الأفكار من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل.

التفكير قدرة على تجاوز وضعية مشكلة سواء في المنزل أو القسم أو الشارع أو في الحياة بشكل عام، لهذا فمحاربة الأمية بالنسبة لنا هي جعل الإنسان قادرا على ممارسة فعل التفكير عوض امتلاك مجوعة من الافكارالتي لم يساهم في انتاجها .

ليس المتعلم وعاءا يملأ بالمعارف و العلوم و القيم و التقاليد و العادات، إنه انسان لا يكتمل إلا باكتمال قدرته على كل الأفعال التي تسمح بتحققه في بعده الانساني، و هذا ما لا تستطيع الأسر فعله ،وهذا هو المرض الذي شخصه الكثير من الدارسين بشكل خطأ، عندما جعلوا المثلث البيداغوجي محصورا بين المدرس و المتعلم و المعرفة مع إغفال خطير للدور الأسري في إصلاح المنظومة التربوية .

كفى من التربية التقليدية القائمة على المحاكاة و كأن الزمن لا يتحرك و بالتالي ما صلُح بالأمس يصلح اليوم كذلك و من دون شك قد يصلح مستقبلا.

إن النمط التربوي التقليدي هوالسائد في منطقة البحث وهو نمط يعمل على نقل المعرفة ممن يعرف إلى من لا يعرف . إنه نمط يعلم الافكار و لا يستطيع أن يُعلم التفكير. البالغون يعرفون أسرار الحياة و الوجود و يعملون على توريث ما يمتلكون دون أن تكون لهم القدرة على معرفة ماهيته.

إن تعليم التفكير، هو أولا تعلم ذاتي للفعل، اكتشاف للإمكانيات الذاتية، قوتها، ضعفها و حدودها ثم العمل على تطويرها بمساعدة المحيط الأسري أولا.

تقوم تربيتنا على حماية مبالغ فيها أحيانا، لأننا نساعد الطفل في كل أفعاله أو لنقل نقوم بها نيابة عنه، دون أن ندرك أنه قد لا يحتاج لتدخلنا و ربما قد يرفض هذا التدخل أصلا.

ما لاحظناه في منطقة البحث بحكم معايشتنا للناس أكثر من عقد من الزمن، هو أن الطفل لا يجب أن يبكي أويتألم أو يسقط ، دائما ما نحول بينه و بين كل التجارب التي تصنع شخصيته، تحرم هذه الحماية غير المعقولة الطفل من التعلم الذاتي الذي يُعلم بدوره المسؤولية و الاستقلالية .

نحب أطفالنا، أحيانا، حبا مرضيا عندما نحرمهم من حقهم في التعلم الذاتي أي اكتساب المهارات و المعارف عبر تجاربهم الخاصة.

تتأسس القدرة على التفكير منذ الطفولة الأولى (تعلم الكلام و المشي و استعمال باقي أعضائه الأخرى) و للأسف غالبا ما نتدخل كآباء و أمهات من أجل تسريع هذه المهارات عوض تجويدها .

تتطلب هذه المرحلة العمرية من الوالدين المراقبة و المساعدة المحدودة للطفل عندما يحس بضعف قدرته على الفعل: (إذا أراد الطفل أن يصعد كرسيا سأمسك الكرسي و أترك الطفل يحاول يتعلم، و لن أساعده إلا عندما أُحس فعلا أنه محتاج للمساعدة و لن تكون مساعدتي كلية، بل فقط عبارة عن دعم، قد أضع يدي كأساس لقدم الطفل و أترك له مهمة الدفع و رسم خطة للصعود، وعندما يصعد لن أنزله سأمسك الكرسي و أدعه يرسم خطة للنزول، و هكذا يمكن أن نتصرف في كل الأفعال الأخرى التي يقوم بها الطفل).

عندما يغيب التأسيس للقدرة على ممارسة التفكير الذاتي، يغيب الاحساس بالمسؤولية و الاستقلالية و يصعب ترسيخه في غير زمنه و قد يستمر الإنسان غيرمستقل وغيرمسؤول كل عمره .

كم من الأطفال تعرضوا للقمع، فقط قيل لهم ألا يتحدثوا عندما يتحدث الكبار، قيلت لهم بشكل غير لائق فامتنعوا عن الكلام الدهر كله. هكذا يكبر الطفل والمراهق معتمدا في كل شيء على محيطه، هناك من يفكر نيابة أو لنقل أن البالغ يحيا نيابة عن الطفل . الغريب في الأمر هو أن عدم التربية على المسؤولية و الاستقلالية يظهر بشكل واضح في مجال البحث، إذ نجد نسبة كبيرة من البالغين المتراوحة أعمارهم

بين 30 و 50 سنة، هم متزوجون و لهم أبناء لكنهم مازالوا يعيشون تحت رعاية أو وصاية الأب، فهذا الأخير يقوم بكل الأفعال الحياتية نيابة عن رجال مازالوا لا يستطيعون تحمل مسؤوليتهم، فكيف سيتحملون مسؤولية أبنائهم . ما لم نعلم أبناءنا الاستقلالية والمسؤولية لن نستطيع تجاوز العائلة الممتدة التي تحارب هذه الخصائص الأساسية في الإنسان و سنعيد إنتاج نفس المجتمع و هذا أبشع أشكال الهدر للرأسمال البشري و للزمن.

كل أشكال العنف التي يعرفها مجتمعنا بما فيها الظاهرة الجديدة المعروفة ب(التشرميل) هي نتاج لسوء تدبيركل مؤسسات التنشئة الاجتماعية للإنسان .

أدركت الإنسانية و منذ زمن بعيد، أن العنف جزء من ماهية الإنسان، أنه خاصية طبيعية .نتج هذا الادراك ضرورة البحث عن طرق تنظيم هذا الفعل الذي لا يمكن تجاوزه أو نفيه أو التعامل و كأنه غير موجود . كان لزاما على الإنسان أن يعمل على الانتقال من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية، من الهمجية و التوحش و سيادة حق القوة إلى النظام و العدالة و سيادة قوة الحق .

كان العنف السبب الأساسي في ظهور المؤسسات و حالة الثقافة بشكل عام،لهذا أسس الإنسان الدولة لكي ينتقل من الخضوع للعنف اللامشروع القائم على حق القوة إلى العنف المشروع القائم على قوة الحق.إن وظيفة الدولة هي تحرير الإنسان، و الحرية تعني الاستقلال والمسؤولية .الإنسان كائن مفكر و من وظائف الدولة بكل مؤسساتها العمل على تهذيب السلوكات الطبيعية و الانتقال بها إلى المدنية و التحضر، و لا يمكن أن تفعل ذلك إلا باعتماد التربية و التعليم، و قد أوضحنا هذا عندما تحدثنا عن تاريخ التربية في الفصل الأول من هذا العمل .

لا يمكن الإنتقال من الهمجية إلى العلم والمعرفة إلا بالعلم و المعرفة، حقيقة لا يمكن لأحد أن ينفيها و لا يمكن لأحد أن يدعي امتلاكها بشكل نهائي، لأن العالم يتغير من حيث كل الأفعال الصادرة عن الإنسان، كل يوم فعل جديد و فكرة جديدة وقواعد وأدوات مختلفة عن أدوات الأمس، لهذا نلاحظ تغيير القوانين المنظمة لحياة الإنسان بشكل مستمر ودائم. متى تعارض الحق و القانون نغير القانون لنسمح للإنسان بالمزيد من الخصائص التي تُكمل ماهيته و تُتمم فعله، هذا إذا اعتبرنا الحق هو العنصر الداخل في إتمام جوهر الشيء و إكمال فعله. كل يوم يكتشف الإنسان نفسه و يتعرف إلى ذاته بشكل أفضل و يسعى لتطوير العالم الذي يعيش فيه و من خلاله ليستجيب لهذا الفهم الجديد للإنسان .

هذا هو أساس الاصلاحات التي تقوم بها المجتمعات لتصبح ملائمة للإنسان، وأول مجالات الإصلاح هو الأسرة قبل المؤسسات التعليمية، لأن الأسر في مجال البحث قد تحدث اضطرابات في شخصية الطفل تصعب معالجتها مستقبلا، خاصة إذا علمنا أنها غير مُدركة لقيمة الاستقلالية في الفعل و المسؤولية في بناء شخصية المراهق أو الطفل بشكل عام. قد يبدو ما نقول غريبا نوعا ما، لأن المسؤول الفعلي عن

التربية هوالمدرسة ولكن علينا أن نعلم أن الأسرة هي التي تمد المدرسة بالبذرة و في غالبية الأحيان تكون البذرة فاقدة لعناصرالحياة: الإستقلال، أي القدرة على التعلم الذاتي و تحمل المسؤولية .

إصلاح الأسرة أمر ضروري لإصلاح المنظومة التربوية وبالتالي إصلاح كل الوطن، لأنها الخلية الاولى للإنتاج، فإن صلحت صلح كل الوطن وإن اختلت وظيفتها اختلت وظائف كل الأعضاء الأخرى.

لنجرب محاصرة الأسرة عبر كل وسائل التواصل العصرية و التقليدية حتى نتمكن من تخصيب التربة التي يزرع فيها الطفل،الإنسان و تؤثر بشكل قوي في مستقبله .

تدرك الأسر عجزها عن الفعل و التصرف والفهم الجيد، خاصة لمرحلة المراهقة كمرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد، و هي تحاول بما تمتلكه من تربية تقليدية تقوم على استحضار الأمس الازلي و اعتباره مصدرا تستمد منه طُرق التصرف مع المراهقين و المراهقات، لكن هذه المحاولات تحتاج فقط إلى من يعقلنها لتُثمر نتائج أفضل. إن ما هو صعب مُتحقق لذا أغلبية الأسر، و هو إرادة الفهم و المعرفة من أجل تجويد الفعل التربوي، هناك استعداد أولي يحتاج للمزيد من الصقل و لكن كل تدخل يجب أن يكون أساسه الاحترام، لا تربية مع الإحساس بالمهانة والمذلةلأن احترام الإنسان هو الذي يسمح بتعليمه و تربيته .

تدفعنا مثل هذه الوضعية إلى التساؤل عن الكيفية التي تُبنى بها شخصية المراهق و المراهقة في ظل تربية تقليدية غير منفتحة على الفهم الجديد للإنسان، وغير مُدركة للإساءات التي تنتج عن هذه التربية.

عرفنا الأسر و الآن سنحاول الإقتراب من المراهقين و المراهقات القرويين و القرويات لنتبين نتائج التربية التقليدية، ولنبين أن الإصلاح الفعلي يجعل من الأسرة أولوية الأولويات.

المراهقون و المراهقات

علمنا الأستاذ المرحوم "محمد جسوس" أنه على الباحث أن يتعلم كيف يكون تلميذا أمام الظاهرة التي يقوم بدراستها، و هذا ما حاولنا القيام به مع مجموعة من المراهقين و المراهقات، قسمناهم إلى فئتين عمريتين الأولى من 10 إلى 14 و الثانية من 15 إلى 19، و بلغ عدد المراهقات في عينة البحث 200 و نفس العدد من الذكور،غير ان الفئة العمرية(19/14) كانت متجاوزة نسبيا للفئة الأولى (160 مراهق /80 من الذكور و نفس العدد من الاناث بالنسبة للفئة العمرية (19/10) و 240 مراهق و مراهقة منهم 120 من الذكور و نفس العدد من الاناث)، كلهم يتمدرسون إما في التعليم الثانوي الإعدادي أو التأهيلي، و قد ساهموا في هذا العمل بشكل فعال وعقلاني و ذلك من خلال تقديمهم للمعطيات التي كانت مُحرجة أحيانا، و بتمرير استمارة لأسرهم . كانوا بحق عينة و فريقا للبحث في نفس الوقت، و قد أثمرت استمارة الأسر حوارات مهمة بين الاباء و أبنائهم .لهذا أشكرهم على صدقهم وإرادة معرفة أنفسهم بأنفسهم .

أسر لا تربي بشكل عقلاني ومراهقين يطالبون بتبرير وشرح كل شيء أوكل فعل. لا تستطيع الأسر مسايرة سرعة نموأبنائها فتعيقهم، ولكن عن غير وعي،وأول الاعاقات غالبا ما تكون مادية، فقرلا يسمح بتوفير مكان لائق بالحياة ولا يسمح بتأثيثه بالأدوات الضرورية للعيش . يحتاج المراهق إلى مكان يأوي إليه وهو المنزل و يُفترض أن تكون له غرفة خاصة تسمح له بالإحساس باستقلاليته و تحمي خصوصية المراهق و المراهقة، و تسمح لهم بترتيب أنفسهم والعالم بشكل سليم . من ليس له حيزا مكانيا لا وجود، فل يعد كل واحد منا للأمس و يتذكر كم كان عدد الأبناء في الغرفة الواحدة، كان المرحاض هو المكان الوحيد الذي يمكن أن تختلي فيه بنفسك، و ليس لمدة كبيرة من الزمن، كان الفضاء الوحيد الذي تقفله أنت و تفتحه في نفس الوقت، أما الأماكن الأخرى في المنزل فهي ملكية جماعية . إذا كان التأمل و الخلوة شكلا من أشكال العبادة، فقد كنا نتعبد في المراحيض من قهرالفقرلا من قلة الإيمان أوالكفر. يُظهر هذا أنه من غير الإمكان تقويم أي اعوجاج في مجال التنمية إلا بعد تزويد الأسر بالشروط الضرورية للحياة . تعرف منطقة البحث إكتضاضا في المدراس والمنازل و فضاءات كثيرة أخرى، هذا ما سيظهره الجدول التالي الذي حاولنا من خلاله أن نعرف مدى توفر بعض الشروط الضرورية لحياة المراهق و المراهقة في منطقة البحث و أولها غرفة خاصة أو على الأقل مشتركة بين شخصين لا أكثر.

الفئات العمرية / غرفة خاصة	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	7	11	15	23	56	%14
لا	73	69	105	97	344	%86
المجموع	80	80	120	120	400	%100

أدركت الإنسانية جمعاء خصوصية المراهقة، فأبدع المصممون و المهتمون بتقديم تصور لغرفة المراهق التي تختلف عن غرفة الطفل، و انطلقوا في عملهم هذا من فهم المراهق و المراهقة حتى يمكن أن نوفر لهم فضاءا يتلاءم و طبيعة المرحلة التي يمرون منها .

إن كسر الجمود و الخروج عن التقليد و المألوف من أبرز سمات المراهقة و مطالبها، ويظهر هذا عند دخول غرفة مراهق، إنها عالمه الخاص و المعمل الذي يحضر فيه التجارب التي تصنع شخصيته، لابد أن يشارك المراهق في اختيار غرفته بنفسه تحت توجيه و إشراف من والديه. قبل عقد من الزمن لم يفكر أحداً في أن المراهقين يحتاجون لديكور و أثاث خاص بهم، و كان مظهر غرفهم لا يختلف عن ديكور غرف الأطفال إلا ببعض الملصقات على الحائط و ملابس و مجلات ملقاة على الأرض.
أما في السنوات الأخيرة فقد أدرك البالغون أنهم ليسوا وحدهم موجودين و أن اختياراتهم و حاجاتهم ليست بالضرورة هي حاجة الأطفال و المراهقين، عندها اتسعت أسواق الأثاث الخاصة بغير البالغين وتطورت العديد من الأفكار الخاصة باحتياجات الأطفال في غرفهم في مختلف أعمارهم . غريب، أمر العالم، هناك من المراهقين من يحدد كيف يجب أن تكون غرفته و هناك من لا يمتلك حتى غرفة ليكون.
من أبرز مطالب المراهقين و المراهقات غرفة خاصة بهم، و هي من حقهم لما تتطلبه هذه المرحلة من خصوصية نتيجة للتغيرات العديدة التي يتعرض لها المراهق و التي جعلته يختلف عن الطفل، و لا بأس بحمام خاص بهم أيضاً .المراهق في منطقة البحث مرحاضه في الخلاء لا في غرفة نومه، فقط لأنه لا غرفة له و بالتالي لا وجدود لاحترام خصوصيته . تكون غرفة المراهق مختلفة لأنها تعكس طبيعة صاحبها، لأ ن المراهق هو غرفته،قد يقوم بطلب طلائها بنفسه و بلون غريب، أو يختار سريراً معلقا أو أريكة غريبة الشكل أو حتى إكسسوارا لم ترى مثله من قبل، و ما دام طلبه في حدود المعقول لا مشكلة في ذلك، و لكن عليه أن يُدرك أنه مسؤول عن اختياراته. -
يحتاج المراهق في هذه المرحلة إلى مكتب كبير و مقعد مريح للدراسة كنتيجة طبيعية لتقدمه في مراحله الدراسية وأيضاً إلى مكان يتسع لجهاز كمبيوتر خاص به
من الأمور التي يحتاجها المراهق في غرفته المرآة حيث يهتم بشكل كبير بمظهره الخارجي و للذكور و الإناث على حد سواء.

صرحت نسبة 86 % من مجموع عينة البحث أن ليس لها غرف خاصة بها، و بالتالي كل الأدوات الأخرى المطلوبة للحياة العصرية، كمكتب و حاسوب و سرير و خزانة و أشياء اخرى مهمة و كثيرة . هذا ما ينتجه الفقر في المنطقة، فهَمُ الناس الأول هو ضمان القوت اليومي.
إن لم تكن لهذه النسبة الكبير من المراهقين و المراهقات غرف خاصة بهم، فهذا يعني إما أنهم ينامون مع الوالدين أو مكدسين في غرفة، في الغالب لا تستوعبهم و لكن كما يقال (التساع فالخاطر).سألنا المراهقين و المراهقات عن السن التي كفوا فيها عن النوم بمعية الوالدين فكانت النتائج كالتالي :

الفئات العمرية / حدود النوم مع الوادين	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
من 0 إلى 5	5	10	11	9	35	%8.75
من 6 إلى 10	57	63	102	104	326	%81.5
أكثر من 10 سنوات	18	7	7	7	39	%9.75
المجموع	80	80	120	120	400	%100

إن النوم مع الوالدين في غرفة واحدة، قد يبدوللوهلة الأولى بسيطاً، فكثير منا ولأسباب متعددة يفضل أن ينام أطفالهم معهم في الحجرة ذاتها و على سرير واحد حتى يصلون سن البلوغ . يتمتع الأطفال بذكاء كبير حتى في مراحل الطفولة الأولى أي في عمر السنتين، كما أنه معروف لدى كل الآباء و الأمهات أن أغلب الأطفال قد يستيقظون في أية لحظة من نومهم وهنا تكمن الخطورة، فقد يستيقظ الطفل في لحظة غير مُتوقعة وقد يرىأو يسمع ما قد يؤثر في شخصيته و بشكل سلبي طيلة حياته .
إن انفصال الطفل عن أمه ونومه و مغادرة غرفة الوالدين إلى مكان مستقل أو غرفة خاصة هو حدث وتطور طبيعي في حياة الطفل، و هوحدث مُرتقب إما عاجلاً أو آجلاً. إنه الفطام الثاني حيث تبدأ المسافة في الاتساع بين الأم والطفل. إنه فطام نفسي بعد فطامه من الرضاعة وهو أحد الخطوات المهمة في بداية إحساس الطفل بذاته واستقلاليته، و لكن قد تكون عملية الفطام صعبة على الأم أكثر من الطفل، لأنه هو المحدد لوجودها، وهي تعمل على الإحتفاظ به قريبا منها و لا تسمح له بالكبر، لأنه دائما يبقى طفلا بالنسبة لأمه، لهذا نعاود القول و نذكرأن الأضرارالتي تُلحقها التربية التقليدية للآباء تعيق بشكل كبير كل المجهودات التربوية التعليمية التي تقوم بها المؤسسات الأخرى و على رأسها المدرسة .
يجب على الآباء و الأمهات أن يدركوا أن الحنان و العطف و الحب يحتاج إلى نظام و تفكير حتى لا يتحول أو يؤدي عكس وظائفه، لنكف ،إذن، عن حب أبنائنا حبا مرضيا .
احترام الطفل هو عدم تعريضه لما قد يؤثر سلبا في نموه الوجداني أوالنفسي،و للأسف الشديد غالبا ما

نقوم بأفعال لا يجب أن يراها الطفل و لكننا لا نقيم له أي اعتبار و كأنه غير موجود(إنه طفل فقط ما زال لا يعرف شيئا)، هذه بلادة نمح أنفسنا بها حق عدم احترام الطفل .

قد لا تظهر أعرض الإساءة للطفل في زمن حدوث الضرر ولكنها سظهر لاحقا في اضطرابات نفسية و عقلية و حتى جسدية و سيكون من الصعب تقويم إعوجاج نحثة الزمن في شخصية الطفل .

إن النوم المستقل للطفل يعطيه الفرصة الكافية للتغلب على مخاوفه و في نفس الوقت مواجهتها و التغلب عليها و أول خوف يحاربه الطفل هو الخوف من الظلام.

تظهر كذلك معالم التربية التقليدية في علاقة الآباء و الأمهات بأبنائهم،هل يلعبون معهم ؟،هل يستمعون اليهم ؟هل يعززون ثقتهم بنفسهم؟هل يمتلكون من الزمن ما هو خاص بالأطفال؟و هل يملكون من الحكمة ما يجعل فعلهم يُثمر في هذا الزمن؟ يمكن أن نستنتج طبيعة العلاقة باعتماد المعطيات المُقدمة من الأس، و لكن سنكون غير أوفياء لقاعدة الانطلاق و هي معرفة المراهقة من المراهقين والمراهقات أنفسم، لهذا سنحاول، أولا معرفة تقويم المراهقين و المراهقات لطبيعة العلاقة بين اللآباء و الأمهات.

الفئات العمرية / العلاقةبين الآباء	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب %
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث		
شجار دائم	19	20	68	54	161	%40.25
أحيانا	20	15	13	9	57	%14.25
علاقة جيدة	41	45	39	57	182	%45.5
المجموع	80	80	120	120	400	%100

لا حوار بدون امكانيات سواء بين الآباء والأمهات أو بين الوالدين و الأبناء. إن الحوار ثقافة و أسلوب حياة، محاورتنا لأنفسنا و الآخرين و العالم هي الأساس الذي نبني عليه انسانيتنا و من خلاله ندرك الأفعال المطلوبة منا و طريقة فعلها في نفس الوقت . صرحت نسبة 45.5 % على أن العلاقة بين الوالدين جيدة، لكن ماذا تعني الجودة هنا؟،هل تعني وجود الحوار أم أنه غائب حتى أنه لا يمكن أن يكون هناك شجار؟، نقول هذا لأن الزمن لا يكفي الإنسان القروي لتدبر متطلبات العيش، و طرق تحقيق دخل معين غالبا ما تقوم على المجهود الجسدي، وتعمل مثل هذه الظروف على إعاقة الحوارات الممكنة . لا الزمن يكفي و لا العقل يستطيع أن يبني الحوار داخل الأسرة. نعود لنقول أن الفقر و الجهل هما القوة المدمرة للشعوب إن لم يمتلكوا العقل لمحاربتها.

أصبح من حق الأسر على الدولة أن تُعرفها بطرق تدبير الرأسمال البشري الذي هو الأبناء، و أن تزودها بالإمكانيات المعرفية و المادية لفعل ذلك، و كل هذا من أجل الطفل، مستقبل الوطن و بالتالي المواطنين. لنتعرف على الأسرة في مجال البحث، خاصة طبيعة علاقتها بأبنائها المراهقين و المراهقات، سألنا الفئة المبحوثة عن أنواع العقاب الذي قد يُمارس عليهم من طرف الأسرة، و هذا قد يوضح الكثير من الإساءات التي لا يُدركها الآباء ولا حتى الأبناء، إذ تتحول الإساءة إلى سلوك اعتيادي و هذا هو الخطير في الأمر. كيف تتم معاقبة المراهق والمراهقة في منطقة البحث، و هي منطقة قروية أساسها الأسرة الممتدة التي تسمح لسلطة الجد أن تقلل من عقاب الوالدين ؟

الفئات العمرية / طبيعة العقاب	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث		
الضرب	30	35	10	16	91	%22.75
الطرد من المنزل	00	00	4	00	4	%1
الكلام الجارح	43	40	96	102	281	%70.25
لا أعاقب	7	5	10	2	24	%6
المجموع	80	80	120	120	400	%100

يمكن أن نُعرف العنف على أنه كل فعل نقوم به و نعتبر الآخر متلقي فقط لهذا الفعل، العنف تشيء للإنسان وعدم إعتراف بكرامته و بحقه في الحوا، إنه تهميش و إقصاء، و يمكن أن يأخد تجليات مختلفة مثل الضرب، الاهانة، الاحتقار، الكلام الجارح و الحاط من الكرامة الإنسانية، النقد المُراد من ورائه التجريح واحداث الضرر النفسي بالغير. لنحارب العنف علينا اعتماد الحوار و لكن ما هي امكانية الأسر لفعل ذلك؟، وإن لم تكن قادرة على هذا النوع من الأفعال فمن الضروري العمل على اكسابها هذه المهارة الضرورية للتربية و للحياة الإنسانية بشكل عام . أزيد من 70 %من المراهقات و المراهقين يعانون من الكلام الجارح الذي يتمثل في السب و الشتم واعتماد الكلمات التي تحط من قيمة الإنسان وتُحطمه في نفس الوقت. العنف الأسري هوالإساءة الأسرية وهي بشكل عام كل التصرفات المسيئة للطفل و الصادرة من قبل الوالدين، و قد يكون إما اعتداء جسديا كالضرب، والركل، والعض، والصفع، والرمي بالأشياء وغيرها. أو التهديدالمتمثل في،السيطرة أوالاستبداد أوالتخويف و الترهيب أوالملاحقة والمطاردة. و يمكن أن يأخد العنف الأسري طابع الإهمال أيعدم تحمل الآباء نفقات أبنائهم أو هجرانهم بشكل كلي أو متقطع .

غالبا ما يكون اللآباء والأمهات قدوة لأبنائهم في كل فعل أوتصرف، لأنهم يفعلون مثلما نفعل .يتحدثون كما نتحدث و يفكرون كما نفكر ويغضبون كما نغضب، من ينشأ على العنف سيعيد إنتاجه مستقبلا، لأنه يتشرب كل الأفعال من الوالدين. يقتضي هذا التقليدأوالتعلم عبرالمحاكاة، من البالغين أي الآباء و الأمهات أن ينتبهوا لطريقة القيام بأفعالهم لأنهم قدوة للأبناء و يجب أن تكون قدوة صالحة ، ليس بالمعنى الفقهي ولكن بالمعنى العلمي للفهم الذي يقوم على التفكير قبل الفعل .

لندربهم على الأخلاق أي قواعد الفعل والتصرف، ونعلمهم سوء بذاءة اللسان، لنراقب ألسنتنا وألسنة أولادنا و ليكن خطابنا خطابا يبني لا يهدم، يُعزز الثقة بالنفس و لا يُفقدها، لأن البيت الذي يعلوه الصراخ والسب والشتم لن ينتج الا مزيدا من التخلف والجهل والتعصب. لنخاطب أبناءنا باحترام ولنعترف جميعا أن لا أحد يقبل الاهانة و إن فعل فعلى مضض.

يتعرض أغلب المبحوثين والمبحوثات البالاهانة اللفظية وهي نوع من أنواع العنف النفسي وتشمل استخدام اللغة قصدالاساءة للطفل، و هذا يؤدي و ظيفة تدميرية للانسان وهدرللرأسمال البشري لأننا نجعل الطفل عاطلا عن القدرة على الفعل السليم و المنطقي .

إذا كان هذا هو الوضع الذي ينموفيه المراهق : أمية و فقر ينتج عنها بالضرورة غياب الحوار، فمن يستمع للمراهق و المراهقة، مشاكلهما، أحلامهما، مخاوفهما؟ لنعطي فرصة للمراهقات و المراهقين حتى يخبروننا عن كيفية تدبرهم لأحلامهم، مشاكلهم و أشياء أخرى كثيرة.

الفئات العمرية / المُستمع	من 10 على 14		من 15 على 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
الأب	00	00	3	2	5	%1.25
الأم	00	00	15	21	36	%9
الإخوة	00	00	00	00	00	%00
الأصدقاء	36	25	32	36	129	%32.25
المدرسين	00	00	00	00	00	%00
لا أحد	44	55	70	61	230	%57.5
المجموع	80	80	120	120	400	%100

يظهر و كأن المراهقين و المراهقات فقدوا الثقة في المؤسسات الأسرية و التعليمية، خاصة فئة المدرسين حيث بلغت نسبة استماعهم للمراهقات و المراهقين 00 % و سنتبين أسباب هذا لا حقا .

يستمع المراهقون لبعضهم البعض و يتقاسمون المعلومات التي يحصلون عليها إما من بالغين أو من وسائل الاعلام بكل أنواعها.يرفض المراهق الحوار مع المدرس أو الوالدين ليس رغبة منه في الابتعاد و لكن نظرا لفوقية الحوار الذي غالبا ما يكون البالغ جالسا والمراهق أو المراهقة واقفا، و هذا يعكس سلطة البالغ على المراهق فهو أعلى مرتبة منه، و هذا غالبا ما يؤدي إلى التمرد والعناد و العصيان. قد نتحدث إلى المراهق و هو جالس و نحن واقفون، و هذا إعلان لقوة البالغ و هيمنته و ضعف المراهق.يُرسخ هذا النوع من الحوار الخوف و اضطرابات أخرى تلحق شخصية المراهق أو الطفل بشكل عام . يقتضي الحوار المساواة و الندية و الاقتراب، غيرأن المراهق لا يجد هذه الخصائص إلا في الأصدقاء، وهذا أمر طبيعي لأن الصداقة هي التي تعكس حرية الإنسان، فالطفل لم يختر والديه ولا لغته، و لكن يستطيع أن يختار أصدقاءه، لهذا يحس بالحرية مع أقرانه رغم أنهم قد يمدون بعضهم البعض بمعلومات حياتية خاطئة. أمر جيدان يتعلم المراهقون من بعضهم البعض و لكن ذلك لا يمكن الا بمعية بالغ مسؤول يستطيع أن يستمع و يفهم و يساعد، دون تهكم أو إدلال أو احتقار، لأن أي فعل قائم على عدم الاحترام يُحطم كل العملية التواصلية و قد تُؤدي عكس الأهداف المنتظرة منها .

غياب الحوار يعني حضور العنف، والمراهقون والمراهقات أكثر تمردا وعصيانا في هذه المرحلة و هذا يجعلهم في صراع دائم مع آبائهم وأمهاتهم و حتى إخوانهم الكبار في السن، و الذين يلعبون دور الآباء بمباركة من الوالدين أحيانا، خاصة عندما يتعلق الأمر بترية الأخ الأكبر لأخوانه الأصغر منه .

لنعمق معرفتنا بالعلاقة التي تربط بين المراهقين والمراهقات و أسرهم، حاولنا أن نعرف مواقع التأثر و الصدام داخل العائلة، سألنا المبحوثين و المبحوثات لنعرف مع من يتشاجرون أكثر في منازلهم و كانت الاجوبة على الشكل التالي :

الفئات العمرية / أطراف الصراع	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث		
الأب	15	3	83	13	114	%28.5
الأم	56	28	30	35	149	%37.25
الأخ الأكبر	9	49	7	72	137	%34.25
المجموع	80	80	120	120	400	%100

عدم معرفة الأسر للمراهقين والمراهقات ولخصوصية المرحلة التي يمرون منها يُعَقد عملية التواصل و يجعل أساسها مختلا، ليغيب التواصل ويحل محله العنف بكل أشكاله و تسود علاقة صدامية بين المراهقين و كل الأفراد الذين يعيشون في نفس المحيط الذي يعيشون فيه.

إن تشديد المراقبة وكثرة محاسبة المراهقين والنقد الدائم لكل أفعالهم وتصرفتاهم يجعلهم يُبدون نوعا من المقاومة لكل الأوامر الصادرة عن البالغين . يعاندون و يرفضون و يحتجون و يطالبون بالحوار و هذا جزء من خصائص هذه المرحلة العمرية، لكن الآباء و الأمهات لا يدركون ذلك و تكون كل تدخلاتهم أوامر، إما تفيد منع فعل ما أو القيام به بطريقة ما وغالبا ما لا تقبل أوامر البالغين النقاش أوالاعتراض، و كأن شعار البالغين هو :أفعل كما أُمرت دون استفسارات، الخطير في الأمر هو تعدد السلط داخل الأسرة،الأب ،الأم ،الأخ الأكبر ثم الجد أو الخال أو العم، وعندما يغيب النظام بين هذه السلط و لا تقوم على أساس تربوي سليم تكثر وسائل الضغط على المراهق الذي قد يجد نفسه يقوم بأفعال دون اقتناع أو فهم، و يعتبر هذا من الصفات السلبية للعائلة الممتدة التي يصعب فيها تتبع المراهقين و المراهقات بشكل علمي لتحضر المراقبة البوليسية التي تجعل المراهق، أحيانا يحس و كأنه محاصر أو سجين أو عبد و

هذا يظهر عندما يشك المراهق في أنه ابن فعلي لوالديه، فنراه يسألهم في موجات غضبه :هل أنا ابنكم فعلا ؟، يتحول الحنان و الحب الأسري و يأخذ أبعادا أمنية قصد المحافظة على كرامة و هبة العائلة لتصبح العائلة هدف في حد ذاته و الأعضاء و سائل وظيفتها المحافظة على نمط من العيش و ثقافة لا تسمح بالحرية و الإبداع و التفكي، بقدر ما تعمل على ترسيخ عادات و تقاليد معتمدة في ذلك تربية تقوم على القهر .

يُعتبر المراهق و المراهقة جزء من اليد العاملة التي تتوفر عليها العائلة الممتدة وعليهم أن يساهموا في الدخل العام للعائلة، على الجميع أن يشتغل كل حسب طاقته دون الإهتمام بالأعمال الحياتية الأخرى كالدراسة و اللعب مثلا. في الوسط القروي يعتمد الناس كثيرا على أبنائهم في الفلاحة و الرعي و النسيج و هذه العمليات تتطلب زمنا غالبا ما يؤخد من زمن التمدرس، لأنه لا يدخل ضمن أولويات الإنسان القروي . تشغيل الأطفال وخاصة الفتيات منهم ظاهرة منتشرة في منطقة البحث بشكل كبير، خاصة إذا علمنا أن المنطقة مشهورة بالنسيج و زراعة الزعفران و تربية الماشية و كل هذه الانشطة تتطلب يد عاملة كثيرة و مدة زمنية كبيرة . إن تشغيل الأطفال عامل أساسي في انقطاعهم عن الدراسة و بالتالي ارتفاع نسبة الهدر المدرسي و بشكل خطير. رغم المساعدات التي تقدم لبعض الأسر في المنطقة و المتمثلة في برنامج تيسير للتحويلات المالية المشروطة مازالت ظاهرة تشغيل الأطفال تقف كعائق أمام التنمية البشرية الفعلية، لهذا علينا التفكير في رفع التعويضات التي يتلقاها الآباء عن أبنائهم المتعلمين و في الوقت ذاته تعميمها على كل الجماعات القروية الأخرى، لأنها تعاني من الفقر و هشاشة الموارد الطبيعية، وهذا باعتراف كل مؤسسات الدولة و كذلك بعض المنظمات غير الحكومية . يستغل اللآباء والأمهات أبناءهم المراهقين والمراهفات في أعمال لم يمتلكوا بعد الإمكانيات الجسدية و العقلية و النفسية للقيام بها، إننا نسرق الطفولة من الأطفال والمراهقة من المراهقين و المراهقات عبر تكليفهم بمهام تخص البالغين و لا تعني للمراهقين والمراهقات شيئا . الأطفال يدعاملة مهمة في منطقة البحث و هذا و ما يظهره الجدول التالي :

الفئات العمرية / العمل و الدراسة	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	67	56	96	101	320	%80
لا	13	24	24	19	80	%20
المجموع	80	80	120	120	400	%100

جدول يحدد أنواع الأعمال التي يقوم بها المراهقون و المراهقات في منطقة البحث.

الفئات العمرية / مجال الشغل	من10الى14		من15غلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
الفلاحة و الرعي	60	00	76	00	136	%42.5
النسيج	00	56	00	101	157	%49.06
التجارة	7	00	20	00	27	%8.44
المجموع	67	56	96	101	320	%100

80 % من العينة المبحوثة تُزاوج بين العمل و الدراسة. نعرف أن الدولة تحارب تشغيل الأطغال أوعلى الأقل تحاول خاصة في المدن أو الوسط الحضري، لكن كيف ستحمي الطفل القروي من فقر الوالدين و ضعف مدخولهما الذي يدفعهما إلى تحويل أبنائهم إلى يد عاملة قبل أن تكون فعلا قادرة على العمل . إن المنح المقدمة عبر برنامج تيسير للتحويلات المالية المشروطة هزيلة جدا وغيرمُعمة و محددة في الزمن ، على المعنيين بالأمر التربوي في هذا البلد العمل على الرفع من قيمة هذه التعويضات وتعميمها على الجماعات الخمس، فحتى الجماعة الحضرية الوحيدة تحتاج لهذه المساعدات أو الدعم، خاصة أن كل منطقة البحث صُنفت ضمن المناطق الفقيرة و هي تعرف نسبا كبيرة في الهدرالمدرسي وبالتالي تعيق وثيرة التنمية التي نستهدفها في كل الوطن .

الطفولة مرحلة حساسة، تقتضي من المجتمعات حماية حياتها والمحافظة علىمستقبلها كلما تعرضت للاختلال، هذا ما جعل الأمم المتحدة توليها اهتماما خاصا من خلال تشريعات عدة، فقد أصدرت في عام 1989 اتفاقية حقوق الطفل التي عرفت الطفل على أنه كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره

وأكدت على ضرورة السعي لحماية الطفل من الاستغلال الاقتصادي، ومن أداء أي عمل يُرجح أن يكون خطيرا أو يُمثل إعاقة لتعليمه أويُشكل ضررا بصحته أو بنموه البدني أو العقلي أو النفسي أو الاجتماعي، وأوجبت على الدول الأطراف فيها اتخاذ التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية والتربوية التي تكفل هذه الحماية، وبشكل خاص وضع حد أدنى لسن الالتحاق بالعمل ونظام ملائم لساعات العمل وظروفه، وفرض عقوبات لضمان فعالية تطبيق هذه النصوص.ومن خلال اطلاعنا على مقتضيات الاتفاقية تبين لنا أن الطفل القروي لا يتمتع بأغلب هذه الحقوق، إن لن نقل كلها. لكل طفل الحق في الحياة وعلى الدولة أن تعمل على تهييئ الظروف التي تمكن الأطفال من البقاء والنمو بشكل سليم . في الوسط القروي، يظل دور الدولة جد محدود في العمل على تطبيق هذا الحق، اذ يلاحظ شبه انعدام لمراكز صحية في هذه المناطق و عدم جاهزية المؤسسات التعليمية،غياب الطرق أوعدم صلاحيتها، الفقر و هشاشة المواردالطبيعية. مثل هذه الظروف لا تصنع إلا التخلف والجهل وتهميش الدولة لهذه المناطق و تجاهلها لن يزيدنا إلا تخلفا وجهلا و هدرا للرأسمال البشري .

لقد تم تحديد الأعمال التي لا يجب أن تُسند للطفل و للمرأة و من هم من ذوي الاحتياجات الخاصة كما يلي :

1أشغال التشحيم والتنظيف أثناء عملية فحص وإصلاح الأجهزة الميكانيكية عندما تكون في حالة اشتغال.

2استخدام الآلات التي تشغل باليد أو بواسطة محرك ميكانيكي، ولا تتوفر الأجزاء الخطيرة منها على ما يلزم من وسائل الوقاية.

3خدمة الحنفيات البخارية.

4طرق وتمطيط القضبان المعدنية وترقيقها.

5الأشغال التي يتوقف إنجازها على:

إقامة هياكل خشبية أو معدنية متحركة من أجل ترميم وتنظيف المنازل.

نصب هياكل خشبية أو معدنية ثابتة تستعمل في صناعة البناء والأشغال العمومية.

6الأشغال التي تنجز فوق السطوح.

7أشغال الهدم.

8إذابة الزجاج.

9استخدام الآلات بمعامل الزجاج، حيث يتم صنع القنينات بالطرق الميكانيكية.

10تمديد أنابيب وقضبان الزجج.

11كل شغل قد يعرضهم للإشعاعات

12الأشغال التي تنجز في قنوات الصرف الصحي.

13الأشغال التي تنجز في المدابغ.

14أشغال إنتاج الكهرباء وتحويلها وإرسالها وكل قوة محركة كيفما كان نوعها.
15أشغال جمع النفايات ومعالجتها.
16تصنيع المتفجرات ونقلها.
17إنتاج ومناولة مبيدات الطفيليات والحشرات والأعشاب.
18أشغال تسطيح الأرض.
19الأشغال التي تنجز في الهواء المضغوط.
20أشغال الصباغة التي تستعمل فيها مواد كيماوية خطيرة

21الأشغال التي تستعمل فيها مواد الحرير الصخري أو تحتوي على مادة البنزين.
22أشغال ذبح الحيوانات في المجازر.
23تصنيع واستخدام وبيع كتابات أو مطبوعات أو ملصقات أو رسوم أو نقوش أو لوحات أو شعارات أو صور أو أشياء أخرى يعاقب على بيعها أو تقديمها أو عرضها أو إلصاقها أو توزيعها بموجب القانون الجنائي لتعارضها مع الآداب العامة، أو لكونها مضرة بطبيعتها بأخلاق الأطفال، ولو لم تكن موضوع تجريم بموجب القانون المذكور.
24الأشغال التي تتم داخل الحانات والخمارات أو دور الألعاب.
25أشغال أو أنشطة تعرض لعوامل بيولوجية خطيرة.
26أشغال تنجز في أجواء شديدة الحرارة أو البرودة أو الرطوبة.
27الأشغال التي تتم بواسطة أمشاط يدوية في صناعة الدوم.
28الأشغال التي تتم بآلات تستعمل في الصناعات الخشبية.
29الأشغال التي تنجز بمقصات ميكانيكية حادة وكل شغل ينجز بآلات ضاغطة كيفما كانت طبيعتها، غير تلك التي تحرك باليد.
30العمل بالشغل المؤدى.
31مختلف الأشغال المنجزة في باطن الأرض.
33الأشغال التي تنجز في ظروف تتسم بالضجيج والذبذبات المؤذية.
المادة الثالثة:يمنع تشغيل كل طفل يقل سنه عن ثمانية عشرة سنة في الأشغال التالية التي تتطلب حمل أو دفع أو جر أثقال تفوق الأوزان المحددة في هذه المادة.

حمل الأثقال:
المستخدمون الذكور
الأطفال البالغة سنهم خمسة عشرة سنة 15 كيلوغراماً.
الأطفال المتراوحة أعمارهم بين ستة عشر سنة وسبعة عشرة سنة كاملة: 20 كيلوغراماً.
المستخدمون الإناث
الفتيات البالغ سنهن خمسة عشرة سنة: 8 كيلوغرامات.
الفتيات المتراوحة أعمارهن بين ستة عشرة سنة وسبعة عشرة سنة: 10 كيلوغرامات.
2دفع أو جر الأثقال:
دفع أو جر عربات تسير فوق سكك حديدية
الأطفال المتراوحة أعمارهم بين خمسة عشرة سنة وثمانية عشرة سنة: 500 كيلوغرام، بما في ذلك

وزن العربة.
الفتيات البالغ سنهن خمسة عشرة سنة: 300 كيلوغرام، بما في ذلك وزن العربة.
دفع أو جر نقالة بعجلة
الذكور: 40 كيلوغراما.
الإناث: 25 كيلوغراما.
دفع أو جر عربة بثلاث أو أربع عجلات.
الذكور والإناث: 60 كيلوغراماً.
دفع أو جر عربة نقل باليد بعجلتين.
الذكور المراوحة أعمارهم بين خمسة عشرة سنة وثمانية عشرة سنة: 130 كيلوغراما بما في ذلك وزن العربة.
الإناث المتراوحة أعمارهن بين خمسة عشرة سنة وثمانية عشرة سنة: 80 كيلوغراما، بما في ذلك وزن العربة.
دفع أو جر دراجة نقل ثلاثية العجلات بدواسة.
المستخدمون الذكور
أقل من ستة عشرة سنة: 50 كيلوغراما، بما في ذلك وزن العربة.
أقل من ثمانية عشرة سنة: 75 كيلوغراما، بما في ذلك وزن العربة.
المستخدمون الإناث:
أقل من ستة عشرة سنة: 25 كيلوغراما، بما في ذلك وزن العربة.
أقل من ثمانية عشرة سنة: 50 كيلوغراما، بما في ذلك وزن العربة.
المادة الرابعة
يمنع تشغيل النساء في:
1المقالع وفي الأشغال الجوفية التي تؤدى في أغوار المناجم.
غير أن هذا المنع لا يسري على النساء اللواتي يشغلن مناصب الادارة والتسيير.
يشتغلن في المصالح الصحية والاجتماعية.
يدعون، بصفة عرضية، للنزول إلى أغوار المناجم لمزاولة أشغال غير يدوية.
2الأشغال التي قد تعرضهن للسقوط أو الانزلاق، وكذا الأشغال المنجزة في وضعية تربع أو انحناء دائم.
3أشغال أو أنشطة تستعمل فيها مادتي الحرير الصخري والبنزين أو في أي نشاط يعرضهن لمواد كيماوية خطيرة. (نشر في الاتحاد الاشتراكي يوم 07 - 02 – 2011)

كانت هذه بعض الأعمال التي لا يجب أن تسند للطفل والمرأة و من هم من ذوي الاحتياجات الخاصة، غير أن الطفل القروي ما زال يقوم بأغلب هذه الأعمال و المطلوب من الدولة هو تفعيل القوانين قصد حماية الطفولة بشكل خاص و المحافظة على الإنسان بشكل عام، خاصة في المناطق القروية التي يعتبر حظها من التهميش والاقصاء أكبر من حظها من التمتع بحقوقها . لا يمكن أن نتعامل مع الطفل وفق المقتضيات السابقة الا إذا أعدنا تربية أنفسنا على ثقافة حقوق الإنسان و تشبع كل فعل من أفعالنا بالعقلانية الضرورية للحياة، لأنه يصعب أن يحمي فرد أو مؤسسة الطفل من كل أشكال الإساءة لأنها

تحدث في فضاءات تصعب مراقبتها، والأطفال لا يدركون حتى معنى الإساءة ليعرفوا أنه تمت الإساءة اليهم .داخل الأسرة يقع كل شيء أساسي في شخصية الطفل، إنها الخلية الأولى للانتاج وعلينا مساعدتها لتُحسن أداءها لهذه الوظيفة . مراهقون و مراهقات، أطفال ليس لهم من إمكانيات الحياة ما يكفي ليحققوا العيش الكريم في أبسط تجلياته، تُحسهم يقولون لا نريد فقط أن نحلم بالحياة بل نريد أن نحيا،و هذا حق تضمنه كل التشريعات الإنسانية .كيف ننتقل بهم إلى برالكرامة و العلم و المعرفة ؟.

ليست هناك خيارات كثيرة، لأن أساس كل إصلاح هو التربية والتعليم، وهذه المرة نريد أن ننطلق فعليا من الأسرة لا من المدرسة . منازلنا لا تساعد على المعرفة وغير مجهزة لهذه العملية .تستفزنا الكتب إن كانت مجاورة لنا و توقظ فضولنا و ترغمنا يوما على فتحها و يوما آخر على قرائتها و بعد زمن، لما لا إنتاج مثلها أو أفضل منها، لكن المراهق في منطقة البحث ليس له هذا النوع من الجوار و بالتالي لا يمكن أن تنشئ صداقة بينه و بين غريب،نقول هذا لأنه غريب نوعا ما أن تدخل بعض المنازل في الوسط القروي وتجد فيه خزانة كتب أوعلى الأقل كتاب، علما أن هذا ليس حكرا على القرية فقط .

يعمب الجدول التالي على توضيح ذلك:

الفئات العمرية / خزانة كتب	من 10 إلى 14		من 15الى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	3	2	5	4	14	%3.5
لا	77	78	115	116	386	%96.5
المجموع	80	80	120	120	400	%100

أمر محزن بالفعل أن تُعبر نسبة 96.5% بأنهم لا تتوفرون على خزانة كتب في منازلهم، كيف يمكن للعلم أن يجد لنفسه حيزا مكانيا في بيت مُهيء لاستقبال كل الأفعال إلا الفعل العقلي . لا يعني هذا أن الوسط القروي أصبح يعتمد المعلومة الالكترونية أكثر من المعلونات الورقية، و لكن المعلومة أو الفكرة غير حاضرة بالمرة سواء الالكترونية منها أو الورقية، فقد صرح المبحوثون أن منازلهم لا تتوفر كذلك على الربط بالأنترنيت. هذامجال مغلق و غير منفتح و لن ينتج إلا التعصب مستقبلا.

الفئات العمرية / الانترنيت	من 10الى 14		من 15الى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	9	4	17	15	45	%11.25
لا	71	76	103	105	355	%88.75
المجموع	80	80	120	120	400	100%

يظهر أن الأنترنيث نافد للمنزل أكثر من الكتاب و هذا يخيف لأن القفزعلى بعض المراحل التعلمية وعدم التشبع بالقيم و الحقوق الإنسانية قد يجعل الضرر أكثر من الإستفادة .هو الحصار إذن، و لابد من رفعه ليستقيم الفعل التربوي داخل الأسرة أولا قبل أن ننظر إلى المؤسسات التعليمية .

تظهر المراهقة، في ظل هذه المعطيات، كزهرة جميلة تُوضع في مزهرية قبيحة جدا . لاشيء مما رأيناه يمكن اعتباره مؤشرا على أن الأسرة تقوم بوظائفها كما تقتضي روح العصر، تربية تقليدية بكل المعاني تعمل على إعاقة النمو الطبيعي و السليم للأطفال و بالتالي تعيق كل المشروع التنموي الوطني .

أردنا أن نعرف مدى تقبل المراهقين و المراهقات لأوساطهم الأسرية فسألناهم عن نمط الحياة الذي يحبونه :هل تحبون العيش مع أسركم أم مع الاصدقاء أم وحدكم ؟. كان الجواب متوقعا فالكل يريد أن يعيش بعيدا عن الأسرة و اكراهاتها و تسلطها .

الفئات العمرية / العيش مع	من 10الى 14		من 15 إلى 19		المجموع	%النسب
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث		
الأصدقاء	20	34	98	87	239	%59.75
الأسرة	50	36	20	15	121	%30.25
وحدي	10	10	2	18	40	%10
المجموع	80	80	120	120	400	%100

عندما يتحول المنزل إلى مكان تُساء فيه معاملة الأطفال، يحلم المراهقون بالعيش مع من يتفهمهم، و لا أحد يفهم المراهق إلا المراهق، لذا نراهم يفضلون جماعتهم على جماعة البالغين ليتحرروا من كل الإكراهات التي تحول بينهم وبين ما يريدون . إن سلطة الأسرة عائق يرسم طريقا آخر للمراهق غير ذلك الذي يختاره هوبنفسه، قد يختار الآباء لأبنائهم لباسهم و حلاقة رأسهم و تخصصهم المدرسي و أشياء أخرى كثيرة، دون أن نتساءل عن دور المراهقين و المراهقات في صناعتهم لشخصيتهم، ما حظهم من الحرية التي تنص عليها كل التشريعات ؟.

أمام وضع كهذا، يصبح الهروب من المنزل من المظاهر المحتملة في مرحلة المراهقة، و ليس من المنزل فقط لأنه قد يهرب من دينه و ثقافته و لغته و هويته و وطنه بشكل عام، لأن الهروب مُتنفس في ظل محيط إجتماعي أو عائلي فاسد أو لنقل غير سوي.
الهروب علامة على القهر و مؤشرقوي على سوء التربية سواء الأسرية أو المدرسية. لماذا يفر المراهق من كل ما يشكل أناه، أو بتعبير أفضل لماذا ندفع بالمراهقين و المراهقات للهروب من المنزل و المدرسة و أحيانا الهوية بشكل عام ؟.لا أحد قد يهرب من مكان يُحس فيه بالراحة و الاحترام و توفر الشروط الضرورية للحياة، لهذا علينا أن ندرك أن أطفالنا يطلبون الاحترام و هو إعتراف بانسانيتهم، و بالتالي حقوقهم التي لا يمكن أن يتحققوا إلا من خلالها . دائما يطل علينا الفقر والأمية كسببين أساسين لكل معاناة المراهقين و المراهقات. ما كان أساسه مختلا يتطلب الهدم وإعادة البناء، لكن كيف نهدم الإنسان

و نعيد بناءه؟ليس الإنسان حجرا نعيد صقله أو مرآة نعيد ترميمها أو منزلا نعيد تدعيم أركانه، إنه كائن حي مفكر و واع، لهذا قلنا سابقا أن ما لم نصلحه من أضرار لحقت شخصية الطفل في زمن حدوثها قد يصعب إصلاحها بعد ذلك و نقول يصعب، لأن الأمر سيتطلب المعالجة النفسية و من أخصائيين. إن إصلاح الأسرة أساس إصلاح المنظومة التعليمية و الوطن ككل، وهذا يعني إعادة تأهليها و تربيتها لتكون الفضاء الذي تُشرق فيه شخصية الطفل بشكل أصيل دون خوف أو رعب أو إرهاب .

إن المراهق أو الطفل ملك لوالديه، عبد عليه السمع و الطاعة و قبول الوصاية التي يمارسها الآباء و الأمهات، دون أن يكونوا مسلحين بالعلم و المعرفة. من علامات الحرية فعل الإختيار، إذ لا يمكن أن نتحدث عن الحرية إن غاب فعل الاختيار، و المراهق في منطقة البحث لا يُشجع على هذا الفعل الدال على الحرية، لنحاول أن نتبين ذلك من خلال الجداول التالية :

الفئات العمرية / الحرية في		من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
		الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
اللباس	نعم	63	13	103	35	214	%53.5
	لا	17	67	17	85	186	%46.5
الحلاقة	نعم	34	00	37	6	77	%19.25
	لا	46	80	83	114	323	%80.75

تقوم حياة المراهقة على التجارب التي يكتسبها من الأفعال التي يقوم بها، و الفعل مشروط بالحرية، و يحتاج دائما للتقويم و التعديل. يرى الفيلسوف "هيغل"أن وظيفة اللباس هي إعطاء دلالات لأجسادنا، فعندما نختار هذا النوع من اللباس أو الألوان أو الترتيب فنحن نبلغ رسالة لأنفسنا وللآخرين، و لكن للأسف غالبا ما تفهم الرسالة بشكل خاطئ الشيء الذي يُؤزم العلاقة بين المراهقين وأسرهم .

يريد البالغ من المراهق لباسا يحترم النظام العام و القيم الدينية و الثقافية، و بالتالي فهو يرفض نوعا من اللباس و يقبل بآخر و القبول أو الرفض يقوم على التمثل للباس في حد ذاته. اللباس القصيروغير المحتشم و الضيق يجعل المراهقة تبلغ رسالة أنها منحرفة أخلاقيا،هكذا هي تمثلاتنا للباس، و ملابس فضفاضة أو مُظهرة لجزء من عورات المراهقين قد تحمل رسالة أنهم منحرفون أو شواد جنسيا، كما أن لباسا تقليديا كالجلباب قد يعني الإيمان و حُسن الاخلاق. ليست وظيفة هذا العمل إفساد أخلاق المراهقين و المراهقات، ولا هو دعوة للباس غير منسجم مع قيمنا الدينية و الثقافية، و لكنه دعوة للحوارمع المراهقين و المراهقات ليفهموا معنا اللباس و كيفية الإختيار ولباس ما يريدون دون أن يكون هناك

إخلال بالآداب العامة .اللباس موضة و المراهقون تواقون للجديد المختلف الغريب، و دورنا هو أن نساعدهم على حُسن الاختيار و ليس إغلاق أعينهم حتى لا يُبصرون، يجب أن يفهموا كل ما يحدث من حولهم و علينا إدراك أن التجربة حق إنساني و هي تحتاج بالضرورة إلى حرية مضبوطة من طرف الأسر أولا، ثم كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى .المستهدف كذلك هوإعادة النظر في العدالة الأسرية التي تُقصي المراهقات من دائرة الإنسان من غير وجه حق. يدفعنا هذا إلى التساؤل عن معنى الحق في الحياة و ما معنى هذه الاخيرة، هل يحب أن يحيا المراهق حياته أم أن البالغين يفعلون بأبنائهم ما فُعل بهم؟ لم يختاروا حياتهم بأنفسهم و بالتالي ليس من حق أبنائهم الاختيار أيضا، هذا انتقام و ليس تربية،

لأنه فعل يعيق الحياة، و لنتبين تأثيرات الوضع الأسري على المراهقين و المراهقات، حاولنا أن نبحث عن مؤشرات تُظهر اختلالات في بناء الشخصية من خلال الجداول التالية :

الفئات العمرية / هل قمت بما يلي		من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
		الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
التدخين	نعم	00	00	00	00	00	%00
	لا	80	80	120	120	400	%100
المخدرات	نعم	00	00	00	00	00	%00
	لا	80	80	120	120	400	%100
الرسم	نعم	6	9	12	16	43	%10.75
	لا	74	71	108	104	357	%89.25
كتابة الشعر	نعم	00	00	27	31	58	%14.5
	لا	80	80	93	89	342	%85.5
عزف الموسيقى	نعم	7	00	33	00	40	%10
	لا	73	80	87	120	360	%90
تجربة حب	نعم	3	15	63	81	162	%40.5
	لا	77	65	57	39	238	%59.5

الوصاية التي يفرضها الآباء على المراهقين والمراهقات لا تسمح لهم بأي تجربة، حتى أنه لا هواية لهم. *لكل مرحلة من مراحل نمو الإنسان مميزات خاصة، ومن المهم أن يعيش الفرد تفاصيل أي مرحلة من*

حياته لأنها ستكون مُمهدة للمراحل اللاحقة. تُعد المراهقة من أهم المراحل الحياتية، لأن المراهق يشعر أنه في عالم جديد في أحاسيسه ومتطلباتهه، لذلك نجده يشكو دائماً من عدم تفهم الآخرين له، ومن عدم فهمه هو لنفسه، ونجد عائلته تشكو من تمرده وعدم تنفيذه للأوامر التي تُطلب منه، فهو ما زال في نظرهم طفلً صغيرً يريد أن يتمثل بالكبار وهذاما ترفضه العائلة، فينشأ الصراع الذي قد يزيد المراهق ضياعاً وتمرداً، لذلك لا بد لكل عائلة أن تعرف بدقة أحاسيس وحاجات المراهقين، لتعرف كيفية التعامل مع هذه المرحلة من حياة أولادها والأهم هو مساعدتهم على اختيار هوايات، لأنها هي الجانب المغذي للشخصية بشكل أساسي.

يقول الفيلسوف الألماني "نيتشه" أن الإنسان في وحدته أقرب ما يكون إلى الجنون، فلو استطاع كل إنسان أن يمارس في حياته الخاصة بعضا من هذا الجنون العاقل الذي يطهره، ويجدد حيويته، ويقرب الفرح من روحه المتجهمة، لكان يمارس جنوناً مفيداً يعينه على تحمل همومه و تجاوزها، ويساعده في أن يخفف من ثقل الحياة، دون أن يقترف إثماً أو يرتكب معصية، و هذا الجنون المفيد هو الهوايات التي تسمح لنا ببناء عوالم جديدة و معاني مختلفة و متحررة من كل الاكراهات .

يولد أطفالنا و هم يحملون القدرة على الإبداع و الإستمتاع بكل الفنون وأشكالها المتنوعة، بل هم قادرون على إبداع روائع، لو أتيحت الفرصة لعقولهم أن تُعبر عما يخالجهم و بلغة فنية إما تعتمد اللون أو الصوت، لهذا نقول كم من نابغة قتلناه مبكرا عندما لم نسمح لنبوغه بالظهور و الإكتمال. يعاني المراهق و المراهقة في تازناخت الكبرى من الإهمال وهو غياب للتأطير الضروري للحياة و تنمية الإمكانيات بشكل يتوافق و روح العصر و مطالبه. يصبح الإهمال تقصيرا في الوظائف الأسرية تجاه أبنائها، والتقصير يُنتج نوعا معتلا من الإنسان، غالبا ما لا يمتلك الجرأة على السؤال والإحتجاج و الرفض وحتى الصراخ في بعض الاحيان، كل شيئ يتم في الداخل، كل القضايا تنفجر في الداخل و تُحدث أضرارا هائلة قي شخصية المراهقين والمراهقات. يصرخ المراهق داخليا، و يحب بنفس الشكل و يتمرد و يكره دائما بعيدا عن الآخرين، و دورنا هو إخراجه من هذا الكهف الذي يوجد فيه و ذلك عبر تزويده بالأدوات الضرورية و العمل على دفعه من أجل الإستعمال الجيد لهذه الأدوات، و العمل على تطويرها وفق حاجياته، لأن هذا هو الإبداع و من خلاله يمكن أن نساعد المراهق على الانفتاح عوض العزلة و الإنغلاق على الذات.يتطلب هذا من الأسرإدراك أن هناك تغيرات جسدية و نفسية تصاحب مرحلة المراهقة و هي خاصة بكل جنس على حدة، هذه التغيرات النفسية قد تكون لها تأثيرات على تصرفات و تعامل المراهق، الذي كثيرا ما تتغير عاداته السابقة داخل البيت، وقد يمس سلوكه الجديد علاقته بالأصدقاء و العائلة و المحيطين به بشكل عام.

يدخل الانعزال في بعض الأحيان في هذا الاطار، و هو في الغالب لا يشكل خطورة، بل يعتبر حالة عادية عند المراهقين يجب التعامل معها بنوع من التوازن، غير أنه قد يصبح مقلقاإذا صاحبته عوارض أخرى غير عادية، يمكن أن يلاحظها الآباء، منهاحدة الطباع و طول مدة الإنعزال، مما يستدعي مساعدة خاصة من طرف مختص أو طبيب نفساني لتشخيص المرض و تقديم العلاجاتالضرورية .

يحتاج المراهقون لمن يستمع إليهم و يتقاسم معهم تجاربهم السليمة و المعتلة دون خوف أو حرج أو أي دونية كيفما كانت، حاولنا أن نتعمق في فهم المراهق و تشجيعه على التعبير و كان ذلك يتطلب حضور عنصر الثقة المتبادلة بين المتعلمين و أستاذهم المرافق أو المساعد لهم أثناء تعلمهم الذاتي.

طرحنا عليهم أسئلة محرجة، خاصة أنهم ينتمون لوسط قروي مازال كل شيء فيه يرتدي لباسا أسطوريا و خرافيا، خاصة القضايا المتعلقة بالجنس كفعل مثل باقي الأفعال الإنسانية الأخرى.
تعتبر المراهقة مرحلة الحب بامتياز و قد اختلف الدارسون و المفكرون، فهناك من وصف حب المراهقة بالنقاء و الصفاء و المثالية حيث إرتقى به إلى عالم صوفي متعال، و هناك من اعتبره تجربة طائشة و عابرة، غير أنه لم يستطع أحد أن ينفي الحب في هذه المرحلة، أنها مرحلة الأهواء كما قال الفيلسوف

"روسو"، مرحلة التجارب الصالح منها و المضر،علما أن المُضر منها نافع كذلك، إنها مرحلة التجارب الجنسية بامتيا، لهذا تعتبر التربية الجنسية ضرورية للمراهقين و المراهقات أكثر من غيرهم .

سألني العديد من المتعلمات و المتعلمين عن الحب الذي يستشعرونه، هل هو حقيقي أم إحساس عابر، أرادوا أن يعرفوا هل عليهمأان ينخرطو في التجربة بكل جوارحهم أم أن هذا أمر خاطئ و خطير، إنهم لا يعرفون ما يصنعون بمشاعرهم، و كيف يكيفونها مع ما هو أخلاقي، و هذه وضعية صعبة وهم يحتاجون إلى بوصلة فقط حتى يتمكنوا من رسم خريطة طريق، و البوصلة كل بالغ مسؤول بدءا بالأسرة و انتهاءا بالدولة .

يعيش المراهق القروي كل شيئ في صمت و يصعب أن تحصل على معلومة منه، إن لم يُحس بالثقة و الأمن،و قد حاولنا أن نوفر كل هذه العناصر أثناء ملأ الاستمارات.

كسرنا باب الحشمة و الخجل و سألنا المراهقين و المراهقات عن تجاربهم الجنسية، بل سألناهم إن تعرضوا لتحرشات جنسية، (نعرف أن البعض من المتعلمين قد يكذب ليخفي ما تعرض له، لهذا وزعنا المبحوثين بحيث لا يستطيح أحدا النظر في استمارة الآخر، و في نفس الوقت طلبنا منهم أن يمتنعوا عن ملأ خانة ما عندما يعرفون أنهم سيكذبون . عندما تعرف أنك ستكذب لا تجب عن السؤال، لكن عدم الاجابة اتباث)،كان هذا نوع من التحايل و لكنه منهج يُستعمل لبلوغ المعطيات و يقوم على وجود ثقة بين الباحث و المبحوثين . سألناهم :هل مررتم بتجربة جنسية ؟

الفئات العمرية / تجربة جنسية	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	7	19	93	36	155	%38.75

لا	13	30	7	55	105	%26.25
لم يجب /تجب	60	31	20	29	140	%35
المجموع	80	80	120	120	400	%100

صرحت نسبة 73.75 % أنها مرت من تجربة جنسية، لا فرق بين الاناث و الذكور، لأن التجارب في الغالب تكون بين المراهقين و المراهقات و قد تكون أحيانا مع نفس الجنس. يعني هذا أن التجارب التي لا نريدها للمراهق و خاصة المراهقة لا يمكن منعها أو تعويضها أوتفاديها، لكن يمكن عقلنتها، و قد صرح معظم الآباء و الأمهات أن التربية الجنسية ضرورية وبينوا أن المسؤول عنها هو المدرس ، لكن هل يمتلك هذا الاخير من المعارف و الامكانيات ما يسمح له بذلك؟.

لا يمكن أن يبدأ الحوارمع المراهق بتحريم الجنس أو العمل على جعله فعلا مُقززا، لأن المراهق ليس غبيا و سيكف عن الإستماع و بالتالي يتعطل الحوارمنذ البداية، لا يمكن أن نمع المراهقين و المراهقات من الأخطاء الأخلاقية، لكن يمكن أن نساعدهم على التقليل منها وعقلنتها، حتى لا تتحول إلى سلوكات شادة. لنُعرف النشاط الجنسي على أنه عملية رومانسية وشاعرية و قد يؤدي هذا الربط بالمراهق إلى الإرتقاء بنظرته حول الجنس ويدفعه إلى الاقتناع بأهمية هذا النشاط كتعبير عن الحب، وليس فقط لإشباع الغرائز الجنسية فقط، هكذا قد نرقى بمشاعره إلى مستوى المسؤولية المطلوبة.

و من الواجب على الآباء و الأمهات التمييز بين مرحلة الإكتشاف للحياة الجنسيّة التي تحصل تقريبا بين سن -12-13، والقدرة على تقبّل الحياة الجنسية التي لا تأخذ في الإعتبار القدرة الجسديّة على إقامة العلاقة الجنسيّة. عند بلوغ سن الخامسة عشرة يمرالمراهقون والمراهقات من مرحلة عدم النضج في العلاقات ويكون موقفهم من الجنس ملتبساً ومشوشاً، إذ يشعرون بوجود فارق كبير بين الاغراءات الجنسية التي يشاهدونها على الإنترنت و القنوات التلفزية والضغط الإجتماعي الذي يُمارس عليهم و بشكل قوي.

يُحدث الإنتقال من الطفولة إلى سن الرشد إرتباكا كبيرا لديهم، وذلك بسبب إضطرابات هرمونيّة تتزامن مع سن البلوغ .إن المراهقة مرحلة التجارب الغراميّة، والعلاقات الجنسية الأولى. والمهم هنا معرفة كيفية التعامل جيداً مع الجسد في خضم هذه الإضطرابات حتى نضمن نموا سليما للمراهقين، نمز لا يعرضهم للاستغلال الجنسي من طرف البالغين.حماية المراهقين أمر ضروري و يجب أن تبدأ الحماية من المنزل ، لأنه الفضاء الأول الذي قد يتعرض فيه الطفل للتحرش من بالغين قد ينتمون إلى نفس العائلة الممتدة أو الدوار، قبل أن ننتقل إلى ما قد يحدث في الشارع أو المسجد أو المدرسة. لهذا حولنا تعميق معرفتنا بالمراهقين و المراهقات و التقرب منهم أكثر، نظرا للثقة المؤسسة بيننا، فسألناهم هل سبق أن تعرضوا لتحرش جنسي من طرف بالغين، و كانت أجوبتهم على الشكل التالي:

الفئات العمرية / التعرض للتحرش	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	00	9	4	23	36	%9
لا	67	56	91	51	265	%66.25
لم يُجب/تُجب	13	15	25	46	99	%24.75
المجموع	80	80	120	120	400	%100

نسبة كبيرة تعرضت للتحرش الجنسي من طرف بالغين، حيث وصلت النسبة إلى 33.7% و هذا أمر خطير و ناتج عن ثقة الأطفل في البالغين، لهذا علينا أن نعلم أبناءنا أن يثقوا في كل الناس ولكن أن يكونوا دائما على حذرمن الشيطان الذي بداخلهم .التحرش الجنسي نشاط جنسي لا أخلاقي، أي لم تُشرع له الثقافة و لا العقل و لا الدين، هو فعل إجباري يتعرض له الطفل، وهو كل إثارة جنسية يتعرض لها الطفل أوالطفلة عن عَمْد، وذلك بتعريضه للمشاهدة الفاضحة، أوالصور الجنسية، أو غير ذلك من المثيرات، كتعمّد ملامسة أعضاء الطفل التناسلية، أو حثه على لمس أعضاء شخص آخر أو تعليمه عادات سيئة - كالاستمناء – فضلاً عن الاعتداء الجنسي المباشر في صوره المعروفة، الطبيعية والشاذة. حين تغتصب البراءة تظهر الجريمة بأقسى تفاصيلها، وأبشع ملامحها حين يعيش بعض الأطفال حالات من التحرش الجنسي، ويتعرضون للاغتصاب في منازلهم و الشارع، داخل المؤسسات التعليمية، من قبل مرضى يكون علاجهم غالبا بالعقاب والذي يعتبر حرمانهم من بعض حقوقهم أو كل الحقوق، لأنهم يشبعون رغباتهم الجنسية عبر استغلال سذاجة الأطفال وجهلهم . يكمن الحل إذن، في تعريف الأطفال

بالأشكال المتنوعة و المتعددة للإساءة حتى يتبيونها، و في نفس الوقت تربيتهم على الجرأة و الشجاعة لتكون لهم القدرة على قول: لا ،عوض التزام الصمت و التجمد دون معرفة كيفية التصرف و المواجهة.

غالبا ما يؤدي التحرش الجنسي بالأطفال إلى اضطرابات في شخصية الطفل، فقد يتلذذ الطفل و ينخدع بسهولة ويستمر ليُصبح شاد جنسيا، إذا أُهمل ولم لم يتلقى النصح والحذرفي زمنه.غالبا،ما يدفع الخوف من الآباء والمُغتصب إلى عدم التبليغ عن الإساءة، و أقبح ما يخافه هو التعرض للإستهزاء من طرف الكل. إن ثقافتنا و تمثلنا للخطأ لا يسمح لا، لأبنائنا و لا نحن بالتعبير وهناك مثال يُقال بالامازيغية مفاده:أن الخسارة التي لم يطلع عليها الناس ربح . قد يصبح الضحية عدواني، انتقامي وقد يعتدي على الآخرين مثلما اعتدي عليه. قد يصيرانطوائيا منعزلا، يكره الآخرين و يبتعد عن الحياة الاجتماعية، و منهم من يصاب بإضرابات نفسية مختلفة، كالكآبة وأحيانا الإنتحار أو الوسواس القهري و أمرض أخرى

خطيرة كثيرة. تصبح ثقته بنفسه وبالأخرين ضعيفة جد ا، يصاب بالخجل ويكون من الصعب عليه التأقلم مع محيطة كما كان من قبل. قد يصاب بالشذوذ الجنسي كاللواط للذكور أو السحاق للإناث، و قد تكون حياته الزوجية مضطربة إن لم يستوعب ما حصل له.

إن التستر على الإعتداء يزيد من حدة المشكلة خاصة إذا لم يحاسب المعتدي . هذا كله يجعل الطفل يفقد الثقة في نفسه وفي أسرته وفي مجتمعه، إذ لم يستطع أن يحمي نفسه وفي الوقت ذاته، لم يستطع من هم حوله أن يقدموا له الحماية وقبل ذلك الوقاية. كيف سيكون الطفل الذي نشأ في مثل هذا الجو النفسي المضطرب وبهذه النفسية المهزوزة المهزومة و العاجزة عن الفعل .

عرفنا البعض من مشاكل الأطفال المراهقين و المراهقات و ربما نكون قد أغفلنا الكثير منها، و لكن ما أدركناه يُحدث من الألم ما يكفي و يدفعنا للمطالبة، و باصراركبير من المدرسة التي تستقبل الأطفال أن تحاول أن تضع في حسبانها كل هذه الاعتبارات و هي تقوم بمهامها التربوية، و هذا ما نسميه بمعرفة المتعلمين و المتعلمات أساس أولي و ضروري لتربيتهم و تعليمهم .

تلعب الأسرة الدور الكبير في نحث المعالم الأساسية من شخصية الطفل، و هذا يعني أنه المتعلم لا يحضر إلى المؤسسة التعليمية بدون تصورات للحياة و لنفسه و للقيم و العالم و الآخرين. يحمل الطفل معه إلى مؤسسته التعليمية ثقافته وعاداته و تجاربه، أحلامه و آلامه، ولا يمكن أن نتعامل معه دون معرفة ماضيه لأنه أساس حاضره و مستقبله.

من تربية أسرية تقليدية ،إذن، إلى تعليم تقليدي في المؤسسات التعليمية، ما زال يقوم على تعليم الأفكار عوض تعليم التفكير، رغم كل الخطابات النظرية التي قد تدعي عكس ذلك، وواقع التدريس في الأقسام مازال يشهد على ذلك، ونظن أنه لن يختفي بشكل سريع . نحتاج لزمن طويل حتى نستطيع تعديل تمثلات بعض رجال التعليم للمتعلم و للتعلم بشكل عام .

عندما تكون التربية الأسرية غير سليمة، فإن ذلك يظهر في الفشل الدراسي، كالتكرارأو ضعف المستوى، وأحيانا الإنقطاع عن الدراسة بشكل نهائي، و تجدر الإشارة هنا إلى أن تازناخت الكبرى (الجماعات القروية:وسلسات – زناكة –خزامة –سيروا و الجماعة الحضرية تازناخت)، تعرف نسبا كبيرة في الهدر المدرسي فقد بلغت نسبة الهدر فقط في السنة الماضية النسب التالية:(نمودج الجماعة القروية خزامة.

جماعة خزامة	المسجلون خلال 2002/2001	المجموع	المتمدرسين إلى غاية 2013	المجموع	نسب الهدر المدرسي	المجموع	نسب التمدرس	المجموع
الذكور	**121**	**241**	**06**	**07**	**97.51%**	**97.09%**	**2.49%**	**02.90%**
الإناث	120		01		99.58%		0.41%	

الحديث عن الهدرالمدرسي والذي نعتبر أقصى مظهر له هو الإنقطاع عن الدراسة قبل التمكن من مهارات الحياة التي تصنع المواطن العقلاني الذي يصنع بدوره وطنا حداثيا، لا يستقيم الحديث فعلا إلا إذا قاربناه ميدانيا، انطلاقا مناحصائيات. لقد تسجل 1449 تلميذ(ة) منهم 760 ذكرا و689 أنثى خلال الموسم الدراسي 2001- 2002، وهم مواليد 1995 ولم يتبق منهم سوى 225 تلميذا 154 ذكرا و71 أنثى خلال الموسم الدراسي 2012-2013. وهذا في تازناخت الكبرى وهي خمس جماعات واحدة حضرية وأربع منها قروية.(المعطيات مُستمدة من بحثنا حول الهدر المدرسي).بلغت نسبة الهدر المدرسي حوالي 80%، و هذا مُؤشر قوي حول تمثل المتعلمين وأبائهم للتعلم و في نفس الوقت مُؤشر دال على الفقر.

لنحاولالآن التعرف على تصور المراهقين و المراهقات للتعلم و المدرسة والمعرفة، ولكن لنرى أولا كيف أثرت وضعيتهم الأسرية على مسارهم الدراسي و ذلك من خلال معرفة المستويات التي رسبوا فيها وجعلت تعلمهم تعلما متعثرا.

الفئات العمرية / مستوى التكرار	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث		
التعليم الإبتدائي	15	11	23	17	66	%16.5
التعليم الإعدادي	37	31	65	56	189	%47.25
لم أكرر	28	38	32	47	145	%36.25
المجموع	80	80	120	120	400	%100

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التربوية المعنية بتربية الأفرد وإعدادهم وتنميتهم اجتماعيا وعقليا وجسميا وروحيا، وفي نفس الوقت اكسابهم الخبرات والمهارات التي تساعدهم على التكيف الفعال في حياتهم الاجتماعية، فهي مصد، أو على الأقل يجب أن تكون كذلك ،للأمان والاستقرار، خاصة في فترة المراهقة. تمثل المدرسة للمراهق مكانا جميلا يعيش فيه طفولته ومراهقته، خصوصاً أن بعض المراهقين يجدون في المدرسة مفرّاً من مشاكلهم العائلية، وقد تكون المدرسة لبعض المتعلمين و المتعلمات مصدراً للتوتر والضغط، فالمدرسة أثناء أدائها لرسالتها التربوية تعترضها مشكلات كثيرة لها آثار اجتماعية ونفسية واقتصادية وتربوية، ليس على المتعلم فقط، بل على المعلم والأسرة والمدرسة والمجتمع، ومن أبرز هذه المشكلات" مشكلة الفشل الدراسي " التي تعد مصدر شقاء لكثير من التلاميذ وأولياء الأمور، ومصدر قلق أيضا لكل المعنيين بشؤون التربية والتعليم.أمر طبيعي أن يكون هناك نوع من التراجع في تحصيل المتعلم و المتعلمة في سن المراهقة، لأن هذه المرحلة معروفة بالتغيرات الجسدية و النفسية و كل هذا يحول طاقة المراهق و المراهقة نحو اهتمامات و قضايا جديدة في حياته، و لكن عندما تصل نسبة التعثر الدراسي إلى 47% تقريبا و خاصة في التعليم الإعدادي، و بالضبط في

مستوى الثالثة من التعليم الثانوي الاعدادي، يصبح المشكل كبيرا و خطيرا في نفس الوقت، لأننا هنا نتحدث عن هدرالزمن الذي لا يمكن تعويضه.

يقتضي إصلاح وضعية كهذه إصلاح الأسرة أولا، لأنها تقدم للمدرسة انسانا مضطربا، علما أن المدرسة المغربية غير مؤهلة لإصلاح الأضرار النفسية التي لحقت الطفل، لا وجدود في مدارسنا لأخصائيين نفسيين و اجتماعيين يستمعون للمراهقين و المراهقات ولنقل الطفولة بشكل عام.

وظيفة المدرسةهي تحليل التراث الثقافي للمتعلمين و الإنطلاق منه و العمل في الوقت ذاته على تعديل التمثلات السيئة حول الإنسان والتعلم و الآخرين، وهي بهذا العمل تنمي التراث وتُبعد عنه ما قد يعتريه من شوائب و تسمح له بأن يُجدد نفسه باستمرار. وظيفة المدرسة المدرسة تحرير كل فرد من الإنطواء داخل جماعته، ليُقبل على الحياة في تعددها واختلافها بكل جرأة و حرية و قدرة على الفعل .

ماهي الأسباب التي تدفع المراهقين و المراهقات أو المتعلمون بشكل عام إلى الذهاب للمؤسسة التعليمية، هل لمدارسنا من السحر و الجمالية و الجادبية و الإحترام ما يجعل المتعلمين يُقبلون عليها بشكل إرادي حر، أم أن الخوف من البالغين و من العقاب هو الذي يدفعهم للإلتحاق بمدارسهم؟هل يُحب المتعلمون مدارسهم أم يدهبون فقط خوفا من العقاب ؟سألنا المراهقون و المراهقات فكانت أجوبتهم كالتالي :

الفئات العمرية / اسباب التمدرس	من 10 إلى 14		من 15الى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
الخوف من الأسر	31	40	60	54	185	%46.25
من المدرسين	36	13	00	36	85	%21.25
فضاء للمعرفة	13	16	18	23	70	%17.5
ضمان المستقبل	00	11	42	7	60	%15
المجموع	80	80	120	120	400	%100

إن مرجعية الوالدين التربوية والعلمية، ومستواهما الثقافي، ونظرتهما للحياة، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية لها انعكاساتها على تربية الأبناء سلباً وإيجاباً، والتجارب التي يمربها الوالدان خلال حياتهما، تظل عالقة في أذهانهما وقد تصاحبهما في سلوكهما مع أبنائهم .
هناك موقفان سلبيان في تربية الأبناء: الموقف الأول، الإفراط في حماية الأطفال، والخوف عليهم من الأخطار المحدقة بهم أو التي ربما يتعرضون لها.والموقف الثاني هو الموقف الشكي وهو الشعور أو القلق المصاحب للآباء و الأمهات، بأن الطفل سوف يعمل أشياء سيئة أو خاطئة.لا شيء يستقيم و الخوف، فعندما تكون أغلب أفعالنا ناتجة عن خوف، علينا أن ندرك أننا تلقينا تربية غيرسليمة، وإن لم

ننتبه سنربي أبناءنا على الخوف: نخاف من الآباء و الأمهات، نخاف من المدرسين و من المستقبل .إن الخوف رعب لا يصنع الإنسان بل يدمره، لهذا علينا أن نربي أبناءنا على الحب، لأن الفعل الناتج عن حب أفضل و أنبل من الفعل الناتج عن الخوف. القلق والخوف على الأبناء أمر طبعي، بل إنه أمر محمود فهو دافع للمتابعة والتربية، إلا إذا ازداد هذا الخوف وأصبح يشكل اضطراباً نفسياً، فإن القلق يكون مرضياً وينعكس سلباً على حياة الطفل، فيكون هذا الأخير محاطاً دائماً بكلمات الرفض والمنع والتقييد، وتلقي الأوامر والنواهي، فيعيش حالة من الخوف والرعب تمنعه من الإقدام والمغامرة والانطلاق في الحياة بشجاعة وجرأة، وتحقيق رغباته وطموحاته واكتشاف أخطائه بنفسه .

أزيد من 67% من المراهقين و المراهقات يتمدرسون لأنهم فقط يخافون إما من الآباء أو من المدرسين ، عندما نقوم بفعل بدون رغبة غالبا ما يفشل الفعل .لماذا لا يحب المراهقون (العينة)، أو على الأقل لنقل لماذا لا تستطيع المدرسة أحيانا استقطاب المتعلم و المتعلمة ؟ .جُبل الإنسان على البحث و المعرفة، قدر الإنسان أن يعرف وفعل التعلم ليس اختياريا، بل ضرورة طبيعية. نقول هذا لنبين أنه ما من عالم أجمل من عالم المعرفة حيث تُشرق الأفكار و يتجلى عقل الإنسان في ابداعاته .إن لم يُحب المتعلم المدرسة فالجواب بسيط، لأنها فقط لا تستجيب لحاجياته، يضيف المراهق لسطة الوالدين سلطة المدرسين و الاداريين.المدرسة مزيد من السلطة و التحكم والسيطرة. يكون المتعلم في المؤسسة التربوية كما تريده إدارة المؤسسة أن يكون. من الطبيعي أن تكون علاقة المراهق مضطربة مع مؤسسته التعليمية، إذا لم تستطع فعلا أن تحول نفسها من بناية إلى فضاء ينبض بالحياة و يسمح لكل طاقات المتعلمين بالظهور و الاشراق. كيف يجب أن تكون مؤسساتنا التعليمية؟ .طرحت الفلسفة السياسية في العصور الحديثة نفس السؤال، لكنه لم يكن حول المدرسة، بل حول الدولة، كيف يجب أن تكون الدولة و كانت انطلاقة بحثهم للجواب عن السؤال الأول هي اكتشاف السؤال الأهم:إذا كانت الدولة تُؤسس للإنسان فمن الضروري أن نطرح السؤال :ما الإنسان؟ سؤالنا نحن كذلك:ما المدرسة؟ و كيف يجب أن تكون؟ يقتضي التساؤل أولا من يكون المتعلم؟ إن معرفة الناس بشكل عام تُيسر و تُسهل التواصل معهم . لنحاول أن نتعرف على مكامن الإضطراب في علاقة المراهق بمؤسسته التعليمية، أهو العنف أم الفوضى أم اللامبالاة؟ لنستمع للمراهقين والمراهقات لنشخص العلة، نسبيا.

الفئات العمرية / تعامُل المؤسسة	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
الحوار	17	13	54	67	151	%37.75

العنف	33	18	19	23	93	%23.25
اللمبالاة	30	49	47	30	156	%39
المجموع	80	80	120	120	400	%100

يظهر من خلال الجدول أن تعامل المؤسسة التربوية لا يرقى إلى تطلعات المتعلمين و المتعلمات ، يحضر العنف، الذي سينتبين معالمه في الجدوال اللاحقة، بنسبة 23.25% و في الغلب ليس عنفا فزيائيا، كالضرب بل يأخد مظاهر أخرى مثل اللمبلاة، حيث عبرت نسبة 39% أن مؤسستهم التربوية تتعامل معهم بشكل من اللمبالاة ، ماذا تعني اللمبالاة؟،إنها غياب الاهتمام بالشيء أو الحيوان أوالانسان، إن اللمبالاة نفي و اقصاء و عدم إعتراف و في نهاية المطاف تشيء للانسان، قد لا يهتم الأب أو المدرس لأنه لا يعرف فقط كيفية فعل ذلك، لأن الإهتمام بموضوع معين، رغم عدم قابلية المراهق لأن يكون موضوعا، يشترط معرفة الموضوع أولا. وظيفة المدرسة هي التربية على الحرية و المسؤولية و الجرأة، وعليها أن تفعل ذلك بشكل ممتع و بأدوات عصرية وُجدت من أجل تحويل التعلم من فعل ممل إلى فعل ممتع. تُؤثر اللمبالاة بشكل واضح جداً على الأطفال. وهي ما يُعرف عادة بالحرمان. فالأطفال الذين يعانون من الحرمان من الإهتمام والحب والرعاية تظهر عليهم أعراض الانسحاب والعزلة وأحيانا الإكتئاب.

إن نقص الإهتمام الأسري قد يُخلف سلوكات عدوانية، ولامبالاة المدرسة قد تُخلف العزوف عن الدراسة وبالتالي الإنحراف عن المسارالفعلي للمتعلم. كماأن المبالغة في الاهتمام قد تتحول لإساءة للمتعلم، كل فعل يحتاج لموازين دقيقة حتى ينجح في التحقق. اللامبالاة إقصاء وعدم إعتراف، إنهاعنف في حد ذاتها يمكن تجاوزه بالحوار الفعال. ينقص مدراسنا الحوار، لا أحد يستمع للمراهقات و المراهقين،لا في المنازل ولا في المدارس، فكيف يمكن للحوار أن يستقيم و نحن لانمتلك أدواته و التي هي العلم والمعرفة، بالأمية نصنع الجهل وهو رعب مُرتقب، إن لم نجعل أفعالنا أكثرعقلانية و وطنية.
تظهر اللمبالاة في المؤسسات التعليمية التي لا تتوفر على شروط التعلم السليم ولاعلى أدواته الفعلية و العصرية .أغلب مدراسنا قاعات خاصة للدرس فقط، أما الأنشطة التي تعمل على تنمية الإنسان فهي غائبة، وهذا ما سيُظهره الجدول التالي، وقبل الجدول هو يتجلى في حالة المؤسسات التعليمية في هذا البلد.

الفئات العمرية / تجهيز المؤسسة التعليمية	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		

قاعة الاعلاميات	نعم	80	80	120	120	400	%100
	لا	00	00	00	00	00	%00
قاعة المطالعة	نعم	25	24	00	00	49	%12.25
	لا	55	56	120	120	351	%87.75
قاعة الانشطة	نعم	00	00	00	00	00	%00
	لا	80	80	120	120	400	%100

تسعى جل الأنظمة التعليمية المعاصرة إلى إدماج التكنولوجيات الحديثة، تماشيا مع روح العصر و سعيا إلى الإستفادة من الإمكانيات التي تتيحها هذه الوسائل التقنية، و كذلك لتقريب المدرسة أكثر من البيئة المحيطة بالمتعلمين، لإضفاء المزيد من التحفيز و الجاذبية على التعليم و المؤسسة التعليمية،غير مؤسساتنا التربوية توفر القليل من هذه الإمكانيات، و هي بذلك لا تسمح لكل المتعلمين بالاستفادة من الأدوات العصرية،كما أن عقلية بعض الإدرايين، و حتى لا يتحملوا مسؤولية الأ عطال التي من الطبيعي أن تطال هذه الأدوات، يخزنونها و تبقى جديدة حتى ينالون الرضى لكونهم حافظوا على ممتلكات الدولة كما هي، ليست المدارس و كل المؤسسات التعليمية عبارة عن مستودعات للتخزين، إنها معامل تشتغل و تحتاج إلى كل الآليات العصرية لفعل ذلك، و بشكل كاف يُمكن كل المتعلمين من الإستفادة من الخدمات التي تقدمها التقنيات الجديدة .

إن الانتقال من مفهوم التلميذ إلى مفهوم المتعلم هو علامة على استهدافنا للتعلم الذاتي للطفل بشكل عام، و هذا الأخير فعل جماعي يحتاج إلى فضاء كبير يستطيع أن يستوعب عدد كبير من المتعلمين و المتعلمات بشكل آمن و صحي و تربوي . إن قاعة الأنشطة أهم من قاعة الدرسة، صحيح أن قاعة التدريس هي مجال لممارسة أنشطة المتعلمين و المتعلمات، لكن أغلب الأنشطة التربوية تحتاج إلى فضاء أكبر من قاعة الدرس و يحتاج لتجهيزات مختلفة عن التجهيزات التي يتطلبها القسم . إن الهدف من الأنشطة هو تفعيل الإنفتاح و التشجيع على الإبداع و التجربة و الجرأة و المسؤولية. في قاعة الأنشطة نقرأ و نكتب شعرا و نتعلم الرسم و المسرح و التفلسف، إنها الفضاء الذي يحرر الطفل حتى من طقوس القسم.

تحوال مؤسساتنا التعليمية أن تضمن الحد الأدنى من وظائفها و هي محاربة الأمية، أي تعليم القراءة و الكتابة و الحساب، و نظن أن المسؤولين عن الفعل التربوي في هذا البلد يدركون أنه ليس هكذا نصنع الواطن العقلاني المسؤول و الحر، القادر على الإبداع . أن ما توفره مؤسساتنا هو تغدية هزيلة لمراهق يحتاج للكثير من الإهتمام و الرعاية و الإحترام .

لا وجود لقاعة للأنشطة و لا قاعة للمطالعة و نحن لا نتحدث عن قاعات بصيغة الجمع، بل قاعة واحدة فقط مجهزة و كافية لكل المتعلمين و المتعلمات .

الفقر في المنازل و الفقر في المدارس و الفقر في المعرفة، إن الفقر يحاصر الأسر و أبناءهم و يحد من قدرتهم على الفعل.

عندما يغيب الاحترام يحضر العنف بكل أشكاله و في كل المؤسسات و أشد الأشكال ضراوة و بؤسا، هو الأمية و الفقر، قد نفهم فقر الأسر و لكن لا نفهم فقر المؤسسات التعليمية. من غير الممكن أن تُدبر المؤسسات التعليمية الرأسمال البشر بشكل سليم و هي لا تتوفر على الأدوات العقلية و المادية لفعل ذلك. تغيب قاعات الأنشطة وكذلك قاعات المطالعة و هي علامة على اللمبالاة التي صرح بها المبحوثون سابقا، و يستمر الغياب و عدم الاهتمام عندما نجد مؤسساتنا التعليمية لا تستمع للمتعلمين و المتعلمات ،إذ لا وجود لأخصائي نفسي أو اجتماعي في مؤسساتنا و هذا وجه من وجوه التهميش و الاقصاء و عدم الاهتمام الذي عبر عنه المراهقون و المراهقات ،لننظر إلى الجدول التالي :

الفئات العمرية / هل يوجد في مؤسستك		من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
		الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
أخصائي نفسي	نعم	00	00	00	00	00	%00
	لا	80	80	120	120	400	%100
أخصائي اجتماعي	نعم	00	00	00	00	00	%00
	لا	80	80	120	120	400	%100
خلايا الإستماع	نعم	00	00	00	00	00	%00
	لا	80	80	120	120	400	%100

تُعد مهارة الإستماع من المهارات الضرورية للتربية و للتمواصل بشكل عام، لهذا كان الإستماع و منذ القديم الأداة التي ننقل بها المعارف والعلوم والثقافات من جيل إلى جيل آخر، من الماضي إلى الحاضر

قبل اكتشاف المطبعات وبالتالي التدوين الكتاب، وقد نقل أغلب الشعوب، تراثها الضخم عن طريق الراوية. يعتبر السمع من أقوى الحواس التي تساعد على إدراك المواقف المحيطة وفهمها، فهو أدق الحواس وأرقاها كما أنه عامل مهم في عملية التواصل، وهى مهارة لا يجيدها إلا المتدرب عليها.لا حياة بدون استماع ولاتراكمات كذلك بدونه، إنه عنصر حيوي و هذا يعني أنه ضروري . تبدأ عملية الإستماع بإدراك الرموزاللغوية المنطوقة، ثم فهم معانيها، و بالتالي ادراك الرسالة التي تتضمنها، ثم تتفاعل الخبرات المتضمنة في الرسالة مع خبرات المستمع وقيمه، و تنتهي بتقويمها.لا يبدو الإستماع سهلا فهو يحتاج لأدوات أهمها العلم والمعرفة المتمثلة في القدرة على التفكيروالفهم والتبليغ وعدم التسرع في الحكم و عدم فهم الرسالة من زاوية واحدة فقط . إن الإستماع مهارة ضرورية لتربية الأطفال وتعليمهم سواء داخل الأسرة أو المؤسسات التعليمية الأخرى، غير أنه يحتاج لتاسيس فعلي حتى يكون فعالا، لأننا عندما نستمع نُحاور،فنحن نتجاوز العنف في كل تجلياته. يمثل الإستماع جانباً كبيراً و مهما في العملية التعليمية التعلمية، وهو وسيلتنا الأساسية في التفاعل مع الناس، علينا اتقان هذه المهارة،

ولا يمكن أن نقول أن التعلمات مرتتبطة بزمن معين، علينا تعليم مهارة الإستماع للأسرحتى تتواصل مع أبنائها بشكل علمي وتمارس دورها الأساسي في إشراق شخصية المراهق و المراهقة أوالطفولة بشكل عام و هذا واجب وطني. الإستماع هو السمع مع الفهم، والتفكير والاستجابة، كما أنه عملية يعطى فيها المستمع اهتماماً خاصاً، وانتباهاً مقصوداً لما تتلقاه أذنه من أصوات و معني و تجارب.

يظهر أن محاربة الأمية في شكلها التقليدي، تعليم الناس القراءة و الكتابة و الحساب، لم تساهم بشكل فعال في عملية تنمية الرأسمال البشري أو ما يسمى عادة بالتنمية البشرية، وهذا راجع إلى أننا كنا، و ربما مازلنا نزود الأسر ببعض المعارف، دون أن نعلمهم المهارات الضرورية لحياتهم و حياة أبنائهم وحياة الوطن ككل. إن محاربة الأمية هي محاربة عجزالأسر عن التفكير والفهم والفعل والتصرف ، محاربة الأمية هي محاربة لوصاية الإنسان على الإنسان، هي تحرير الإنسان من التبعية للغير وعدم القدرة على الاستقلالية.

مُرعب أن يستمر هذا النوع من الإهمال واللامبالاة، لا أحد يستمع لمشاكل المراهقين و المراهقات، لا الأسرة تستمع ولا هي تمتلك الأدوات لفعل ذلك و لا أحد يستجيب لإرادة معرفتها كيفية التصرف. في المدرسة كذلك، لا أحد يستمع، لا وجود لأخصائيين نفسيين أواجتماعيين، بل حتى خلايا الإستماع التي تُؤسس في النوادي الحقوقية داخل المؤسسات التربوية غائبة، أو تمارس عملها بشكل معتل لغياب التكوينات في هذا المجال التي تجل فعل الإستماع فعلا متخصصا و مُؤسسا.

إن حب الآباء و الأمهات لأبنائهم و بناتهم هو الدافع الأساسي والقوي الذي يجعلهم يتقبلون فكرة حاجتهم لمعرفة المهارات المطلوبة للحياة الجماعية المعاصرة، و قد أظهرت الاستمارة الموجهة للأسر مدى حاجتهم لتلقي تكوينات و دروس حول التربية وفي كل مجالاتها.

نرغب دائما في الإستماع إلى ما نريد و قد نغير الرسالة لتكون كما نريد وهذا أكبرالاخطاء وأخطرها ، إن كنت تضع نظارات زجاجها أزرق فسيبدو العالم أزرق بالنسبة لك فقط، وليس من حقك أن تعلن أن

كون العالم أزرق حقيقة لا يمكن أن نشك فيها، أنت فقط من يرى العالم أزرقا و للآخرين ألوانهم كذلك و هذا هو التعصب بأم عينه. يفترض الإستماع أن يُمارس دون خلفيات و لا أن ينطلق من مسلمات، قد نسمح بالحوار و لكن يبقى القرار الذي اعتمدناه هو هو، هذا هو العنف الذي لا يستقيم أي فعل بمعيته.

إن غياب الإستماع مؤشر قوي على الإهمال وعدم الإهتمام و هو عدم احترام للإنسان بشكل عام، و خرق لحق في التعبير، لنساعد الأسر على احترام أطفالها، لأنها تريد ذلك.لتعلم كل المؤسسات التي تدبر الرأسمال البشري أنه لم يعد بالإمكان تصور مؤسسة للتربية من دون أخصائيين نفسيين و اجتماعيين، خاصة أمام المظاهر المتنامية للعنف وآخر مظاهره (التشرميل).

كل رفض لتصرف ما أو قبوله يجب أن يقوم على الاقناع، لأن الأوامر قد تنتج أجيالا من الأتباع.

يُؤمر المراهق والمراهقة في المنزل و الشارع والمسجد والمدرسة و فضاءات أخرى كثيرة، و هو بهذا لا يختار و بالتالي لا يتعلم تحمل المسؤولية التي أساسها الاختيار. تُحدد الأخلاق قواعد السلوك و التصرف، اللباس، الحلاقة، الهاتف المحمول و أدواته التكميلية، لكن هذا التحديد لا يكون مبررا عقليا.

كثيرا ما يتساءل المراهقون، لماذا الفعل بهذه الطريقة و ليس بطريقة أخرى، لماذا هذه الكيفية و ليس كيفية أخرى ؟ إنها أسئلة مشروعة و لكن البالغين، سواء كانوا آباءا أو أمهات أو مدرسين، ونظرا لعجزهم أحيانا عن التبرير يلجأون للعنف كحل، هكذا يبدأ الصراع بين إرادتين، تريد كل منهما أن تسود و عندما يغيب الحوار يحضر العنف والتدمير والعصيان والتمرد و هذه الافعال تُهدم ولا تبني.

يخضع المراهقون لإكراهات أو إلزامات داخل مؤسساتهم التعليمية، ليست في غالبيتها قوانين تنظيمية و لكنها اجتهادات بعض المسيرين للمؤسسات التعليمية، اجتهادات قد تستمد جدورها من تمثلات تقليدية سلبية للتعليم والمتعلمين، فنراهم يُحولون المؤسسات التعليمية إلى ثكنات عسكرية تقوم على السمع و الطاعة و لا تؤمن بالحوار ولا تدرك أن العملية التعليمية التعلمية تقوم على التشارك بين كل الفاعلين، و أن أهم الفاعليم هم المتعلمون و المتعلمات. لنحاول أن نبين ما نتحدث عنه من خلال معرفة آراء المراهقين و المراهقات من مجموع القرارت التي قد تتخدها إدارة المؤسسات التعليمية بمعية المدرسين ،مثل :التدخل في شكل الحلاقة-اللباس-إستعمال الهاتف المحمول، بحيث سألناهم: هل هذا نظام ضروري أم تدخل في الحرية الشخصية، و قد كانت أجوبتهم كالتالي :

الفئات العمرية / نظام المؤسسة	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		

ضروري	13	8	75	83	179	%44.75
تدخل في الحرية الشخصية	67	72	45	37	221	%55.25
المجموع	80	80	120	120	400	%100

يرفض المراهق القرارات و الأوامر التي غالبا ما تكون إما غير واضحة أو غير مبررة بشكل مُقنع، و هذا أمر طبيعي بالنسبة للانسان لأننا لا نطمئن إلا إلى ما نعرف وما نقتنع به، و ما تقوم به مؤسسات التنشئة الاجتماعية بما فيها الأسرة و المدرسة و الشارع و المسجد هو إصدار الأوامر، و على المراهق و المراهقة السمع و الطاعة. تعمل هذه السلط على إنتاج نوعين من المراهقين، إما مراهق إنطوائي و منعزل و خاضع ، أو مراهق متمرد و مشاغب بشكل يثير الفوضى إما داخل الأسرة أو المدرسة، يرجع هذا إلى أسباب كثيرة نذكر البعض منها فقط : قوة الضغط الذي يُمارس على المراهق و انتقاد تصرفاته بشكل متواصل، عجز الأسرة خاصة الوالدين عن ضبط سلوكات المراهقين و المراهقات، ثم سوء معاملة الطاقم التربوي و الإداري للمراهق، تساهم كل هذه العناصر في زيادة ثورته بدل نقص حدتها، وبؤس الحياة التي يعيشها المراهق في الأسرة و كثرة مشاكله و إحساسه بالحرمان ماديا و معنويا.

المراهق إنسان مُحب للحوار و المُحاجة، حتى أنها تتحول إلى لعبة لا يملها و قد تُحدث إزعاجا للبالغين أحيانا، إنه شخص يبتغي الحوار، لنحاوره إذن حتى نستطيع إقناعه بالقيم التي يبتغيها المجتمع و الدين و الإنسان بشكل عام، لأن المراهق لا يحب الجهل و لا الفوضى بحكم طبيعته، بل تظهر الفوضى و التمرد و العصيان عندما نتصرف ضد طبيعته. من الضروري أن ندرك قيمة الإستماع فهو الحل لتجاوز الكثير من المشاكل التي تُعيق المشروع الوطني الذي يستهدف الإنسان :التنمية البشرية .

إن احترام المراهق و المراهقة، هو إعتراف بحقوقهم دون تمييز بسبب اللون أو الغنى أو اللغة، لأن هذه هي العدالة المطلوبة للحياة الكريمة، و للأسف قد تقوم تصرفات بعض الإداريين أو المدرسين على أساس عنصري يسمح بالتمييز بين المتعلمين و المتعلمات، و هذا ما عبرت عنه نسبة مهمة من العينة المبحوثة .

الفئات العمرية / سبب التمييز	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	%النسب
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
اللون	56	44	67	64	231	34.43%
اللغة	43	63	73	83	262	39.05%
الغنى	23	12	18	13	66	9.84%
الجنس	33	19	43	17	112	16.68%
مجموع الاجابات	155	138	201	177	671	100%

يتميز المغرب بتعدد ثقافاته و تنوعها و ربما هذا شأن كل الدول والمجتمعات، لأنه غالبا ما تكون الثقافة الوطنية نتاج للثقافات المحلية و المُعبر عن انسجامها و وحدتها و هذا تعدد و اختلاف بَناء، جيد و صحي كذلك، لكن التعدد يقتضي الإعتراف بكل الثقافات المحلية و العمل على تطويرها وتحديثها لتستجيب لمتطلبات العصر (تنمية الثقافة)، و هذه العملية الأخيرة تكون مشروطة بتغيير واقع معين، منطقة جغرافية محدد، و بالإضافة إلى هذه التحديدات فهي تاريخ و ذاكرة و تراث و جزء من هوية الوطن ككل. إذا كانت الثقافات متعددة و مختلفة فإن مقاربات الدولة الإصلاحية مطالبة بأن تعدد طرق تدبيرها للرأسمال البشري و هذا يعني أنه في كل عملية إصلاح تكون الدولة مُطالبة بمراعات الخصوصيات الثقافية و المراعاة هي الإعتراف بالوجود و ضمان الإستمرارية .

يُطلب من المُدرس في القسم أن يُقيم اعتبارا كبيرا للإختلافات بين المتعلمين، و عليه أن يُعدد و يُنوع طرق تدريسه وفق التعدد الموجود عنده داخل القسم، الأمر نفسه مطلوب بالنسبة للدولة، عليها أن تعدد مقارباتها للوطن والمواطنين كما يفعل أو يجب أن يفعل رجل التعليم . تمدنا الظاهره بأدوات تحليلها و فهمها و هذا يعني أنها تنكشف أمامنا من تلاق ذاتها، فقط إذا كانت هي أساس الإنطلاق. تقتضي دراسة الظاهرة نوع من المشاركة بين الباحث و الظاهرة، إنه حوار قد يسمح للظاهرة أن تعبر عن نفسها و تخبر الباحث عن مكامن العلة و قد تخبره عن طرق العلاج كذلك، إن كان مستمعا جيدا. نقول ما نقوله حتى نتبين أن معنى أن تكون مغربيا هو أن تكون إنسانا، أمازيغيا و عربيا و ريفيا و صحراويا، إن الهوية المغربية بستان به العديد من الأشجار المختلفة و المنسجمة في الوقت ذاته، و كل تغييب لأي شجرة يُفقد البستان غناه و أصالته، لم نتشبع بعد بهذه الفكرة، مازالت عقليتنا قبليةو نستنتج هذا من طريقة التعارف في منطقة البحث و التي تقوم على الأسئلة التالية :من أين أنت؟ ما إسم قبيلتك ؟ما إسم دواركم ؟ ما هو أصلك ؟، كلها أسئلة تنزع نحو التعصب للذات عوض الإنفتاح على المغرب الكبير بتعدده و اختلافه. يمتد الأمر إلى المؤسسات التعليمية كصراع بين لغتين (الأمازيغية و العربية)،عربية تريد أن تسيطر و تهيمن، و لغة أمازيغية تبتغي الوجود و التطور، هذا ما يُؤرق المتعلمين و المتعلمات. يعتبر الأمر خطير عندما يُربي المدرسون المتعلمين و المتعلمات على التعصب و الإقصاء و مركزية الذات، عندما لا يحترم المدرس المتعلمين، لا يمكنه أن يمارس وظيفته كما يجب، لأنه لم يعد موضع ثقة و كل ما يُقدمه من معارف لن تكون لها الفاعلية المطلوبة. علينا كمدرسين أن نحترم المتعلمين و أن نربيهم، و في نفس الوقت نربي أنفسنا على التسامح، لأنه من غير المعقول أن يلعن المدرس المنطقة و جوها و قلة مطرها و عدم تمدنها، أمام المتعلمين و المتعلمات. يُحس الكبار و الصغار بالغيرة على أوطانهم و ثقافاتهم ، لنحتلرم التعدد و الإختلاف لأن هذا هو المطلوب في المدرس أولا ومن المغربي بشكل عام. يفترض التدريس احترام المتعلمين و أي فعل غير هذا هو شطط في استعمال السلطة، ليس من حق المدرس تبخيس ثقافة الناس بل وظيفته الفعلية هو العمل على تنميتها .

عدم احترام المدرس للمتعلمين يُعقد كل الفعل التربوي و يُحطمه و يعيق عملية التنمية البشرية في الموقع الذي حدث فيه، لهذا نرى أنه من الضروري معرفة صورة المدرس الذي يبتغيه المراهقون و المراهقات، كيف يريدون أن يكون مدرسهم؟.

الفئات العمرية / تصور المدرس	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
جدي صارم	3	11	00	00	14	%2.62
جدي متسامح	45	53	109	98	305	%57.01
يتغيب كثيرا	34	39	45	36	154	%28.78
غير مبال	13	23	15	11	62	%11.59
مجوع الاجابات	95	126	169	145	535	%100

يظهر أن العنف و الشدة مرفوضين من طرف أغلب المتعلمين و المتعلمات، و هم يفضلون و بنسبة كبيرة مدرسا جديا و متسامحا، .يريدون من يستمع إليهم و يدرسهم بحب، دون أن يُهينهم أو يحط من كرامتهم أو يستهزء بثقافتهم و عاداتهم، إنهم يطلبون الاحترام.

لم أعرف يوما أن هناك مهنة أصعب من مهنة التدريس، و لم يتبين إلى حد الآن ما هو أشرف منها،هي أساس لكل المهن الأخرى، لأن المدرس أساس مهنة الوزيروالإمام و الطبيب و الحاكم و المهندس، هي أساس التمدن و الحضارة و الثقافة ولا شيء قد يستقيم في بلد من البلدان إن لم يستقم فيه قطاع التربية والتعليم،ي ُبين هذا قيمة المدرس و عمله و في نفس الوقت خطورة هذا الفعل، لأن الخطأ في صناعة السيارات و الطائرات و أشياء أخرى أمر مقدور عليه و يمكن إصلاحه، لكن الخطأ في العنصر البشري قد يكون قاتلا للوطن، لهذا على المدرسين إدراك قيمة ونُبل وظيفتهم و في نفس الوقت الإنتباه لخطورتها، لأن الأخطاء غير مقبولة في الإنسان. لنحاول كمدرسين أن نكون متزنين في الضحك و البشاشة و اللطفه و الحزم.لأن الجدية تعطي القيمة لما نقدمه للمتعلمين و المتعلمات، الرحمة مطلوبة عندما يحتاج المتعلمون ذلك. لا يمكن أن ينجح فعل التدريس، التعلم من دون حب، يمكن للتعلم أن يكون ممتعا إذا كنا نُحب عملنا و نُحب من نتعلم و إياهم.

النصح أمر ضروري و لكن بشكل فردي بين المدرس والمتعلم، العتاب واللوم مستحب ولكن باحترام و دون إدلال للمتعلم.

تفرض طبيعة التغيرات التي تطرأ على المتعلمين و المتعلمات في مرحلة المراهقة من الأستاذ: معرفة المتغيرات ثم البحث عن أساليب وطرق بيداغوجية تناسب بشكل فعال خصوصيات المرحلة، لأن المؤسسات الإعدادية والثانوية هي الفضاءات الملائمة لتوجيه وتأهيل المتعلمين المراهقين قصد صقل مواهبهم وتيسير اندماجهم الإمجتماعي، و يجب أن تتميز هذه المؤسسات بنظام تربوي يدفع بالمراهقين و المراهقات إلى بناء الذات وتنمية قدراتهم. لقد حدد بعض الباحثين انطلاقا من أبحاث ميدانية الخصائص أو الصفات التي يريدها المراهق في أستاذه و يمكن ذكر البعض منها هنا:

- الإنسانية: أن يتفهم مشاكل المراهق بنوع من الإنسانية، العمل على مساعدته عوض إحتقاره أو التخلي عنه.
- المعرفة: يقصد بها تمكن الأستاذ من الجانب المعرفي المتعلق بالمادة التي يدرسها.
- الحزم: التعامل بنوع من الجدية القائمة على الإحترام
- المعرفة السيكولوجية للمتعلمين المراهقين و المراهقات: تبقى هذه المسألة رئيسة جدا بالنسبة للأستاذ، لأن معرفة سيكولوجية المراهق ستمكنه من فهم خصوصيات المراهقة وإيجاد الأساليب التربوية الملائمة للتعامل مع المتعلمين أثناء عملية التعلم، حتى يكون هناك تواصل فعال بين الطرفين من شأنه أن يعزز الثقة بينهما .

التفهم: على الأستاذ أن يكون متفهما أكثر للمتعلمين المراهقين.

- التسامح: بمعنى أن يكون متسامحا بدل أن يكون متسلطا و يعترف بالحق في الخطأ.
- الموضوعية: أن يكون عادلا في تعامله مع جميع المتعلمين و المتعلمات دون تمييز أساسه الجنس أو اللغة أو الفقر و الغنى أو أي شيء آخر. عرفنا ما يريده المتعلمون المراهقون منا والآن لنحاول أن نعرف كيف يريدون أن تكونة العملية التعليمية التعلمية، و ماهي طرق التعلم المفضلة بالنسبة لهم .

الفئات العمرية / أساس التعلم	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
الإلقاء	11	23	9	12	55	%5.02
الحوار	77	57	98	102	334	%30.50
السبورة و الطباشير	13	22	33	35	103	%9.41
التقنيات المعلوماتية	69	50	106	98	323	%29.50
من إنجاز المتعلمين	55	62	87	76	280	%25.57

مجوع الاجابات	225	214	333	323	1095	%100

يظهر أن المتعلمين و المتعلمات المراهقون يحبون تنويع طرق التدريس وهم يفضلون الحوار عوض الدرس الإلقائي الذي يبعث على النوم، لأنه لا يقوم على أساس المتعلمين و المتعلمات. يفضلون الإستفادة من التقنيات المعلوماتية المعاصرة في عملية تعلمهم، ويريدون أن يصنعوا المعرفة بأنفسهم، لكن هل يمتلك المدرس الخبرات و المعرفة الكافية لإنجاز التعلم العصري الذي يبتغيه المراهق، علما أن هذا هو الطريق الوحيد لعقلانية فعلية، وهو الوسيلة التي يمكنها أن تعوض التعليم التقليدي الذي أصبح يُشكل عائقا أمام المشروع التنموي الوطني بشكل عام .

حاولنا إلى حدود اللحظة أن نتعرف على المراهقين و المراهفات في منازلهم ثم في المؤسسات التعليمية ، أما الآن فلابد من معرفة نظرة المراهقين لأنفسهم في ظل تربية أسرية تقليدية وتعليم مدرسي لا ينطلق من حاجيات ولا إمكانيات المراهقين والمراهقات، على الأقل في المنطقة مجال البحث(تازناخت).

تُؤثر التحولات الهرمونية والتغيرات الجسدية في مرحلة المراهقة بشكل قوي على الصورة الذاتية والمزاج والعلاقات الاجتماعية، فظهور الدورة الشهرية عند الإناث، يمكن أن يكون لها ردة فعل معقدة، تكون عبارة عن مزيج من الشعور بالمفاجأة والخوف والإنزعاج، بل والإبتهاج أحياناً، ونفس الأمر قد يحدث عند الذكور عند حدوث القذف المنوي الأول، أي: مزيج من المشاعر السلبية والإيجابية. كل التغيرات البيولوجية، الجسدية والنفسية التي تطرأ عليه تثير إضطرابات، لأنه لا يفهم ما يحصل له، و ثقافته لا تشجعه على السؤال حتى يعرف و يطمئن. يشعرالمراهق و المراهقة بنمو سريع في أعضاء جسمه قد يسبب له قلقاً وإرتباكاً، وينتج عن هذا النمو السريع إحساس بالخمول والكسل والتراخي، كذلك تؤدي سرعة النمو إلى جعل المهارات الحركية عند المراهق غير دقيقة، وقد يشعر المراهق و المراهقة بحالات يأس وحزن لايعرف سبباً لها. يبدأ بالتحرر من سلطة الوالدين ليشعر بالإستقلالية والإعتماد على الذات وتحمل المسؤولية الاجتماعية. يعاني المراهق من عدم فهم الأسرة لطبيعة المرحلة وكيفية التعامل معه. غير مسموح للمراهق أن يكون طفلا وهو لا يمكن أن يكون بالغا، لهذا لا يحقق المراهق لا ما يريد و لا ما نريده منه.

مرحلة المراهقة مرحلة جمال الجسد والرغبة في إظهاره والتعبيرعنه بمختلف الأشكال،لقد أبدع الرسامون عندما اشتغلوا على جسد المراهقين، ليقدموا لوحات حاملة لجمال رائع. المراهقة قوة و جمال ، غير أن المراهقين الذين يكبرون في ظروف إقتصادية مضطربة وعلاقات إجتماعية غير سوية لا يمكنهم أن يكونوا أسوياء. كثيرا ما يدفعنا عدم الرضى على أجسادنا إلى إخفائها، لا نسبح لأن مظهرنا و نحن عرات لا يعجبنا، قد لا ندهب إلى المسابح أوالحمامات العامة، فقط لأن أجسادنا ليست كما نريد. تلعب، إذن، التغدية دورا مهما في منح جسد مقبول للمراهق و المراهقة، لأن اختلال العلاقة بين المراهق و جسد هو في حد ذاته اضطراب نفسي يُؤثر على باقي الأفعال الأخرى، لنحاول أن نتبين علاقة المراهقين و المراهقات بأجسادهم من خلال الجدول التالي .

السؤال : هل يُعجبك جسدك؟

الفئات العمرية / الإعجاب بالجسد	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	37	26	41	39	143	%35.75
لا	43	54	79	81	257	%64.25
المجموع	80	80	120	120	400	100%

نسبة كبيرة من المراهقين و المراهفات لا تُعجبهم أجسادهم و هذا يعني أنها مشكل يُضاف إلى بقية المشاكل الأخرى التي تعوق النمو السليم للمراهقين ، كما يعني هذا أنه من الضروري تعريف الأسر بالغذاء المتوازن و التربية البدنية السليمة، و في نفس الوقت تمكينها من دخل يسمح بتوفير هذه التغذية، و من الضروري أيضا، الإنتباه إلى كل الأنشطة التي يقوم بها الطفل بشكل خاطئ و تؤثر بشكل سلبي على نمو عظامه التي تُعتبر الهيكل الأساسي للجسد. كل نمو غير سليم هو إعاقة، لأن الإعاقة ليست متمثلة في نقص الأعضاء أو زيادتها فقط، و لكن أيضا في اضطرابها.

تزداد المتطلبات الغذائية للمراهقين فيحتاجون إلى كمية أكبر من الطعام المتوازن لدعم النمو خلال هذه الفترة وتزداد الإحتياجات إلى أطعمة الطاقة بجانب ازدياد الحاجة إلى بعض المغذيات الدقيقة مثل: الكالسيوم، الحديد، الزنك، فيتامين أ.د.ب6، وحمض الفوليك وأيضا تزداد الحاجة إلى الألياف الغذائية.

-فلابد من تناول الغذاء المتوازن المتكامل في كل وجبة من اللحوم والأسماك و البيض و الخضروات و الفواكه.

يوضح الجدول التالي التوصيات الغذائية التي يحتاجها الفرد في هذه المرحلة والمصادر الغذائية الغنية بهذه الفيتامينات.

فيتامين أ	1000ميكروجرام / اليوم 800 ميكروجرام / اليوم	ذكور اناث	المصادر الاساسية له منتجات الالبان, البيض, الكبد,اللحوم,الاسماك الدهنية بينما المصادر النباتية تحتوي علي بادئ تخليق الفيتامين مثل الجزر, الخضروات الورقة الداكنة, البروكلي.
فيتامين د	10 ميكروجرام / اليوم	للجنسين	التعرض لاشعة الشمس
فيتامين ج	60 ملليجرام / اليوم	للجنسين	الفاكهة (الجوافة), الخضروات والليمون
فيتامين ب 12	2ميكروجرام/ اليوم	للجنسين	المنتجات الحيوانية
فيتامين ب 6	2 ملليجرام / اليوم 1.5 ملليجرام / اليوم	ذكور اناث	الحبوب الكاملة, الاسماك, البيض, الخضروات الورقية, الفاكهة
فيتامين ب 1 (الثيامين)	1.5 ملليجرام / اليوم 1.1 ملليجرام / اليوم	ذكور اناث	الخبز ,الحبوب,الفاكهة, الخضروت, اللحوم ,منتجات الالبان قليلة الدسم.
فيتامين ب 2 (الريبوفلافين)	1.5 ملليجرام / اليوم 1.3 ملليجرام / اليوم	ذكور اناث	الخبز ,الحبوب,الفاكهة, الخضروت, اللحوم ,منجات الالبان قليلة الدسم
فيتامين نياسين	18 ملليجرام / اليوم 15 ملليجرام / اليوم	ذكور اناث	الخبز ,الحبوب,الفاكهة, الخضروت, اللحوم ,منجات الالبان قليلة الدسم
الفوليك	150-200ميكروجرام/ اليوم	للجنسين	الخضروات الورقية- الردة- الخميرة- الكبد والكلاوي
فيتامين هـ (توكوفيرول)	10 ملليجرام / اليوم 8 ملليجرام / اليوم	ذكور اناث	حليب- بيض-لحم-خضار

إن التغذية وحدها غير كافية لابد من برنامج رياضي ينطلق من إمكانيات الأطفال وحاجياتهم. تعتبر المراهقة مرحلة حيوية في نمو الإنسان، حيث تتشكل فيها صحة الفرد المستقبلية وتكوينه الثقافي، كما يتم نضجه البيولوجي والجنسي وتطوره النفسي والاجتماعي، ويتعرض المراهقون في سن التكوين هذه إلى مؤثرات كثيرة منها ما هوخارجي عن نطاق الذات مثل: (الآباء، المعلمون، الأصدقاء، مقدمو الرعاية الصحية، وسائل الإعلام، قيم المجتمع الدينية والثقافية)، ومنها ما هوداخلي وتشمل (النضج البيولوجي الجسمي والتطور النفسي الاجتماعي). تعتبرالتربية البدنية من أهم وسائل المحافظة على الصحة والوقاية من المرض والنمو السليم، فهي وسيلة جيدة للترفيه وشغل أوقات الفراغ و في نفس الوقت صناعة جسد يُيسر إندماج المراهق إجتماعيا.

غالبا ما نخفي ما لا نريد أن يظهر، فإذا كان من الطبيعي أن يسعى المراهق لإظهار جسده و الإفتخاربه، نجد أن لعينة البحث رأي آخر يعتمد الإخفاء أكثر من الإظهار. سألنا المراهقين والمراهقات عن اللباس الذي يفضلون :هل تحبون لباسا يُظهر أجسادكم أم يُخفيها، فكانت أجوبتهم على الشكل التالي :

الفئات العمرية / طبيعة اللباس	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
يُظهر(ضيق)	9	12	24	8	53	%13.25
يُخفي(فضفاض)	71	68	96	112	347	%86.75
المجوع	80	80	120	120	400	%100

تدل كل هذه المؤشرات على اضطراب شخصية المراهقين و المراهقات، لا حرية في التنعبير و لا اللباس، و بالتالي تختل كل أشكال التعبير عن الذات، حتى لغويا يُخفي المراهق و لا يكون واضحا و صريحا إلا مع أصدقائه. لا ندعو هنا إلى حرية مطلقة، لأن هذا غير ممكن، و لكن نريد حرية مضبوطة كما قال "روسو"، و الضبط يكون بالحوار و احترام الحق في نمو سليم يسمح بإشراق شخصية المراهقين دون إحساس بالدونية، التي لا يمكن تجاوزها إن لم تُعالج في زمنها. يحتاج المراهق لغذاء سليم و تربية بدنية متوازنة ليرضى على جسده الذي يُعبر عن حضوره. تُولد مثل هذه الوضعيات إنغلاق المراهقين على أنفسهم و تقوقعهم داخل التقليد الذي يتشبثون به، ليس عن إقتناع و لكن لأنه الوحيد الذي يسمح لهم بنمط حياة مقبولة، يرضى عنها البالغون الذين يريدون ستر الجسد و إخفائه وراء ملابس فضفاضة، لا تعكس ما يريده المراهق و لا تعبر عنه بقدر ما تعبر عن إرادة البالغين من المراهقين و المراهقات.

إن زمن المراهقة، زمن العواطف و الأهواء و أهمها الحب. الحب مظهر من مظاهر حاجة الإنسان للآخرين و تعبير عن عدم كفاية الإنسان لنفسه. يريد المراهق أن يُحب و أن يُحَب في الوقت ذاته، و تُبنى هذه الحاجة على المظاهر الخارجية أولا: نحب وجها أو جسدا جميلين، علما أن معايير الجمال قائمة على الإكتساب، لأن الذوق خاضع للتعلم و بالتالي تُستمد معايير الجمال من الثقافة من الماضي، عندما نحب نريد أن نتماهى مع من نحب، و كأن حبنا حب صوفي لا يكتمل إلا بالحلول.

فما حظ المراهق القروي من هذا الفعل الأساسي للحياة و الإستمرارية ؟لنعرف سألنا المراهق و المراهقة السؤال التالي :هل تُحب/ين ؟

الفئات العمرية / هل تحب /ين	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الناث		
نعم	32	57	98	101	288	%72
لا	48	23	22	19	112	%28
المجموع	80	80	120	120	400	%100

لا يختلف المراهق القروي عن غيره من المراهقين فهو يُقدم استجابات طبيعية منسجمة مع مرحلته العمرية، لكن ما هي حدود هذا الإحساس ؟ هل يحتفظ به لنفسه أم يمتلك من الجرأة ما يسمح له بالتعبير عنه و التصريح به؟. إذا لم يتربى المراهق على الحرية و الجرأة و المسؤولية و الإستقلالية، هل يمكن أن يدافع عن مشاعره العاطفية، أم سيصنع وجوده الخاص و يعيش في عالم من التخيلات و الإفتراضات لا يعرفها إلا هو. لنتبين القدرة الإنفتاحية للمراهقين، سألناهم هل صرحوا بحبهم لمن يُحبون، و هذا سيُظهر التأثيرات السلبية التقليدية التي تُحرم كل ما هو جميل و نبيل في حياة المراهق، فقط لأنها لا تستطيع تنظيم هذا الإحساس. عدم القدرة على التوجيه و المساعدة تدفع البالغين إلى اعتماد لغة التحريم و في نفس الوقت تزويد المراهقات و المراهقين بتمثلات خاطئة عن بعض العواطف الإنسانية الضرورية للحياة كالحب.

كل أفعال المراهقين قد تتم في صمت، يتمرد المراهق ضد سلطة الأسرة و المدرسة و المجتمع في صمت، يعبر عن ذاته في صمت، يحب في صمت.

إن كثرة الصمت تعني كثرة من القهر و التسلط .

نسبة كبيرة من المبحوثين و المبحوثات تُحب و لكنها لا تُصرح بحبها، لنتأمل الجدول التالي :

الفئات العمرية / التصريح بالحب	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	2	7	18	11	38	%13.19
لا	30	50	80	90	250	%86.81
المجموع	32	57	98	101	288	%100

يكبر الطفل ويصبح يومابعد يوم مراهقاً و شابا مقبلا على الحياة بمعناها المكتمل، و هذه تجربة فريدة من نوعها في جمالها و قوتها و تمردها، في هذه المرحلة يميل المراهق للإستقلالية عن الأهل و الرغبة في الإندماج في مجموعات شبابية من جيله، يظهر الإهتمام بالجنس الآخر. المراهق نتاج لمورثات والديه، إضافة لما يكتسبه من تربية من بيته و مجتمعه و على الأخص تربية الأسرة.

للمراهق تمثل للعالم و للآخرين ولذاته، غير أن هذا التمثل ليس من إنتاج المراهق نفسه، لكنه غالبا ما يتبنى تمثلات الآباء و الأمهات، إنه يُطل على العالم و ينظر بعيون والديه و يفهم كما يفهمون، و بالتالي يحكم كما يحكمون، نعم قد يُظهر المعارضة في حضورهم و التمرد و لكن عندما يبتعد عنهم يتشبث أكثر بقيمهم و تمثلاتهم لكل الأفعال الإنسانية. هكذا قد يصبح الحب حرام و قلة أدب و عدم حياء، حتى أنه قد يصير فعلا باعثا على الخجل و السخرية. يصبح الحب عيبا من الضروري كتمانه و الإحتفاظ به للذات فقط.

أغلب أفعال المراهق يمارسها في صمت حتى أنه قد يحقق الإكتفاء الذاتي من كل شيئ فينغلق نهائيا عن الحياة في بعدها الإجتماعي .

عواطفة قوية و قوانين أقوى، وضعية صعبة بالنسبة للمراهقين و المراهقات إن لم يتم دعمهم بشكل سليم من طرف البالغين. يصل الجسد إلى الإكتمال النسبي و يرغب في تأدية مهامه الطبيعية، لكن عليه أن ينتظر و أن يُرجئ الفعل إلى حين توفر الشروط الأخلاقية للفعل. لا يستطيع المراهق أن يفهم هذا النظام و في نفس الوقت لا يستطيع كبح جماح ما يبتغيه الجسد، الوضع شبيه بحرب بين ماهو طبيعي في المراهق و ما ثقافي، و الحل دائما هو الصمت و الإنعزال و تصريف الطاقة الجنسية بأي شكل من الأشكال، سواء العادة السرية أو مع بنت العم أو الخال أو الجيران أو بعض الأصدقاء الذكور و أحيانا

حتى الحيوانات، و هذا أمر شائع في الأوساط القروية و البقرة و الحمارة و الكلبة،بل و حتى الدجاجة قد يشهدون على ذلك، و هذا لا يحتاج لإتباث فلكل بالغ قروي حظه من هذا عندما كان مراهقا.

في زمن الأنترنيت و تعدد القنوات الفضائية إزداد الأمر تعقيدا للمراهقين، و في نفس الوقت للمربين و الآباء و الأمهات، لأنه أصبح من السهل رُؤية ما كان في الماضي غير ممكن، أفلام جنس و من كل الأنواع و حسب كل الميولات تُؤجج عواطف المراهقين و المراهقات حتى تغيب قدرتهم على تدبير هذا الفيض من المشاعر، ليتحولوا إلى انعزاليين أو ثوريين متمردين على كل من يحول بينهم و بين المتعة، سواء كانت سلطة الأسرة أو المدرسة أو حتى سلطة الدين. يظهر من خلال هذا أننا بحاجة مستعجلة للتربية الجنسية و الدينية و سنبين لاحقا هذه الأخيرة.
يعمل الأنترنيت عندما لا يكون مراقبا على تسريع النمو و تحفيز بعض الأفعال أكثر مما هو معقول. أطفال يتعرفون إلى الجنس لأول مرة و بالشكل الذي يُقدم به، لا محالة أن هذه التجربة ستكون صادمة و قوية و قد تزرع الإضطراب في شخصية المراهقين و المراهقات. لنحاول أن نتقرب أكثر من عينة البحث لنعرف من أين يستمدون ثقافتهم الجنسية، خاصة عندما تغيب المعلومة من الأسرة و المدرسة.

الفئات العمرية / مشاهدة افلام جنسية	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	33	14	98	87	232	%58
لم يجيبوا	47	66	22	33	168	%42
المجموع	80	80	120	120	400	%100

طلبنا من المراهقين و المراهقات عدم الإجابة عن الأسئلة التي تبدو محرجة، و أخبرناهم أن عدم الجواب أفضل من الكذب، و بالتالي فمن لم يجب يحس بالإحراج والخوف من انتشار الخبر بين الآخرين، فعدم الإجابة إنما هو معطى في حد ذاته.
يمكن أن نستنتج أن عالم الجنس لم يعد أسطوريا كما كان و لم يعد فعل يصعب التحقق منه، بل أصبح متاحا و بشكل غير سوي لكل الناس سواء الأطفال المراهقين أو الشباب، بل و البالغون ربما أكثر.
غالبا ما تجتمع جماعة من المراهقين و تتفرج على شريط فيديو إباحي، يضحكون و يصمتون و يضطربون و بعدها قد يُصرفون قهرهم بأي شكل من الأشكال، يكون الأمر خطيرا عندما تتم هذه المسألة بمعية بالغين، لهذا سألنا المراهقين و المراهقات عن رُفقتهم و هم يُشاهدون هذه الأفلام.

الفئات العمرية / مع من تمت المشاهدة	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
بالغين	00	00	2	0	2	%0.5
أقرانك	28	14	70	59	171	%42.75
وحدك	5	00	26	28	59	%14.75
لم يجيبوا	47	66	22	33	168	%42
المجموع	80	80	120	120	400	%100

كثيرة هي الأشياء التي يتعلمها المراهقون من بعضهم البعض و غنية التجارب الجماعية التي يتشاركون، لأنها تتحول لموضوع للمناقشة و التحليل، ما يخيف فعلا هو نسبة 42% الذين لم يجيبوا، و كأن جروحهم لم تندمل بعد و لم تعد لهم ثقة في أحد خاصة الموضوعات المتعلقة بالجنس و ما هو حميمي بالنسبة لهم، غالبا ما يكون البالغون وراء اضطراب شخصية الطفل و يتطلب هذا حماية بعضنا من بعضنا الآخر، و ذلك لا يمكن أن يتم إلا بتفعيل القوانين التي تحمي الطفولة و الإنسان بشكل عام، و توعية الأسر لتعلم أبناءها كيفية حماية أنفسهم.كيف يمكن أن نحمي أبناءنا من المعلومة الخاطئة التي قد يتعلمها من أقرانه أو من بالغين غير مسؤولين أو من قنوات تلفزية إباحية ؟ تغيب التربية الجنسية في فضاء الأسرة و الدرس و المسجد مما يجعل المراهق و المراهقة يبحثان عن أجوبة لأسئلتها و لا يهمها مصدر المعلومة.

الكل شاهد أفلام جنسية و لكن أين ؟ سؤال قد يجيب عنه الجدول التالي:

الفئات العمرية / مصدر المشاهدة	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
لم يجيبوا	47	66	22	33	168	42
قنوات تلفزية	9	2	11	12	34	8.5
الانترنيت	21	12	81	63	177	44.25
شريط فيديو	3	00	6	12	21	5.25
المجموع	80	80	120	120	400	100

يمثل (العيب) المصطلح الأكثر التصاقا بالجنس في خيال المراهق.الحديث عن الجنس ممنوع مع البالغين، وممنوع التفكير به بشكل علني حتى لو أخذ هذا التفكير شكل الأسئلة البريئة أو الفضولية التي تبحث عن جواب.لقد أصبح من الصعب تجاهل التربية الجنسية، خاصة في زمن أصبحت فيه كل العوالم قريبة جدا و غير قابلة للمراقبة.

تعد شبكة الأنترنت التي تغلغلت في المجتمعات عامة ومن ضمنها المجتمعات القروية من أفضل ومن أخطر ما تم إكتشافه أو إختراعه في العالم المعاصر، و هي سلاح ذو حدين، كلاهما حاد سواء إيجاباً من خلال ما يقدم من علوم وثقافات أو سلباً بكل ما فيها من إباحية وإفساد لأخلاق الشباب والمراهقين و الأطفال .

وجميع إيجابيات هذه الشبكة وسلبياتها يكمن في حُسن أو سوء إستخدامها والطريقة التي من خلالها نربي أبنائنا على استعمالها و نعلمهم كيفية انتقاء المعلومة.

كثيرة هي الصعوبات التي يواجهها المراهق و المراهقة خاصة في الوسط القروي حيث تُغلف بعض الأفعال الحياتية بالخرافة و الغموض و التستر في زمن فضح الأنترنيت فيه كل شيء، فهل يحتاج المراهقون و المراهقات للتربية الجنسية؟سألناهم و كانت أجوبتهم كالتالي:

الفئات العمرية / التربية الجنسية	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
ضرورية	33	14	98	87	232	%58

غير ضرورية	20	9	10	13	52	%13
حشومة	27	57	12	20	116	%29
المجموع	80	80	120	120	400	%100

تعتبر الثقافة الجنسية هي معرفة قواعد السلوك و التصرف التي تخص الفعل الجنسي. الإنسان كائن طبيعي مثل باقي الكائنات الأخرى، لم يُلقى بهم في العالم هكذا جزافا، بل زُود كل كائن بطريقة فعله أو الأفعال المخصصة له. تُملي الطبيعة علينا أفعالنا، إذن، فنتصرف وفق القوانين المنظمة لفعل أي كائن. نأكل و نشرب و نتكاثر و هي أفعال لم تخترها الكائنات بل كلها مجبرة على التصرف وفق النظام الطبيعي الذي يتحكم في الجسد مباشرة دون حضور إرادة صاحبه. لكن الإنسان كائن مختلف، لم يتشبع بالسلوكات الطبعية أو لم يحافظ على نفس كيفية إنجازها. لقد هذب الإنسان كل أفعاله الطبيعية لتناسب حياته الثقافية أوالمدنية. لم يتخلص من الفعل بل وضع نظاما لكل فعل، و هذا ما يسمى عادة بالأخلاق، أي قواعد السلوك و التصرف. مشكلة المراهق أنه غير مسموح له بالتصريف الطبيعي لطاقته الجنسية دون اعتبار لكل التعديلات التي أُدخلت على الفعل، و في الوقت ذاته لا نُعلمه قواعد السلوك خاصة في ماهو جنسي. لا نعلمه و لا نتركه على سجيته و هذا اضطراب و وضع لا يمكن تقبله إلا بالقهر سواء كان عنفا فزيائيا أو تلاعب ديماغوجيا بعقول المراهقين و المراهقات.

يتخوف الآباء والأمهات عادة من أسئلة الأبناء الجنسية المحرجة، و قد يتهربون من شرح الموضوع لهم، فقط لأنهم لا يعرفونها، ففاقد الشيء لا يعطيه، و من كثرة الصمت أصبح الوهم يتحول إلى حقيقة من شدة إيماننا ببعض المعتقدات الخاطئة و الانتقائية في طبيعة التربية التي نقدمها للطفل. إن هذا الإحتكار للمعرفة إن وُجدت أو الجهل بطرق التبليغ، حالة لم يعد يقبلها لا العقل و لا الدين و لا الثقافة، ليس من حق البالغين منع أفعال فقط لأنهم يجهلون طُرق فعلها.

إبتداءا من سن العاشرة عند الطفل، والثامنة عند الفتاة، تبدأ عملية شرح التغيرات الهرمونية التي ستظهرخلال مرحلة المراهقة، وتقدم هذه التحولات على أنها نمو طبيعي و ترقية ومسؤولية. من الواجب على الأم أو المربية إخبار الفتاة بكل ما هو قادم و جعلها مستعدة بالفهم أول،ا ثم طريقة الفعل. سيخفف هذا من حدة الصدمة أو الخوف خاصة أن الفتاة تكون على علم مسبق بما سيحدث و بالطريقة السوية للتصرف. أساس هذا الحوار هو الصراحة بدون حرج وبشكل واضح، لأن الفتاة إذا شعرت أن الأم أو المربية لا تعطيها المعلومة كاملة فإنها ستبحث عنها وتصل إليها من مصدر آخر، لا نعرفه قد يكون غير مسؤول و غير تربوي.
واجب الأب أو المربي أن يخبرا الطفل بكل التغييرات التي سيشهدها جسده، خاصة في مرحلة المراهقة. ولا بد من إعلامه بأن السائل المنوي قد يقذف أثناء نومه، وأن القذف الذي ترافقه لذة هو ظاهرة طبيعية، لأنها دلالة على رجولته، ولكن يُتبع ذلك بتعليم القواعد الخاصة بالطهارة والغسل ثم شرح الفعل بشكل واضح.لنعلم أبناءنا أن الميل إلى الجنس الآخرأمر طبيعي، لكن ليس بالشكل الذي نريد و لا في الوقت الذي نريد، عليه أن يدرك النظام الثقافي وعلينا إقناعه بالحجة على أن الحياة المدنية أفضل من الهمجية و الحيوانية، و في نفس الوقت نوجه طاقته نحو أفعال أخرى لا تقل أهمية عن الفعل الجنسي.

وطيفة التربية هي الإنتقال بالطفل من مجرد كائن إلى شخص يمتلك من القدرة على التفكير والفعل ما يسمح له بحياة كريمة، و قد أدركت كل الثقافات و الشعوب قيمة التربية فأولتها إهتماما خاصا، لأنهاعرفت أنها أساس التطور الانساني، رسمت خططا للتربية في الأسرة و الشارع و المدرسة و أماكن العبادة، و وظفت كل هذه المؤسسات لتهذيب سلوكات الإنسان حتى تستقيم و الحياة المدنية المطلوبة.

إن وظيفة التربية هي مساعدة الأطفال على إشراق شخصيتهم وفق تعلُم يقوم على الإكتشاف الذاتي للعالم و للذات والاخرين، و تكون وظيفة البالغين هي المرافقة و الدعم الذي يعني توفير شروط الحياة ومجال يسمح بالتفكير و التعبير و الإبداع. لا تمتلك الأسر في منطقة البحث ما يكفي من المعرفة و لا من الدعم ما يسمح بإشراق شخصية الطفل أوالمراهق في الوسط القروي، و لنتعرف إلى ذلك سنحاول أن نقترب من تمثل المراهق لذاته، علما أن هذا التمثل هو من إنتاج الظروف المحيطة به، لنتبين ذلك من خلال الجادول التالية :

الفئات العمرية / تقويم الذات	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	سب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
خجول	36	42	87	93	258	%64.5
جريء	13	15	4	6	38	%9.5
خواف	31	23	29	21	104	%26
المجموع	80	80	120	120	400	%100

تعتمد التربية التقليدية على الخوف و الصمت و إعطاء الأوامر و هذا ما يجعل الأسر تعيد إنتاج ذاتها، فهي تربي بنفس الطريقة التي تلقتها هي، وهذا خرق لحقوق المراهقين والمراهقات أو الطفولة بشكل عام. ما نلاحظة هو سوء تقويم المراهقين و المراهقات لذواتهم، يعرفون أمراضهم و يحاولون التعايش معها. إن كثرة القمع و محدودية هامش الحرية تدفع بالمراهقين إلى الإنعزال و الإنغلاق أو الإنفجار و التمرد بشكل خطير، لنحاول ،إذن، أن نتفادى رعبا مُتوقع إن لم نغير طريقة تدبيرنا للرأسمال البشري.

كل شخص يحمل من العقد ما يكفيه، عقد قد تجعلنا لا نحب أنفسنا أوعلى الأقل لا نرضى بما نحن عليه، و لكن لامفر من شخصية نُحتت بشكل خاطئ، لهذا يحاول المراهقون و المراهقات التعايش مع أجسادهم

و أهوائهم حتى و إن كانت لا تُعجبهم. لنستمر في معرفة تقويم المراهقين لأنفسهم من خلال محاولة بلوغ تمثلهم لأنفسهم و بالضبط قبولهم أوعدمه لشخصيتهم .

الفئات العمرية / حب الشخصية	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	34	29	53	45	161	%40.25
لا	29	36	55	56	176	%44
لا أعرف	17	15	12	19	63	%15.75
المجموع	80	80	120	120	400	%100

ينظر الإنسان وجهه في المرآة فيستحسن المشهد أو يستقبحه، يتأمل تقاسيمه كلها : الأدن، الأنف، العين، إستدارة الرأس، لون ونعومة الشعر، بياض الأسنان و جمالية ترتيبها، لون الشفاه و حجم الفهم و الخدين ، و إن كان المراهق محظوظا بتوفره على مرآة و غرفة خاصة سيتأمل كل الجسد بعناية دقيقة فيُعجب بهذا العضو و يُحس بالضيق من عضو آخر. يعيش كل إنسان هذه الوضعية حتى البالغين منهم، غير أن البالغ يمتلك من الإمكانيات ما يسمح له بالتعويض عما ينقص جسده مقارنة بالمراهقين و المراهقات.

جُبل الإنسان على حب الجمال في ذاته أولا، ثم في الآخرين والعالم، و بما أن المراهق إنسان فهو لا يشكل استثناءا هنا، بل تعتبر قضية جمال الجسد من إهتمامات المراهقين والمراهقات الأولية و التي يجب أن ينتبه إليها البالغون، هذا ما قد نسميه بالتربية الذوقية لأن قبول الذات أمر ضروري للحياة.

يعتبر الرضى عن المظهر الخارجي الوسيلة الأولى الضرورية لإنفتاح المراهقين على محيطهم السوسيو – ثقافي دون تردد أو خوف من عدم نيل إعجاب الآخرين.

إن تقبل الجسد هو أساس الثقة التي يعتمدها المراهقون و المراهقات، ثقة في جمال وجوههم وأجسادهم . ليست الإعاقة أن تنقص بعض الأعضاء أو أن تختل وظائفها، بل الإعاقة هي كل ما يجعلنا لا نرضى على أجسادنا، إنها علاقة مضطربة بين إنسان و جسده. غالبا ما يكون للجسد حظ كبير في التأثير على

الشخصية بشكل عام و بالتالي تحديد أنماط الأفعال المستقبلية لهذه الفئة العمرية.يسمح قبول الجسد و تقبل حظنا من الجمال بإشراق الإنسان بشكل عام و تمتعه بنوع من الطمأنينه والأمن. لكن، ماذا يحدث عندما لا يُعجب المراهق بجسده و يُحس و كأن الجمال لم يُوزع بشكل عادل بين الناس؟

إن الوجه هو الظهور الأول، ما نقدمه تعبيرا عن الأنا، و لا يمكن تبديله أو تغييره، على الأقل بالنسبة لبعض الناس، لكن يمكن إخفائه بالهروب الدائم من نظرة الغير و من المجتمع بشكل عام، لأن الآخرون أصبحوا جحيما كما قال "سارتر"، أصبح الغير وسيلة تعذيب للأنا، و أنا المراهق لم يكتسب بعد مهارات الإخفاء و يميل بحكم طبيعته إلى أن يكون مُحبا و محبوبا في نفس الوقت. إن تقويم المراهق أوالمراهقة

لنفسه على أنه قبيح بداية غير مُوفقة في عملية بناء الشخصية، لأن المراهق يرفض جسده و يتمنى لو كان شخصا آخر، لتبدأ عملية التقليد أوالمحاكاة لمن يريد أن يكون مثلهم. تُنتج هذه الوضعية حالة من التبعية التي تعني غياب إستقلال الذات والتماهي مع ذوات أخرى و فعل أي شيء لنكون غير ما نحن عليه. يدفع عدم قبول المظهر الخارجي إلى الإنغلاق و الإنعزال و العزوف عن الحياة الجماعية. يكره المراهق جسده و تنتقل الكراهية إلى كل شيء ، الأسرة، المدرسة، القيم، قد يكره الحياة ككل لأنها لم تُنصفه، فيتحول إلى متمرد عاص يرغب في الإنتقام من الكل، هكذا يتحول المراهق إلى شرارة نار تجعل منه إما مجرما عنيفا أو إرهابيا أو يتحول إلى ناسك مُتعبد و كأنه في السبعين من عمره .

يتعايش المراهق مع أشياء كثيرة قد لا يحبها، سلطة الآباء و المجتمع و المدرسة والأخلاق والجسد، غير أن المراهق الذي تلقى تربية تقليدية لن يكون إلا تقليديا و سيعمل على إستمرارية بعض الأعراف السلبية التي لا تعير كبير إهتمام للجسد و صحته و جماليته، فقط لأننا لم نحصل على حظنا من الصحة و الجمال.

من حق المراهق أن يبدو جميلا أوعلى الأقل من حقه أن يُدرك كيف يمكن أن يبني الجمال في ذاته. يحتاج المراهق إلى تغدية سليمة و تربية بدنية متوازنة و الأهم هو تعزيز ثقه في نفسه، لأن الجمال يأتي من داخل الذات و ليس من خارجها. لنعلم أبناءنا أن النظافة تصنع الجمال و لنربيهم على الإهتمام بجسدهم و صحته و لنعمل على إحداث نوع من الألفة بينهم و بين النظافة(غسل الأسنان و الأرجل و الأستحمام المنظم و طُرق الطهارة)، و في الوقت نفسه علينا توفير الشروط الضرورية للحياة و أولها جسد تقبل الأنا أن تنخرط فيه، لأن عدم الإنسجام مع الذات وعدم إقتناع المراهقين بأنفسهم مؤشر دال على الإضطراب، و نحن نعلم جميعا أنه لم يسبق للإضطراب أن صنع مواطنا و لا وطنا.

صعب على المراهق أن يخجل من وجهه و من جسده، لكن الأصعب هو أن يخجل من أسرته، من فقره، من هويته، لأن هذا انكسار يفصل بين المراهق و جدوره التاريخية و بالتالي يساعد على إجتثاثه من تربته الأصيلة.

لا نخجل من أفعالنا أو أحوالنا إلا عندما نعترف أن أفعالنا أوأحوالنا، فعلا، مُخجلة. يأتي الخجل من الداخل و ليس من الخارج، إذن. لا يتحقق الخجل من دون وعي، و يعني أننا لسنا كما يجب أن نكون أو

على الأقل لسنا كما نريد أن نكون. وجود الخجل يُلغي الحق في الخطأ، ليصبح هذا الأخير عيبا في حين أنه مطلوب كفعل من أفعال التعلم والفهم للذات والعالم و الآخرين.

إن الخجل شعور بالضيق أوالكبت بسبب مواقف شخصية، مما يثني المراهق عن متابعة تحقيق أهدافه الشخصية أو العملية . عادة ما يبتعد الخجول عن الآخرين، لا يثق بالغير و متردد في الإقدام والإلتزام ، لا يميل إلى المشاركة في الأنشطة الاجتماعية مفضلا البعد والصمت أو الحديث المنخفض، أو الإنزواء ، وعادة ما يضطرب المراهق ويحمر وجهه ويختفي خلف المقاعد أو الستائر و الأصدقاء عند مجابهة الغرباء، بالرغم أنه قد يكون طبيعي جدا مع أسرته أوالبعض من أصدقائه. ليس الخجل إختيارا ذاتيا، لا أحد يجلس ويقول " حسنا أعتقد أنني سأكون خجولا اليوم ". إن الخجل

شيء يحدث تلقائيا. يخجل المراهق من قُبحه و من فقر أسرته، من وظيفة الأب، و وظيفة البالغين هي محاربة الخجل، خاصة المرضي منه.

أصبح العالم اليوم جزيرة أغنياء تحيط بها بحارمن الفقراء، و الفقر لا ينتج إلا الجهل و التخلف الذي يعتبر مزيدا من الخجل والإنغلاق والإرهاب وأشياء أخرى قد تكون أكثر رعبا ما زالت تنتظ، إن لم نغير فهمنا للإنسان، و إن لم نوفر له شروط الحياة الكريمة التي نحن مسؤولون عنها. يُخجل الفقر في منطقة البحث المراهقين والمراهقات، والخجل هو عدم الرضى على ما نحن عليه و قد يتحول إلى بؤس عندما نعجز عن تجاوزه، لنتأمل هذه النسب المعبرة بالفعل، على الأقل بالنسبة لتازناخت الكبرى.

الفئات العمرية / الخجل من فقر الأسرة	من10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
نعم	36	57	94	85	272	%68
لا	44	23	26	35	128	%32
المجموع	80	80	120	120	400	%100

يُنتج الفقر قيمه الخاصة به والتي تعمل على توجيه أبناء الفقراء لتختل القيم بالنسبة لهم أو على الأقل تُختزل في الغنى و ليس في المعرفة أوالعلم .أمر طبيعي أن يرتبط تمثلهم للسعادة بالمال، لأنهم يرونه في مجتمعهم الكبير والصغير و يدركون دوره في صناعة قيمة الإنسان، كما أنهم يدركون أن العلم و المعرفة تعني في مجتمعهم مُصادقة الفقر والحاجة وكأنهم يقولون :العلم لا ينفع في بلدي، فأغلب العلماء فقراء و نسبة كبيرة من الأغنياء جهلاء،هكذا تتغير القيم و يقوم المجتمع على البراغماتية عوض القيم الإنسانية الكونية. سألنا المراهقين و المراهقات عن تمثلهم للسعادة، فكانت أجوبتهم كالتالي:

الفئاتا العمرية / أساس السعادة	من 10 إلى 14		من 15 إلى 19		المجموع	النسب%
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث		
المال	63	59	103	107	332	%83
العلم و المعرفة	8	12	17	6	43	%10.75
السلطة	9	9	00	7	25	%6.25
المجموع	80	80	120	120	400	%100

إن مفهوم السعادة من المفاهيم الغامضة عند أغلب الناس، إذ كل واحد يؤسسها على حاجياته و بالتالي ترتبط السعادة بتلبية و إشباع الحاجات، غير مُدركين أن السعادة ليست إشباع للحاجيات وأنما هي تحقيق للذات، و شرط حيازتها هو العقل و المعرفة و في نفس الوقت الإجتماع، لأن السعادة تتحقق في التجمعات السكنية الكبرى أكثر من الصغرى نظرا للخدمات التي تُقدمها التجمعات السكنية الكبرى.

ليست السعادة قضية فرد أوذات منعزلة، إنها قضية إنسانية، قضية تسيير و تدبير للرأسمال البشري في رقعة جغرافية معينة. ليست السعادة فردية ولا عشوائية، إن سعادة المواطنين أصبحت مهمة من مهام الدولة، فقط لأنها حق إنساني. تكمن سعادة المواطن في الأمن، أو بالأحرى هي عملية تأمين للمواطنين ضد الجهل والفقر والفيضان والحريق والظلم والإستبداد والطغيان، هكذا يُدرك الناس السعادة و يعتبرونها من واجبات الدولة تجاه مواطنيها، من الواجب على الدولة أن تُسعد مواطنيها و ذلك باحترام حقوقهم و العمل على ضمانها. كل القوانين و الدساتير وظيفتها إسعاد الإنسان،لأن السعادة هي القيمة

التي ما بعدها قيمة، لم يُؤسس الإنسان الدولة إلا من أجل هذا الغرض، وطلب السعادة لم يعد غامضا كما كان، إن السعادة تكمن في تأمين المواطنين ضد كل ما دكرناه سابقا. تكمن سعادة الإنسان في إحترام حقوق الإنسان .

إن ارتباط السعادة بالمال، تمثل ناتج عن الأضرار النفسية التي خلفها الفقردون أن يُدرك الإنسان أن سبب فقره هو الجهل وهو خلط بين الغايات و الأدوات.

الخاتمة

أن وظيفة التربية هي تنشئة الفرد بحيث يصبح قوي البدن وحسن الخلق و قادرا على التفكي، مُحبا لوطنه مُعتزا بهويته، مُدركا لواجباته و مُزودا بالمعلومات التي يحتاج إليها في حياته، ومتمكنا من كل المهارات المطلوبة للوجود الإنساني. إنها ترقية لجميع أوجه الكمال التي يمكن ترقيتها في الفرد، وتقوم على التفاعل بين الطفل والأسرة، لهذا تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية من البيت بواسطة الأسرة، فهي الوكيل الوحيد قبل أن تنتقل هذه الوكالة إلى المدرسة. إن التنشئة الاجتماعية الأسرية هي القاعدة الأساسية لتنشئة الطفل وهي تؤثرفي كل مراحل نموه. وبما أن الوظيفة الأساسية للأسرة هي تنشئة الأطفال فإن مسؤوليتها صعبة، لأنها مطالبة بتحضير الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية. إن التعامل مع الطفل بإيجابية ومحبة، واحترام فرديته، يساهم في تفتح شخصيته، وتنمية قدراته الإبداعيَّة، وهذا موكولٌ للأسرة التي تستطيع أن تهيئ له فرص التفكيرثم التعبير عن أفكاره بكل جرأة و حرية .

إنَّ التنشئة الاجتماعية الأسرية القروية تُجمِّد أو تدمِّر معظم المقومات الإنسانية. وغالبا ما تعمل المدارس على تغذية ودعم ما بدأته الأسرة مع أبنائها في مرحلة الطفولة المتأخرة، لأن الأب كما المدرس مرجعيتهما ثقافة تقليدية في مجال التنشئة الاجتماعية. يتأثر سلوك الأسرة (الأب والأم) بشروط البيئة والثقافة والمعتقدات السائدة والقيم الاجتماعية، و يتم فرض هذه الثقافة بعنف لأن الأسر لا تمتلك أدوات الحوار المتمثلة في العلم و المعرفة.

كما تكون الأسرة تكون الدولة، لأن الأسرة هي الخلية الاجتماعية الصغرى التي تعكس الدولة بشكل عام، إن كانت الأسر تقليدية فهذا يعني أن الدولة تقليدية حتى و إن إرتدت أحدث ملابس العص، لهذا يمكن التصريح أن أساس الإصلاح هو إعتماد مقاربة علمية مُشبعة بروح الوطنية والتوجه مباشرة إلى العوائق التربوية في الأسرة أولا، ثم في المدرسة مع التركيز على الأسرة لأنها هي الأساس.

لم تكن التنشئة الاجتماعية، يوما، عملا عشوائيا ممكنا لكل الناس، إنها تربية لا يمكن أن تتحقق إلا بالعلم و المعرفة و هي عملة نادرة في الأوساط القروية.

يعاني المراهق القروي من عدم فهم الأسرة و المدرسة و الشارع و كل المؤسسات الأخرى له، لا ينمو كما يجب و لا يستطيع أن يعبر عن ذاته حسب إرادته، إما لفقر مالي أو لفقر عقلي وفي الغالب هما معا.

إن ما يهمنا من الفاعل هو فعله، لأن بهذا الأخير يتحقق الإنسان ويعبر عن ذاته، غير أن المراهق في منطقة البحث يحب في صمت و يرفض في صمت، يصرخا صامتا و يعبر دون أن يُسمع، يحس بالتهميش واللمبالاة والإقصاء، لكنه أحدث ألفة بينه و بين هذه الإساءات و أصبح مطالبا بالتكيف معها من أجل أن يحيا فقط، إنه مواطن غير فاعل.

مأساة الفتاة أمر مرعب حقا، مجتمع ذكوري بامتياز وعائلة ممتدة مشبعة بالتمثلات السلبية للفتاة والمرأة بشكل عام. أصبحت الفتاة في منطقة البحث آلة للنسيج والإنجاب فقط. إن بلوغ المغرب الذي نريده بعيدا عن الجهل والأمية و التخلف، لا يمكن أن نُحققه إلا بالإبتعاد عن السياسوية التي تعني التلاعب بالناس و مصالحهم من أجل أغراض حزبية ضيقة تنتهي في صناديق الإقتراع لتتحول هذه الأخيرة لمقابر تستقبل أحلام المواطنين. لا أحد يحب الجهل و التخلف كما أنه ليس باستطاعة الكل محاربة هذه العوائق، لهذا علينا التفكير علميا ليس من أجل صناعة الحلول ولكن من أجل تحليل وفحص دقيق يحدد مكامن العطل، لأن التشخيص الخطأ قد يقتل كل الوطن. يُحمل كل المهتمون بتجاوز التخلف المسؤولية للمدرسة، و بالتالي المنظومة التربوية بشكل عام. إن فشل المنظومة التربوية في تحقيق الأهداف المنتظرة منها،و الإصلاحات التي استهدفت هذه الأخيرة لم تُنتج حلولا فعالة إلى حدود الساعة، إذ ما زال الكل يُفكر في الكيفية التي يمكن من خلالها إصلاح المنظومة التربوية لتخرج من العطالة إلى الفعل العقلاني الحداثي ، لكن الكل يحاول الإصلاح من داخل المنظومة، غير أن المشكل الفعلي يوجد خارجها والتدخل يجب أن يكون في مؤسسات أخرى قبل المدرسة وإلا لن نخرج من دائرة الزمن الخلدوني.

> يرى تالكوت بارسونز، أن الأسرة تؤدى وظيفتين مهمتين هما: التنشئة الأولية وإستقرار الشخصية. التنشئة الأولية هي العملية التي يتعلم فيها الأطفال القيم والمعايير والقواعد الثقافية للمجتمع الأم. وإستقرار الشخصية يشير إلي الدور الذي تلعبه الأسرة في مساعدة أعضائها. لا تُفهم مؤسسة الأسرة إلا من خلال علاقاتها مع المجتمع ككل، فالأسرة هي النواة الأولى التي يتلقى فيها الطفل كل القواعد، التي ستطبع شخصيته في المستقبل، ثم تأتي المدرسة في المقام الثاني و هي تعمل على بلورة شخصية الطفل واستكمالها معرفيا ومهاريا، ثم المجتمع بكل مؤسساته التي تتدخل في بناء شخصية الطفل.
> تسعى كل هذه المؤسسات الاجتماعية، الأسرة والمدرسة والمحيط، إلى تكوين فرد قادر على الإنخراط في المجتمع والمساهمة فيه. لكنها في بعض الأحيان، قد تحيد عن مهمتها وغاياتها لإنعدام الترابط والتكامل بين معطيات المدرسة وأسس الأسرة مما ينجم عنه خلق شخصية مضطربة مؤهلة لكل أشكال الانحراف.

أدرك المغاربة منذ زمن بعيد، أن سرالتقدم هوالمعرفة والعلم، وعملوا بكل الأشكال المتاحة لهم لتحصيل أدوات التقدم و في نفس الوقت نقلها للأجيال اللاحقة. كان النقل تقليديا و النقل تعليم و تربية، أي تزويد المواطنين بما يسمح لهم أن يُؤدوا وظائفهم كاملة بالنسبة للمجتمع.
غير أن هذه التربية لم تكن مؤسسة علميا لأنها لم تقم على معرفة منطقية لموضوع بحثها، لم تحاول أن تعرف الإنسان، بل عملت على تطويعه و تهذيب سلوكاته وفق ما تم الإتفاق عليه داخل المجتمع. لكن التطور السريع الذي عرفه العالم و التراكمات المعرفية التي خلفها سواء حول الإنسان أوالعالم أوالآخرين، غيرت مفهوم الإنسان و عندما يتغير الفهم للإنسان يتغير كل ما يدور في فلكه.
أصبح الإنسان ذاتا مفكرة مبدعة حرة واعية لها كرامة و تستوجب الاحترام، و ما الإحترام إلا إعتراف بإنسانية الإنسان. إذا تغير فهمنا للإنسان فهذا يقتضي تغيير تصورنا للدولة التي تلائم هذا الانسان الجديد، يحتاج إلى تربية تخضع كذلك لمبدأ احترام حقوق الإنسان.
أظهرت التغيرات العالمية أننا لا نتغير كما يجب وأن المنظومة التربوية لا تحقق الأهداف المنتظرة منها، فانطلق الجميع في البحث عن حلول تسمح لنا بالخروج من التخلف.
تُستمد الحلول من تشخيص مكامن العلة، غير أن التشخيص الخاطئ قد يقتل، و إن لم يفعل سيُعطل عملية الإصلاح و يجعلها صعبة.

لا تختلف، تقريبا، كل الجهات المعنية بإصلاح المنظومة التربوية في المغرب على أن العطل كامن أولا في المؤسسة التعليمية، و بالضبط بين العناصر الثلاثة: المتعلم/المعلم/المعرفة.

لم يظهر الميثاق الوطني للتربية والتكوين في أكتوبر سنة 1999، من فراغ. لقد جاء نتاجا لخطاب ملكي قوي حول إصلاح التعليم، كان هدف الملك المرحوم الحسن الثاني واضحا، أراد أن ننتقل بالمدرسة من تعليم الأفكار إلى تعليم التفكير، و هذه قفزة نوعية في تحديد وظائف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، خاصة تلك المعنية بالتربية و التكوين.

لم يغفل الميثاق الوطني للتربية والتكوين أمرا يتعلق بالتعليم إلا قاربه وعمل على إصلاحه: من الغايات والأهداف، تعميم التمدرس، التنظيم البيداغوجي، تكوين المدرسين وتحسين أوضاعهم،غير أنه لم يضع الأسرة في موضعها الصحيح، لينحصر إصلاح المنظومة التربوية في جعل الطفل أو المتعلم في قلب الإهتمام والتفكير والفعل خلال العملية التعليمية التعلمية،دون النظر إلى التربية التقليدية الأسرية التي تلقاها من قبل. المطلوبإذن، مدرسة مفعمة بالحياة تقوم على التعلم الذاتي و تسمح بإشراق شخصية الطفل بشكل سليم، مدرسة منفتحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة من أجل التصحيح، لأن وظيفة المدرسة هي توجيه محيطها و ذلك بتطبيق ما نكتسبه في المدارس. وظيفة المدرس هي مساعدة المتعلم على الخروج من الكهف الأفلاطوني ، كهف الجهل و غياب المعرفة، و بعد ذلك يقوم المتعلم بإخراج مجتمعه من الجهل والتخلف.

كان من الضروري تقويم نتائج الميثاق الوطني للتربية والتكوين، قام المجلس الأعلى للتعليم بهذا العمل، لم تكن النتائج مُطمئنة فكان من الضروري صياغة مخطط إستعجالي، لأن المنظومة التربوية في خطر و تحتاج لإنعاش فوري.

كان المبدأ الموجه للمخطط الإستعجالي هو جعل المتعلم في قلب المنظومة، وجعل باقي الدعامات في خدمته، هذا نفسه ما ورد في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، إذ صرّح في أول نقطة في الغايات الكبرى، أن إصلاح التربية والتكوين ينطلق من كون المتعلم عموما والطفل خاصة في قلب الإهتمام والتفكير والفعل من خلال العملية التربوية التكوينية. إهتم البرنامج الإستعجالي بالرفع من كفاءة المدرسين المهنية(التكوين المستمر)، إلزامية التعليم أو التمدرس إلى سن 15 سنة، تحفيزروح المبادرة و التميز في الثانويات والجامعات، النظر في المشكلات الأفقية للمنظومة التربوية ثم توفير جميع وسائل نجاح مدرسة النجاح.

من الميثاق الوطني للتربية والتكوين وما تضمنته أجزاء الكتاب الأبيض، إلى المجلس الأعلى للتعليم ثم المخطط الإستعجالي،عملت كل هذه الآليات على إصلاح المنظومة التربوية، لكنها فشلت، أو على الأقل لم تنجح بعد، و حجة فشلها الخطاب الملكي الأخير حول التعليم.

يقول الملك "محمد السادس":" غير أن ما يحز في النفس أن الوضع الحالي للتعليم أصبح أكثر سوءا، مقارنة بما كان عليه الوضع قبل أزيد من عشرين سنة، وهو ما دفع عددا كبيرا من الأسر، رغم دخلها المحدود، لتحمل التكاليف الباهظة، لتدريس أبنائها في المؤسسات التعليمية التابعة للبعثات الأجنبية أو في التعليم الخاص، لتفادي مشاكل التعليم العمومي، وتمكينهم من نظام تربوي ناجع. وفي هذا الصدد، نذكر بخطابنا للسنة الماضية بمناسبة ذكرى 20 غشت، والذي حددنا فيه التوجهات العامة لإصلاح المنظومة التعليمية، ودعونا لتفعيل المقتضيات الدستورية بخصوص المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي..."

هناك إرادة قوية للإصلاح، غير أن الإصلاح المتكرر هو هدرللمال وللزمن وللرأسمال البشري، و ما نلاحظه هو أن كل المهتمين يتحركون داخل مثلث:المعلم /المتعلم/المعرفة، وهذا إغفال خطير لمؤسسة لها الدور الكبير في إنجاح المنظومة التربوية أو فشلها، و هي الأسرة التي تُعتبر أول خلية إنتاج و أساس الدولة ككل.

يكمن مشكل المنظومة التربوية في الأسرة لأنها هي المُحضر الأولي للطفل، الذي سيلتحق بالمدرسة من أجل إكمال تعلمه الذي بدأ في المنزل وبطريقة تقليدية. إن الأسر لا تمتلك من العقل ولا من المال ما يسمح لها بتربية أبنائها وفق متطلبات وإمكانيات العصر. تعتبر المراحل العمرية الأولى في حياة الطفل مهمة بشكل قوي جدا، ففيها يأخذ الطفل مبادئ الحياة و يتعلم بعض القيم و بعض الأفعال، لكن السؤال المطروح :هل يمكن تجاوز العلل التربوية التي خلفتها الأسرة في مؤسسة المدرسة؟.ما لم يُصلح في زمنه يصعب إصلاحه لاحقا. تبني المدرسة شخصية الطفل على الأسس التي رسختها الأسرة في المتعلم: يحضر الطفل إلى المدرسة مُشبعا بالخوف من كل شيئ، من الظلام والآباء والمدرسين، يحمل تمثلات والديه السلبية عن التعليم والمعرفة. إنه غير مسؤول بحيث يبحث دائما عن وصي يُخبره طرق

الفعل والتصرف، لم يتعود التفكير أو التعبيرأو الجرأة على الفعل داخل فضاء الأسرة و المدرس،غالبا، ما لا يمتلك الزمن ولا الإمكانيات لفعل ذلك.

لا وجود لوالدين لايحبان أطفالهما، لكن الجهل قد يحول الحب إلى إعاقة تحول بين الطفل وإشراق شخصيته. كثيرة هي الإختلالات التي يُحضرها الطفل من الأسرة إلى المدرسة، خاصة في الأوساط القروية حيث ترتفع نسبة الأمية و الفقر.

تعتبر الأسرة أصغر خلية إجتماعية، و عندما نقول خلية يجب أن ندرك أنها أساس بناء الجسد ككل و أصله فهي النسخة الحية المعبرة عنه. إن الدولة جسد يتكون من عدد هائل من الخلايا وكل خلية تعبرو تعكس الدولة، حتى أنه يمكن أن نقول أن الأسرة أكبر من الدولة. يمكن أن توجد أسر دون أن توجد الدولة و لكن لم يسبق أن وُجدت دولة دون أسر. إنها الأساس وأول المؤسسات، و كل إصلاح علمي يمكن أن يكون، لا يمكنه أن يتجاوز هذه المؤسسة الاجتماعية.

تفتقر الأسر في منطقة البحث إلى القدرة على تجاوزالفقر والجهل لتمارس دورها الفعلي في المشروع التنموي الوطني العام. تحمل الأسر تمثلات سلبية عن التعليم، و يظهرهذا بشكل عام في تمثلنا للمعلم، صاحب الحكايات الجحوية مع الجوع والفقر، هو الكعلم، صديق الطماطم والبيض وعلب السردين، كما أنه أساس النكتة المغربية. لقد صنعنا من معلمينا بهلوانات وظيفتها إضحاك الناس. لم تعد للمعلم قيمته التي كانت له يوما، لأن القيمة إنتقلت، في المجتمعات المتخلفة، من المعرفة إلى المال و أشياء أخرى كثيرة، فلم تعد الدراسة مهمة لأنها لا تمكن من تحقيق حياة وفق متطلبات العصر. تغيرت الإهتمامات و للأسف نحو أشياء لا تسمح ببناء وطن نفتخر به و يفتخر بنا.

منذ الإستقلال، و كل محاولات إصلاح التعليم تتحرك داخل مثلث، كل مرة تعطي إهتماما زائدا لزاوية من زواياه و تبحث في كل مرة عن التركيبة الصحيحة التي قد تثمر مجتمعا حداثيا يقوم على العلم و المعرفة، تارة نهتم بالمعلم ونجعله مركزالإصلاح وأخرى نهتم بالمعرفة (المناهج و المقررات)، و مؤخرا أخدنا نهتم بزاوية جديدة، التلميذ أو المتعلم، تختلف التسميات لكنها لا تحيل إلى شيء في الواقع.

تعتبر الأسرة الشريك الضروري والأساسي في عملية الإصلاح، لأن إصلاح التعليم هو إصلاح الأسرة، لأنها الفضاء الأول الذي يكتسب الطفل منه و فيه مجموعة من المهارات والقيم و يجب أن يكتسبها بشكل سوي.

تبدأ الأسرة العمل و تضع الأسس التي سوف تشتغل عليها باقي المؤسسات الأخرى، خاصة تلك المعنية بالتنشئة الاجتماعية، غالبا ما نتربى داخل الأسرعلى الصمت و الطاعة و الخوف و عدم تحمل المسؤولية، عدم القدرة على أخد قرارات، لا نثق في قدراتنا و مؤهلاتنا، لا نمتلك من الجرأة ما يسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا وأفكارنا، لا نمتلك القدرة على الإختيار، و قد لا نعرف كيفية الإختيار، لا نمتلك القدرة على التساؤل حول المشاعر والعواطف، و لا حتى في أمور الدين، و كأن شعار تربيتنا كان قائما و مازال هو: لا تجادل،لا تفكر هناك من يفكر نيابة عنك.

أساس إصلاح كل الوطن الأسر، و العدو واضح: الجهل و الفق، لكن ماذا نفعل و كيف؟ و كم نحتاج من الزمن لنعيد تأهيل الأسر؟ و كم من المال نحتاج؟،ماذا سنعلم للأسر؟لقد حاربنا الأمية ومازلنا نفعل وربما علينا إدراك العدو الفعلي والمتمثل في الجهل لا الأمية.

تحتاج الأسر إلى تكوين مستمر.إذا أصبحنا نتحدث عن مهنة المتعلم فهذا يُشرع لمهنة الأب أوالأم، و لكي ترتقي المهن بنفسها و تطورمنتوجها لابد لها من تجديد نفسها بشكل مستمر و دائم، و هذا هو التكوين المستمر الضروري للمعلم والأستاذ و الطبيب والأم والأب و كل من يشغل وظيفة، هكذا تتجدد الأوطان و تنتقل من حال إلى حال.

علمنا الإحتكاك بالظولهر الاجتماعية قيمة الإستماع و الإنصات للناس، لأن كل ظاهرة تحمل في ذاتها أدوات فهمها و تحليلها و في بعض الأحيان تقدم حلولاغالبا ما تكون ممكنة و فعالة.

ليس بوسعنا أن نخرج بتوصيات، ولا أن نصدر قرارات، و لكن يمكن أن نضع مشروعا، هو من الناس و إليهم، يهتم بالأسرة في منطقة البحث و يمكن أن نقدم الفكرةوإمكانيات إنزالها و تقويمها في نفس الوقت.

<u>المشرروع</u>: أسرة صديقة للطفل.

لم يعد العالم يقبل الوصاية كما كان، و السبب راجع إلى إدراك الإنسانية جمعاء،أن الإنسان ذات مفكرة، عاقة، مسؤولة، حرة و معبرة و مبدعة. لم يعد باستطاعة أحد سواء كان فردا أو مؤسسة أن يتجاوز هذه الخاصيات التي تكون أساس إنسانية الإنسان.

أصبحت للكائن البشري حقوقا و أهمها الحق في السعادة، باعتبارها غاية الغايات و قيمة القيم، إنها حق إنساني تسهر الدولة على حمايته و ضمانه و العمل على تنميته، و ذلك عبر تأمين مواطنيها ضد:الخوف من الجهل، الفقر، الحريق، الظلم، المرض، و أشياء أخرى كثيرة.

غير أن المواطنين هم: أطفال – مراهقون و مراهقات –شباب و شابات – شيوخ – رجال و نساء – أصحاء أقوياء و أُناس من دوي الاحتياجات الخاصة. لم يعد العالم ملكا للبالغين فقط و لم يعد من حقهم تسير التجمعات السياسية بدون مشاركة فعلية مع كل الفئات العمرية الأخرى.

لم يعد من حق البالغين نفي هذا التعدد الذي يشرع لمفهوم الناس عوض الإنسان و لا نفيه أو تجاهله و هو ليس تعددا ثقافيا، إنه تعدد و اختلاف في الإنسان، بين كل الفئات العمرية و حسب اختلاف جنسهم.

تعتبر المدينة أو الجماعة، حضرية أم قروية كانت، ملكية جماعية مشتركة بين الرجال و النساء و الأطفال و المراهقين و الشباب و البالغين و الشيوخ، بحيث لم يعد من حق البالغين التسيير و التدبير وفق نظام الحزب الواحد.

انتهى زمن هيمنة البالغين على العالم. لقد نصت جميع المواثيق الدولية، سواء المتعلقة بالطفولة أو الشباب أو بحقوق الإنسان بشكل عام، على ضرورة احترام حقوق الطفل والمراهق و الشاب و المرأة. الاعتراف بحقهم في التفكير و التعبير و الحرية و اللعب، النقد، الاقتراح ، المبادرة و الجرأة، و يُستحسن أن يبدأ الاعتراف من الأسرة ثم الشارع و المدرسة ليعم باقي المؤسسات.

أصبح تسيير الدولة و المدينة و الجماعة مشروطا بمشاركة كل أعضاء التجمع السياسي، و تسمح المشاركة للطفل و المراهق و الشاب و المرأة و الرجل، بالتموضع الجيد داخل مجتمعهم، لأن العالم بشكل عام و الدولة بشكل خاص و المدينة أو الجماعة، ملك لهم جميعا و من حقهم تسييره بشكل مشترك. إن المشاركة حق أملته الملكية، و هو في نفس الوقت إعلان نهاية مفهوم الوصاية. لم يعد من حق البالغين التفكير و التقرير نيابة عن الأطفال و المراهقين و الشباب و النساء و ذوي الاحتياجات الخاصة.

أصبح لكل الفئات العمرية المختلفة الحق في الاختيار،الذي يضمنه و يحميه الدستور، دون تمييز بسبب الدين أو العرق أو اللون أو اللغة أو أي عنصر عرضي آخر.

أعلنت فكرة التعاقد الإجتماعي أن العالم ملك للفقراء و الأغنياء، للنساء و الرجال، للسود و البيض و الحمر، للمسلمين و المسيحيين و اليهود. إذا كان العالم ملكية جماعية و مشتركة، فإن تسييره و تدبيره يجب أن يقوم على المشاركة.

ظهر مفهوم المشاركة كتجاوز لمفهوم الوصاية، و هو دعوة لتمكين الجميع من القدرة على التفكير و التعبير و الانخراط في الفعل. كما يُشرع للفهم المتعدد للعالم و للحاجيات المختلفة للناس، باختلاف ثقافتهم و في الوقت ذاته، باختلاف المراحل العمرية التي يمر منها الإنسان أثناء النمو.

لقدعملت" منظمة اليونيسيف"، بشراكة مع الحكومة المغربية، على رسم خريطة طريق توصلنا إلى مجتمع يحترم الطفل و الطفولة بشكل عام، و ذلك من خلال برنامجها "مدن صديقة للطفولة و الشباب"، الذي يُظهر مدى رغبة الأمم المتحدة في الحد أو التقليل من الإساءات التي يتعرض لها الأطفال في كل بقاع العالم. لهذا جندت هذه الأخيرة كل آلياتها و أهمها "منظمة اليونيسيف" حتى تتمكن هذه الأخيرة من إعادة تأهيل المدن، الفضاء الطبيعي لحياة الإنسان، و تتمكن من ضمان و حماية حقوق الطفل، هكذا ظهر مشروع :مدن صديقة للأطفال و الشباب، عام 1996.

بدأ تفعيل هذا المشروع في مجموعة من الدول الأوروبية (فرنسا – إسبانيا – سويسرا – إيطاليا..) و بعض دول أمريكا اللاتينية، و بما أن المغرب من الدول الموقعة على أغلب الاتفاقيات التي تهدف لحماية حقوق الطفل و المرأة و الإنسان بشكل عام، فقد إنخرط، بشراكة مع منظمة اليونيسيف، في العمل على خلق فضاء و مدن تحترم حقوق الأطفال و الشباب.

تضمن مدينة صديقة للأطفال و الشباب الولوج للخدمات الضرورية و الإستفادة من إمكانيات التنمية لكل الفئة العمرية التي تستهدفها، سواء كانوا في وسط عائلي أو بصفة إنفرادية، في سكن صفيحي أو في الشارع. أُسست هذه المدن على تسعة أركان تهدف كلها إلى تعزيز و تقوية وترسيخ ما يسمى ب:(les bonnes pratiques)، الأعمال الجيدة، من أجل تربية الذات و المجتمع على حقوق الإنسان.

إن المدينة جماعات حضرية و قروية، لهذا علينا الحديث عن جماعة صديقة للطفولة و الشباب.

تُنجز منظمة اليونيسيف مشروع جماعة صديقة للطفولة و الشباب في منطقة البحث(تازناخت)و بالضبط الجماعة القروية" وسلسات"، و هذا أمر مهم لأن جماعة و سلسات و رغم ضعف إمكانياتها، تمتلك من الإرادة ما جعلها تبحث عن شركاء و تنخرط في المشروع، و قد تكون أول جماعة قروية صديقة للطفولة و الشباب.

لقد أدركت هذه الجماعة أهمية المشروع و عرفت مدى قيمته في المشروع التنموي الوطني العام، و يعود الفضل في ذلك،أولا، إلى إرادة الجماعة في الرقي بمستوى تسييرها إلى المشاركة الفعلية المطلوبة في تدبير شؤون المواطنين في مجالها الترابي، آخذة بعين الإعتبار كل الفئات العمرية خاصة الأطفال و الشباب، و دوي الاحتياجات الخاصة. و يعود الفضل، ثانيا، إلى الثقة التي وضعتها منظمة اليونيسيف في المغرب، ثم في جماعة وسلسات.

عرفت جماعة وسلسات أنها ملك للأطفال و المراهقين و المراهقات، الشباب و الشابات، الرجال و النساء، للأصحاء الأسوياء و في نفس الوقت لذوي الاحتياجات الخاصة، كما أنها ملك للشيوخ أيضا. افترضت هذه المعرفة التسيير ألتشاركي للجماعة، أي إشراك الأطفال و الشباب في تدبير شؤون الجماعة، و ذلك عبر إحداث المجلس الجماعي للأطفال و الشباب، و هو قوة إقتراحية تساعد المجلس الجماعي على معرفة مكامن الاختلال ثم العمل على تحسين أوضاع الأطفال و الشباب.

كانت تجربة جيدة و ما نرجوه من اليونيسيف هو العمل، أولا على تعميم التجربة، و ثانيا،العمل على تجزيء مشروعها إلى مراحل. الجماعة هي مجموعة من الأسر و المدارس و الشوارع و المساجد و مؤسسات أخرى، و كي تكون للمشروع الفعالية المنتظرة منه، علينا الانطلاق من:

.

أسرة صديقة للأطفال و الشباب.

حي أو دوار صديق للأطفال و الشباب.

مدرسة صديقة للأطفال و الشباب.

شارع صديق للأطفال و الشباب.

إن إصلاح القيم الاجتماعية، هوإصلاح لكل المؤسسات السالفة الذكر، لأنها هي المعنية بالتنشئة الإجتماعية. لهذا علينا الرقي بكل هذه المؤسسات حتى تضمن حقوق الأطفال و الشباب و تعمل على حمايتها و تنميتها.

كانت مبادرة منظمة اليونيسيف هامة جدا و لا يمكننا إلا أن ننخرط فيها من خلال مشروعنا الأول: أسر صديقة للأطفال والشباب، الذي نتمنى أن يجد من ينقحه أكثر، و في نفس الوقت من يعمل على إخراجه للوجود، لأنه سيمكننا من بلوغ الكيفيات الجيدة للتربية على إحترام حقوق الأطفال و الشباب

الأهداف:

-تأهيل الأسرة القروية لضمان حقوق الطفل.

-تعليم الأسر كيفية الفعل والتصرف وتوعيتهم بوظيفتهم سواء الأب أوالأم، و ذلك بمساعدتهم على إكتساب المهارات المطلوبة للتربية، وأولها القدرة على التفكير من أجل الفهم ثم الفعل الجيد.

-توعية الآباء و الأمهات بأدوارهم المهمة في بناء الوطن و إنجاح مشاريعه الكبرى.

-مساعدة الأسر على إكتساب المعارف و المهارت المطلوبة لتربية صحية سليمة للأطفال.

-تنمية القدرات الفكرية للأسر لتستطيع تقديم تربية وجدانية عاطفية سليمة للأطفال.

-تزويد الأسر بفهم ديني سليم ليتمكنوا من تقديم تربية دينية غير مختلة، قد تصنع التعصب والإرهاب و الإنغلاق.

-تمكين الأسر من الإمكانيات المعرفية والسلوكية التي تسمح لهم بتقديم تربية عقلية سليمة.

يستهدف المشروع خمسة أشكال من التربية الضرورية للأسر حتى تتمكن من مساعدة الأطفال على النمو بشكل سوي، و يكون بمقدورهم تقبل ما سيقدم لهم في المدرسة كمؤسسة تأتي بعد الأسرة.

التربية الصحية – التربية الوجدانية – التربية الدينية – التربية العقلية ثم التربية الوطنية، هذه هي نقط التدخل و هذا ما تحتاج إليه الأسر في منطقة البحث.

لا تعرف الأسر كيف تهتم بصحة أبنائها، ولا تستطيع أن تفهم طبيعة المراحل العمرية المختلفة التي يمر منها الأطفال، فأغلب الآباء والأمهات لا يعرفون من هوالمراهق، ولا الطفل، وعندما لا نعرف تكون تدخلاتنا عشوائية، و أحيانا كثيرة متعسفة، لهذا يحتاج الناس إلى مهارات و معارف تمكنهم من معرفة مختلف المراحل العمرية التي يمر منها الإنسان لتكون تدخلاتهم علمية و مسؤولة.

من الوظائف الأساسية للأسر تعليم التفكير لأبنائها و هذا يفترض أن تكون مُمتلكة لهذه المهارة الضروري للحياة، لأن الآباء و الأمهات هم الذين يشجعون و يحفزون الأبناء على ممارسة هذا الفعل.

البرنامج التعلمي الأسري:

تحتاج الأسرالقروية في منطقة البحث إلى تربية في خمسة مجالات، و هذا يعني تحديد مادة التربية و أدواتها و العنصر البشري المُنجز للمشروع.

-مادة التربية الصحية:(التغدية-النظافة-الرياضة..)

-مادة التربية الوجدانية:(اللعب- الحب –الجنس-التحفيز-الإشراق-الإعجاب بالذات-إحترام الذات و الإقتناع بها...)

-مادة التربية الدينية:(الإسلام – التسامح-الإنفتاح-عدم التعصب....)

-مادة التربية العقلية.(تعليم التفكير-المسؤولية-الجرأة-المبادرة- الإستقلالية...)

-مادة التربية الوطنية.(الهدف منها التربية على المواطنة و إحترام حقوق الإنسان)

إن المادة و طرق تبليغها للأسر حاصلة لدينا، و يمكن أن ننخرط في العملية إن وجدت من يطلع عليها و يُقومها. نمتلك تصورات لكتيبات و أقراص مدمجة و طرقة التدريس و الأهم هو الإرادة القوية للمساهمة في المشروع التنموي الوطني العام.

مكان المشروع:

لا يمكن أن نُخرج الأسر من الدواوير، و في نفس الوقت لا يمكن أن نستقر طيلة إنجازالمشروع في الدوار، لهذا إرتأينا أنه علينا الإستعانة بالفضاءات الممكنة لهذا الفعل و هي: المدراس و المساجد و مقرات الجمعيات التنموية الفاعلة.

منفدي المشروع:

يمكن أن نعتمد الفاعلين المتواجدين بالدواوير مثل رجال و نساء التعليم،إمام المسجد و بعض الفاعلين الجمعويين، شريطة أن يكون إختيارهم خاضعا لمواصفات من دونها لا يمكن نجاح المشروع، و أول هذه المواصفات إمتلاك القدرات الأساسية للتعامل مع البالغين .

يخضع المنفدون لإنتقاء، ثم يتلقون تكوينا يمكنهم من فهم المواد المراد تبليغها وإدراك طُرق التبليغ و طُرق التقويم كذلك.

هذا عمل، و كل عمل يبتغي تعويضات حتى تستقيم الأفعال التربوية، لهذا يحتاج المنفدون للبرنامج إلى تعويضات مالية (المعلمون و المعلمات –إمام المسجد – الفاعلون الجمعويون) .

أدوات المشروع:

يحتاج هذا العمل إلى: طبع بعض الكتيبات/بعض الأقراص المدمجة/ حاسوب و مسلاط، و ربما بعض الكراسي و بعض الجوائز و الشواهد التقديرية والكثير من الدعم و الثقة.

الغلاف الزمني للمشروع:

يحتاج تكوين المنفدين للبرنامج إلى 10 أيام و يمكن أن يُطبق المشروع خلال 8 أسابيع بمعدل حصة من ساعتين في الأسبوع، يُستحسن أن تُبرمج بين صلاة العصر والمغرب، غير يوم الجمعة و أيام السوق الأسبوعي و أثناء مواسم الزرع أو الحصاد.

تقويم المشروع:

يقوم تقويم المشروع في نهايته على تقويم أولي تقوم به المجموعة المسؤولة عن هذا العمل، بحيث تقيس تمثلات الأسر للتربية الصحية و الوجدانية و العقلية و الدينية و الوطنية، و تُنجزهذا عبر إعتماد منهج المقابلة، ليكون كتقويم تشخيصي يحدد لنا وضعية الإنطلاقة و يبين للباحثين مدى تدخلهم و يُمَكنهم من تقويم عملهم.

يقتضي التقويم أيضا إستنتاج تربية الآباء من الأطفال، لهذا نحتاج لمعرفة شخصية الطفل في البداية و بالضبط معرفة تصرف والديه معه (صحته النفسية و العقلية و الجسدية و العقائدية كذلك).

يبدأ المشروع بتقويم تشخيصي للآباء والأمهات والأطفال، يُطهرمدى إدراك الآباء و الأمهات لمهامهم، و في نفس الوقت على الباحث أن يدرك من خلال بحثه طبيعة التربية التي تلقاها الطفل، ليكون التقويم التشخيصي أساس التقويم النهائي للمشروع.

يبتغي المشروع بشكل عام تأهيل الأسر لتكون لها القدرة على ممارسة دورها بشكل فعال وعلمي، و نظرا لتعدد مجالات التدخل الأسري حاولنا أن نُعدد طُرق التدخل و ذلك بعقلنة الوظائف التي تقوم بها الأسر، كالوظيفة النفسية التي تفترض توفير الراحة والثقة في نفوس الأطفال حتى تُشبع الإحتياجات النفسية كالحب والعطف والأمن والتقدير والنجاح والحرية.

. .تمارس الأسرة وظيفة إجتماعية، فالطفل يتعلم من الأسرة ما عليه من واجبات وماله من حقوق، وكيف يستجيب لغيرة، كما يتعلم مستويات حدود الأفعال، لذلك يجب على الأسرة تفهم حاجات الطفل وتشجيعه و تحفيزه بالثناء على ما يتقن من أعمال، وتشجيعة بالمعونة الإيجابية لتصحيح ما يقع فيه من أخطاء.
تعتبر الأسرة وحدة إقتصادية، حيث يقوم أفرادها بقضاء كل مستلزماتهم الحياتية وإحتياجاتهم، فيتعين على كل فرد عمل إقتصادي أو وظيفة يؤديها، فالأب يعمل لتوفير إحتياجات الأسرة والإنفاق على واجبات الحياة الأسرية، والأم قد تشاركه العمل الخارجي لتدعيم الحياة المعيشية فضلا عن قيامها بتدبير شؤون المنزل وتربية الأولاد، لهذا نقول أن الفقر عائق أساسي أمام التنمية البشرية.

كثيرة هي المهام التي تمارسها الأسر دون علم أو تخصص، و هي في غالب الأحيان تُربي كما تمت تربيتها و هي بهذا تعيد إنتاج نفس الوضعيات المضطربة التي لا يمكن إصلاحها خارج مؤسسة الأسرة.

يبدأ إصلاح التعليم و الوطن ككل من الأسرة، و يفترض هذا الخروج من الضياع داخل متاهة ثلاثية الأركان(المتعلم/المعلم/المعرفة)، إلى إعادة هيكلة الأسر التي تعتبر في نهاية المطاف هي الدولة و أساس

كل المجتمع، لنجرب تقويم إعوجاج الفعل التربوي الأسري، لأنها الخلية الأولة للإنتاج و لا نريدها أن تنتج الجهل والتخلف و الإنغلاق و الإرهاب.

إن أي نظرة إلى القرية أو سكانها على أنهم همج ورعاع، يُمجدون الجهل ويحطون من قيمة العلم والمعرفة، حكم خاطئ وتنصل من المسؤولية. إن الإنسان القروي يمد يده للدولة الحديثة ويرغب أن تنتشله من الفقر والجهل والأمراض، لكن دون إحتقار أو إذلال أو إقصاء أو نفي. إن القرية أرض خصبة لمن يتقن فن الزراعة، فلنعد للأسر القروية ولنعمل جميعا على تطويرها من الداخل ولكن بعقلانية، لأنه يمكن تصنيف القبيلة في منطقة الدراسة على أنها مجتمع إنقسامي أي يقوم على التجزؤ والتوحد، وقد قال "المختار الهراس" في هاتين الخاصيتين:"لقد تساءل الباحثون الإنقساميون عن الأسباب الكامنة وراء هذه السيرورة المتناقضة (تجزؤ/ توحد) ووجدوا أن التجزؤ نتاج لما يوجد لدى أعضاء هذه المجتمعات إزاء كل ما من شأنه أن يؤدي إلى ظهور جهاز سلطوي مركزي، ولِمُيولات راسخة إلى التعلق بكل ما يمكن أن يعزز قيم العدالة والمساواة فيما بينهم".إن التنمية البشرية القروية تتطلب الكثيرمن الإحترام،لأنه حاجة طبيعية للإنسان. (43)

الإحالات و المراجع:

1- roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p21

2- un sage chinois et, un contemporain de Confucius (milieu du Ve siècleav. J.-C. – milieu du IVe siècle av. J.-C.

3-roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p22

4-roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p28

5-roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p28 -

6-roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p56 -

7-

8- roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p57

9-محمد أركون:قضايا في نقد العقل الديني-ترجمة:هشام صالح-دار الطليعة بيروت-1998 –ص317

10-roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p61

11roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p82

12- roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979- p83

13-roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979-p90

14--roger gal _l'education_presses uneversitaires de France_1979

15-مجلة علوم التربية-العدد 22 مارس 2002 الصفحات:13-14-15

16-كمال عبد اللطيف- مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر- درا الطليعة بيروت- 1992الصفحات:9 -10

17-كمال عبد اللطيف –نفس المرجع الصفحة 11

18- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de France-p10

19- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de France-p40

20- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de France-p48

21- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de France-p48

22- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de France-p50

23- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de- France-p51

24- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de- France-p82-83

25- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de- France-p93

26- Maurice Debesse- l'adolescence- ed:presses uneversitaires de- France-p95

27-Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p98

28-Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p101

29-Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p106

30-Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p107

31-Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p113

olivier houde / claire meljac-l'esprit piagetien –ed :puf-2000-p-215-32

olivier houde / claire meljac-l'esprit piagetien –ed :puf-2000-p-218-33

- Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p43-34

- Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p47-35

- Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p56-36

- Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p61-37

Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p77-38

- Jean piaget –ou va l'education-Folio-1972-p78-39

40- الحاج إيدار بن محمد أيت بركة : قطعة الأراكة من شجرة زناكة ، 2008 ، ص 22
41- الحاج إيدار بن محمد أيت بركة : قطعة الأراكة من شجرة زناكة ، 2008 ، ص 22

42- عبد الله عبد الرحمان الصنهاجي : مذكرات في تاريخ المقاومة وجيش التحرير(1947الى 1956) ،1987 ، ص 81-82

43- المختار الهراس : القبيلة والسلطة، تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركزالوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، ص43مطبعة الرسالة ، 1986

إستمارة الأسر:

إستمارة موجهة لأمهات و آباء المبحوثين

رقم الإستمارة :.....

1-المستوى الدراسي : الأب :أمي/..../ إبتدائي/..../ إعدادي/.../ ثانوي/..../ جامعي/

الأم: أمية/..../ إبتدائي/..../ إعدادي/.../ ثانوي/..../ جامعي/

2-الوظيفة : الأب : موظف/.../ فلاح/..../ تاجر/..../ حرفي /...../آخر حدده

لأم :. موظفة/.../ فلاحة/..../ تاجرة/..../ حرفية /...../آخر حدده

- عمر الأم ...../ عمرالأب.....

-ماهي المراهقة ؟.....

.....

.....

3-هل تعرفان أن سن المراهقة يختلف بين الذكور و الإناث ؟ نعم /..../ لا /...../

4-هل تعلمان أن مراهقة الإناث قد تبدأ في سن 12 سنة ؟ نعم /...../ لا /...../

5-هل تعلمان أن مراهقة الذكور قد تبدأ في سن 14 سنة؟ نعم /...../ لا /...../

6-ما هو العمر الذي تنتهي فيه المراهقة تقريبا ؟ .....

7-هل المراهقة في نظركما ؟ مرحلة خطيرة /...../ مرحلة عادية /...../ مرحلة ضرورية /...../

8- مراهقة من أصعب ؟ الذكور /..../ الإناث /...../

9- كيف تتعاملان مع أولادكما المراهقين ؟ العنف و الصراخ /...../الحوار /...../ الضرب /.../

السب والشتم /..../ آخر حدده .....

10-هل تستمعان لمشاكل الأبناء ؟ نعم /..../ لا /..../ آخر حدده .....

11- هل تناقشان هذه المشاكل بينكما ؟ نعم /..../ لا /..../آخرحدده.....

12-هل ترسمان خطة لمعالجة هذه المشاكل ؟ نعم /..../ لا /...../ أحيانا / /

13-هل تطبقان الخطة ؟ نعم /..../ لا /...../ آخر حدده .....

14-هل تنجح خططكما ؟ دائما /...../ أحيانا /..../ لا تنجح /...../

15- في حالة (لا) ماذا تفعلان ؟ إستعمال العنف /...../ إستشارة آباء آخرين /...../ إستشارة المدرسين /...../ إستشارة المتخصصين /...../ لا شيء/...../ آخر حدده .....

16-هل ترغبان في معرفة واضحة بكل المراحل العمرية التي يمر منها أطفالكما ؟ نعم /..../ لا /...../

17-ماهي المرحلة التي تحبون التعرف اليها أكثر؟ الطفولة الاولى (0-2) /...../ الطفولة التانية (3-7)/...../ الطفولة التالثة(8-12) /...../ المراهقة(13-20) /...../ الشباب /..../

18-هل ترغبون في معلومات ؟ ورقية (كتيبات ملصقات) /...../ تسجيلات مسموعة /...../ إلكترونية /...../ برامج إذاعية / / برامج تلفزية / /

19-هل تراقبان لباس اولادكما المراهقين /ات؟ نعم /..../ لا /.../

20-على من تشددان المراقبة أكثر ؟ الذكور /..../ الإناث /..../ آخر حدده .....

21- لمن تعطيان مصروف الجيب ؟ الذكور /..../ الإناث /..../ لاأحد منهما /...../

22-ماهي المشاكل التي تواجهانها أثناء تربية المراهقين ؟ عدم الإستماع لما تقولان /...../ رفض نصائحكما /...../ لامبالاة المراهقين /.../ طريقة لباسهم /.../ تأخرهم خارج البيت /.../ الإنغلاق و الإنعزال/ / الأنترنيت / / عدم المُساعدة في أعمال الفلاحة و النسيج/ /

إنغلاقهم على أنفسهم /...../ آخر حدده .....

23-هل تسمحان لابنكما ب:

-استقبال الأصدقاء في المنزل ؟ نعم /.../ لا /..../

- التأخر خارج البيت ؟ نعم /...../ لا /...../

-المبيت خارج المنزل ؟ نعم /.../ لا /..../

-حلاقة رأسه كما يريد ؟ نعم /..../ لا /..../

-لباس ما يريد و بالشكل الذي يريد ؟ نعم /...../ لا /...../

-السفر لوحده ؟ نعم /.../ لا /..../

24- هل يمكن أن يتحرش ابنكما بفتاة ؟ نعم /..../ لا /...../

25- هل تحسان إثر هذا السلوك ب : الزهو (اصبح رجلا) /...../ الخجل /...../ آخر حدده.....

26- كيف تحسان عندما تدركان أن ابنكما يحب ؟ الفخر /..../ الخوف /..... آخر حدده .....

27- هل تسمحان لابنتكما ب:

-استقبال الأصدقاء في المنزل ؟ نعم /.../ لا /..../

- التأخر خارج البيت ؟ نعم /...../ لا /...../

-المبيت خارج المنزل ؟ نعم /.../ لا /..../

-حلاقة رأسها كما تريد ؟ نعم /..../ لا /..../

-لباس ما تريد و بالشكل الذي تريد ؟ نعم /...../ لا /...../

-السفر لوحدها؟ نعم /.../ لا /..../

28- كيف تحسان عندما تدركان أن ابنتكما تحب ؟ الفخر /..../ الخوف /...../ آخر حدده .....

29-كيف تتصرفان إن أخطأت إبنتكما مع أحد الفتيان ؟ الضرب /...../ تشديد المراقبة /...../

المنع من الخروج من المنزل /...../ منعها من متابعة الدراسة /...../ اعتماد الحوار /...../

تزويجها بأسرع ما يمكن /..../آخر حدده .....

30-هل تعرفان أن المراهقين يحتاجون لكما في هذه المرحلة أكثر ؟ نعم /..../ لا /...../

31- هل تقولان لأبنائكما (البرهوش/ة -الحمار/ة - المكلخ/ة- المسخوط/ة) ؟ دائما /...../

كثيرا /...../ أحيانا /...../ أبدا /..../ اخر حدده .....

32-هل تعززان أعمال أبنائكما بالكلمات التالية :(ولدي ولا راجل – تبارك الله على بنتي – الله إعطيك الصحة - مزيان – أنت واعر – معلم ولدي – بنتي مجتهدة.....) ؟ دائما /..../ كثيرا /...../ نادرا /...../ أبدا /...../ آخر حدده .....

33- ماهي هوايات أبنائكما المراهقين ؟

-الذكور :.....

-الإناث :.....

34- هل تفصلون بين الذكور والأناث (غرف النوم) ؟ نعم/ ...../ لا / ...../

35- في أي سن ؟ .....

36- لماذا؟ .....

37- هل التربية الجنسية ؟ ضرورية /...../ غير ضرورية /..../ حشومة /.../ آخر حدده .....

38- من يجب أن يقوم بها ؟ الآباء /...../ المدرسين /...../ إمام المسجد /...../ آخر حدده .....

39-من ملأ هذه الاستمارة : الأب /..../ الأم /...../ هما معا /...../

استمارة المراهقين و المراهقات:

استمارة شخصية رقم الاستمارة :

.....

معطيات أسرية

- الجنس : أنثى /...../ ذكر /...../
- السن :.....

1-المستوى الدراسي : الأب :أمي/..../ إبتدائي/..../ إعدادي/.../ ثانوي/..../ جامعي/

الأم: أمية/..../ إبتدائي/..../ إعدادي/.../ ثانوي/..../ جامعي/

2-الوظيفة : الأب : موظف/.../ فلاح/..../ تاجر/..../ حرفي /...../آخر حدده

الأم :موظفة/.../فلاحة/..../ تاجرة/..../حرفية/...../آخر حدده

2-ما هو ترتيبك بين إخوانك؟ .....

3-هل لك غرفة خاصة بك؟ نعم /...../ لا /...../

4-في حالة (لا) كم عددكم بالغرفة؟ الذكور /...../ الإناث /...../

5-كم كان عمرك عندما لم تعد تنام قرب والديك ؟من 0الى 5سنوات/..../ من 6 إلى 10سنوات/..../ أكثر من 10 سنوات/...../

6-هل يوجد شخص في الأسرة من ذوي الإحتياجات الخاصة ؟ نعم /...../ لا /...../

7-ماهي طبيعتها؟ جسدية/.../ عقلية/..../ اخر حدده.....

8-من يسير أمور المنزل؟ الأب /..../ الأم/.../ الجد/.../ الأخ الأكبر/..../ اخر حدده.....

9-هل تجد/ين راحتك داخل منزلك؟ نعم /.../ لا /..../

10-في حالة (لا)لماذا؟.....

11-كيف هي العلاقة بين والديك ؟ يتشاجرون كثيرا/..../ أحيانا/..../ علاقة جيدة/..../ اخر حدده.....

12-كيف هي علاقتك بأخيك الأكبر؟ عنف/...../ صداقة /..../لامبالاة/...../ اخر حدده.....

13-كيف تتم معاقبتك؟ الضرب/..../ الطرد/..../ الكلام الجارح/...../ لا أُعاقب/...../

14-من يعاقبك؟ الأم /.../ الأب /...../الأخ الأكبر/...../ الجد /..../ اخر حدده.....

15-مع من تتحدث حول مشاكلك الخاصة؟الأب/...../ الأم/..../الأخ الأكبر/..../ الصديق/..../المدرس/...../لا أحد/...../

16-هل تؤخذ القرارات في المنزل بالتشاور بين كل أعضائه ؟ نعم/...../ لا/...../

17-في حالة (لا) من يقرر؟ الجد /..../ الأب /...../ الأم /..../ الأخ الأكبر /..../ اخر حدده .....

18-هل يسمح لك بإعطاء رأيك في أمور المنزل؟ نعم /...../ لا /..../ أحيانا /...../

19-كيف يتم التعامل مع اقتراحاتك ؟ الاهتمام /..../ الرفض /...../ اللامبالاة /...../ اخر حدده.....

20-عندما تخطئ التصرف هل : تتعرض للإهانة /..../ يتم تفهُم تصرفك و تصحيحه /...../ اللامبالاة /..../

اخر حدده .....

21-هل تعرف ماذا تعني المراهقة ؟ نعم /...../ لا /...../

22-هل يسمح لك باستقبال أصدقائك في المنزل؟ نعم/..../ لا /...../

23-هل يسمح لك بالمبيت خارج المنزل؟ نعم /..../ لا /...../

24-هل يسمح لك بالتأخر ليلا خارج المنزل ؟ نعم/...../ لا /...../

25-هل لك مفتاحك الخاص للمنزل؟ نعم/...../ لا /...../

26-مع من تتشاجر/ين أكثر في المنزل ؟ الأب /...../ الأم /..../ الأخ الأكبر/...../ اخرحدده.....

27-هل يسمح لك بالخروج غير أوقات الدراسة ؟ نعم /..../ لا /..../

28-هل لديك ربط بالأنترنيث داخل منزلكم ؟ نعم /...../ لا /..../

29-في حالة (لا) هل يسمح لك بالذهاب إلى نوادي الأنترنيث ؟ نعم /..../ لا /...../

30-هل لديكم مكتبة في المنزل ؟ نعم /...../ لا /...../

31-هل تدرس و تشتغل في نفس الوقت ؟ نعم/...../ لا /...../

32-في حالة (نعم) ما هو مجال اشتغالك ؟ الفلاحة /..../ الزربية /..../ التجارة /...../ اخر حدده.....

33-هل أنت مراهق ؟ نعم/...../ لا /...../

معطيات إجتماعية

1-هل لك أصدقاء ؟ نعم /..../ لا /...../

2-هل هم ؟ ذكور /..../ إناث /..../ من الجنسين /..../

3-هل تحصل على مصروف الجيب ؟ نعم /.../ لا /.../

4-هل يكفيك لقضاء أغراضك ؟ نعم /...../ لا /...../

5-من يزودك بمصروفك ؟ الأب /..../ الأم /...../ الأخ الأكبر /...../ الجد /.../ لا أحد /.../

6-في حالة(لا أحد) ؟ كيف توفر مصروفك ؟ طرق مشروعة /.../ طرق غير مشروعة /.../

7-مع أصدقائك، هل أنت راض/ية على لباسك؟ نعم /..../ لا /...../

8-هل تلبس/ين كما تريد/ين ؟ نعم /..../ لا /.../

9-في حالة (لا) من يتحكم في لباسك ؟ الأب /.../ الأم /..../ الأخ الأكبر /..../ اخر حدده.....

10-هل تحلق/ي رأسك كما تريد /ين ؟ نعم /...../ لا /...../

11-في حالة (لا) من يمنعك ؟ الأب /..../ الأم /..../ الأخ الأكبر /..../ إدارة مؤسستك التعليمية /...../ المدرسين /..../ اخر حدده .....

12-ماذا تفعل/ين في وقت الفراغ ؟مشاهدة التلفاز /..../ الأنترنيت /.../ مراجعة الدروس /.../

أنشطة في دار الشباب /..../ العمل /..../ التسكع مع الأصدقاء /..../ اخر حدده .....

13-أيهما أحب اليك ؟ العيش مع الأصدقاء /...../ العيش مع الأسرة /..../ اخر حدده .....

14-كيف تتعامل/ين مع نصائح الوالدين ؟ قبول /.../ رفض /..../ لامبالاة /..../

15-كيف تتعامل/ين مع نصائح الأصدقاء ؟ قبول /..../ رفض /..../ لامبالاة /...../

16-هل تدخن/ين ؟ نعم /.../ لا /...../

17-هل تستعمل/ين المخدرات ؟ نعم /.../ لا /..../

18-هل مررت بتجربة حب ؟ نعم /..../ لا /...../

19-هل تكتب /ين شعرا ؟ نعم /...../ لا /..../ كنت أكبت و لم أعد /..../

20-هل ترسم /ين ؟ نعم /...../ لا /...../

21-هل تعزف /ين الموسيقى ؟ نعم /..../ لا /...../

22-ماهي الموسيقى المحببة لديك ؟.....

23-ماهي القناة التلفزية التي تستهويك ؟ .....

24- ماهي البرامج التي تمتعك ؟

.....

25- هل تختار القناة التي تريد في المنزل ؟ نعم /...../ لا /...../

26-في حالة (لا) من يختار ؟ الأب /..../ الأم /..../ الأخ الأكبر /...../

27-هل سبق أن عرفت بعض المغامرات الجنسية ؟ نعم /..../ لا /...../

28-هل سبق أن تعرضت لتحرش جنسي من طرف بالغين ؟ نعم /...../ لا /..../

29-في حالة (نعم) كم كان عمرك ؟

.....

30-هل تتوفر على :هاتف محمول /..../ حاسوب مكتبي /..../ حاسوب محمول /...../ اخر حدده.....

31-هل تسافر خلال العطل المدرسية ؟ نعم /...../ لا /...../

32-في حالة لا, لماذا؟

.....

33-هل تحب السفر مع : الأسرة /..../ الأصدقاء /..../ وحدك /...../ اخر حدده

.....

34-هل لأصدقائك ؟ نفس عمرك /...../ أكبر منك سنا /...../ أصغر منك سنا /...../

معطيات تربوية تعليمية

1-ما هو مستواك الدراسي

؟.....

2-هل سبق ان رسبت في مستوى دراسي معين ؟ نعم /...../ لا /...../

3-حدد المستويات التي رسبت فيها
:.....

4-كيف هي علاقتك بمؤسستك التربوية ؟ حب /...../ كراهية /...../ لامبالاة /...../ اخر حدده .....

5-ماذا تحب في مؤسستك ؟ جمالية البناية /..../ التسيير و النظام /...../ الأساتذة /...../ فضاء يجمعك بالأصدقاء /...../ فضاء للتعبير /...../ العلم و المعرفة /...../ اخر حدده
.....

6-ماذا تكره في مؤسستك التربوية ؟ شكل البناية /...../ الإدارة /..../ الأساتذة /...../ البرامج الدراسية /...../

اخر حدده
.....
...

7-هل تذهب لمؤسستك التعليمية للأسباب التالية : تخاف عقاب الوالدين /...../ عقاب الإدارة التربوية /...../تخاف من الأساتذة /...../ أم لأنها فضاء للمعرفة /...../ فضاء يضمن المستقبل /...../ سبب اخر حدده

8-هل تتعامل معك إدارة المؤسسة باعتماد:العنف /..../ الحوار /...../ اللامبالاة /.../ اخر حدده
.....

9-ماهي طبيعة هذا العنف ؟ ضرب /...../ كلام جارح /...../ السب و الشتم /...../

10-تتدخل مؤسستك في لباسك و حلاقتك لرأسك و استعمال هاتفك النقال ، فهل هذا نظام ضروري /...../

تدخل في حريتك الشخصية /...../

11-هل تتوفر مؤسستك على : قاعة للإعلاميات /...../ قاعة للمطالعة /...../ قاعة للأنشطة /...../

12-ماهي المواد التي تستعملون فيها التقنيات المعلوماتية ؟
.....

13-هل تكفي هذه القاعات كل تلاميذ المؤسسة ؟ نعم /...../ لا /...../

14-هل يوجد في مؤسستك التعليمية أخصائي نفسي ؟ نعم /...../ لا /...../

15-هل يوجد في مؤسستك أخصائي اجتماعي ؟ نعم /...../ لا /...../

16-هل توجد خلايا الإستماع و المرافقة في مؤسستك ؟ نعم /...../ لا /...../

17-من يساعدك على حل مشاكلك النفسية و الاجتماعية ؟ الأسرة /...../ إدراة المؤسسة /...../ الأساتذة /...../ إمام المسجد /..../ الأصدقاء /...../ لا أحد /...../ اخر حدده.....

18-هل يوجد العنف في مؤسستك التعليمية ؟ نعم /...../ لا /...../

19-هل هو عنف : بين الأساتذة /..../ بين التلاميذ /...../ بين الأساتذة و التلاميذ /...../ بين التلاميذ و إدارة المؤسسة/..../ بين الأساتذة و إدارة المؤسسة /...../ اخر حدده .....

20-هل هناك تصرفات عنصرية في مؤسستك ؟ نعم /...../ لا /...../

21-هل يعود سبب التمييزالى : اللون /...../ اللغة /..../ الغنى و الفقر /...../ الجنس /...../ اخر حدده.....

22-من المسؤول عن هذا التمييز ؟ إدارة المؤسسة /...../ الأساتذة /...../ التلاميذ /..../ اخر حدده.....

23-كيف تريد/ين ان يكون مدرسك ؟ عنيف /..../ جاد /..../ متساهل /...../ يتغيب كثيرا /...../ غير مبال /...../

اخر حدده

.....
...

24-هل تجد /ين صعوبات في التعبير عن رأيك داخل القسم؟ دائما /...../ كثيرا /...../ أحيانا /...../ لا أجد صعوبة /.../

25-هل يتم تشجيعك على التعبير داخل القسم ؟ نعم /..../ لا /.... /

26-في حالة(نعم) هل يتم تشجيعك في : كل المواد /..../ البعض منها /...../

27-هل تقمع/ين داخل القسم ؟ نعم /..../ لا /...../

28-هل تُقمع/ين في ؟ كل المواد /..../ بعضها فقط /...../ اخر حدده

.....

29-هل هناك تمييز داخل القسم ؟ نعم /...../ لا /...../

30-في حالة (نعم) هل هو تمييز بين ؟الذكور و الإناث /...../ بين السود و البيض /...../ بين العرب و الأمازيغ /..../بين الأغنياء و الفقراء /...../ اخر حدده

.....

31-هل ما تتعلمه/يه في مؤسستك التعليمية : مفيد في الحياة اليومية /...../ غير مفيد /...../ اخر حدده

.....

32-هل تتعلم/ين داخل القسم ؟ الأفكار و المعلومات /...../ طرق التفكير /...../ لا أعرف /..../ اخرحدده .....

33-هل ما تتعلمه /يه داخل مؤسستك يؤهلك لسوق العمل ؟ نعم /...../ لا /..../ لا أعرف /.../ اخر حدده .....

34-هل يساعدك ما تتعلمه على : بناء شخصيتك /...../ معرفة بلدك و ثقافتك /...../ معرفة ثقافات أجنبية /...../

لا شيء /...../ اخر حدده

.....

35-كيف تحب أن يكون الدرس ؟ يتحدث الأستاذ و نحن نستمع /...../ يقوم على الحوار /...../ إستعمال السبورة و

الطباشير /...../ إستعمال التقنيات المعلوماتية /...../ من إنجاز التلاميذ /...../ اخر حدده

.....

36- ماهي المواد التعليمية التي تحبها /ينها؟ اللغة العربية /...../ الإسلاميات /..../ الإجتماعيات /...../ الفلسفة /...../

اللغة الفرنسية /..../ اللغة الإنجليزية /...../ الفزياء /.../ الكمياء /..../ الرياضيات /..../ التربية البدنية /...../

الإعلاميات /...../ التربية التشكيلية /...../

37-لماذا ؟

.....

38- هل تمارس/ين الرياضة ؟ نعم /...../ لا /...../

39-ماهي الرياضة المحببة لديك؟.....

معطيات نفسية

1-هل تُقوم /ين نفسك على أنك : جميل/ة /..../ قبيح /ة /..../ أخر حدده
.....

2-هل يعجبك جسدك ؟ نعم /...../ لا /...../ أخر حدده
.....

3-هل تحب/ين لباسا :يظهر جسدك /...../ يخفيه /...../ اخر حدده
.....

4-هل تحب /ين ؟ نعم /..../ لا /..../ اخر حدده
.....

5-هل صرحت بحبك لمن تحب /ين ؟ نعم /..../ لا /...../ اخر حدده
.....

6-هل تحس /ين برغبة في الكبر سريعا ؟ نعم /...../ لا /.../ لا أعرف /.../

7-هل أنت راض /ية على تصريفك لطاقتك الجنسية ؟ نعم /...../ لا /...../ اخر حدده
.....

8-هل التربية الجنسية ؟ ضرورية /..../ غير ضرورية /..../ (حشومة) /..../ اخرحدده
.....

9-عرف جسدك و مازال يعرف مجموعة من التغيرات، هل تعرف ما يحدث لك ؟ نعم /..../ لا /...../

10-هل تخيفك التغيرات الجسدية و النفسية التي تحدث فيك ؟ نعم /..../ أحيانا /.../ لا /...../

11-أين تبحث عن تفسير لما يحدث لك ؟ في الأسرة /...../ مع الأصدقاء /...../ مع الأساتذة /...../ لا أسأل احدا /...../ اخر
حدده.....

12-هل سبق أن شاهدت افلام جنسية ؟ نعم /..../ لا /.../

13-في حالة نعم ، هل شاهدتها بمعية :بالغين /..../ مع أقرانك /...../ وحدك /..../أخر حدده

14-هل شاهدتها عبر : الأنترنيت /..../ فيديو /..../ اخر حدده

15-هل تجد راحتك : مع الجماعة /..../ في العزلة /...../ اخر حدده

16-هل تسهو كثيرا ؟ نعم /...../ لا /...../ أخر حدده

17-هل تحلم كثيرا ؟ نعم /.../ لا /..../ أحيانا /.../

18-هل أحلامك عبارة عن ؟ كوابيس/...../ طيران/..../ جنس /...../ أحلام غامضة /...../ اخر حدده

19-ما هي الوظيفة التي ترغب/ين فيها مستقبلا ؟

.....

20-لماذا؟ تحقيق رغبة الأسرة /...../ تقليد شخص تحبه /...../ تحقيق حلمك أنت /...../ اخر حدده.....

21-هل تمنيت يوما لو كنت حيوانا، فقط لتكون حرا ؟ نعم /..../ لا /..../

22-ماهوالحيوان الذي تمنيت ان تكونه ؟

.....

23-هل يعود سبب هذه الرغبة ل: حريته الجنسية /..../ قوته /..../ جماله /...../ اخر حدده

24-كيف يمكن أن تصف/ي شخصيتك ؟ خجول/ / جريء/ /خوف/ /

25-هل تحب/ين شخصيتك ؟ نعم /...../ لا /..../ اخر حدده

26 كيف تحب/ين أن يناديك الناس؟ الدري /..../ الرجل /...../ . البنت /.../ المرأة /...../

27-. -هل تستطيع الأسرة توفير حاجياتك ؟ كلها /...../ بعضها /...../ لا شيء منها /...../

28-من يشتري ملابسك ؟ أنت /..../ الأب /...../ الأم /...../ اخر حدده

.....

29- هل تشتري ملابس : مستعملة /...../ جديدة /...../

30- أين يمكن أن تصنف/ي أسرتك ؟ غنية /...../ متوسطة /...../ فقيرة /..../ اخر حدده.....

31- هل يخجلك فقر أسرتك ؟ نعم /...../ لا /..../

32- هل تخجلك ملابسك ؟ نعم /...../ لا /...../ اخر حدده.....

33-ما هو أساس السعادة في نظرك : المال /...../ العلم و المعرفة /..../ الجاه و السلطة /...../ اخر حدده

.....

.....

الفهرس:

-
الإهداء.....2
-كلمة شكر..... 3
-المقدمة.....4
-التربية.....8
-المراهقة.....23
-التربية حق إنساني.....35
-الدراسة الميدانية(الأسر).....49

-المراهقون و المراهقات.....84
-الخاتمة.....135
-مشروع تنمية الأسرة القروية.....140
-الإحالات و المراجع.....144
-نمودج إستمارة الأسر.....147
-نمودج إستمارة المراهقين و المراهقات.....151
-الفهرس.....161